www.ibtesamh.com/vb

الهيئة العامة لقصور الثقافة

مجلة الابتسامة

آفاق عالمية

35

مناظر من أرض جديدة

(قصص لكاتبات من أمريكا اللاتينية)

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

ترجمة : ايزابيل كمال

www.ibtesamh.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر فبراير 2016 **

WWW.IBTESAMH.COM

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

آفاق عالمية
مايو ٢٠٠٤
٣٥

الهيئة العامة
لقصور الثقافة

مناظر من أرض جديدة

(قصص لكاتبات من امريكا اللاتينية)

ترجمة : إيزابيل كمال

www.ibtesamh.com/vb

الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق عالمية
مناظر من أرض جديدة
(قصص لكاتبات من أمريكا اللاتينية)

• ترجمة : إيزابيل كمال خليل
• تصميم الغلاف : محمد بغدادى
• لوحة الغلاف من أعمال جان متزنجر
١٨٨٣ - ١٩٥٦
• المراجعة اللغوية : عبد الحميد عيسى غازى
• الطبعة الأولى : ٢٠٠٣
رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٢١٣٦٦
الترقيم الدولى :
I.S.B.N: 977 - 305 - 658 - 9
• الطباعة والتنفيذ :
الشركة الدولية للطباعة
المنطقة الصناعية الثانية قطعة ١٢٩
شارع ٢٩ - مدينة ٦ أكتوبر
ت ٨٣٢٨٢٤٠ - ٨٣٢٨٢٤٢ - ٨٣٢٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

www.ibtesamh.com/vb

آفاق عالمية : سلسلة شهرية تُعنى بنشر ترجمات مختارة

رئيس مجلس الإدارة
أنس الفقي

أمين عام النشر
محمد السيد عيد

المشرف العام
فكري النقاش

الإشراف الفني
غريب ندا

رئيس التحرير
طلعت الشايب

مدير التحرير التنفيذي
تغريد كامل إمام

المراسلات : باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
١٦ أ ش أمين سامي - القصر العيني - رقم بريدي : ١١٥٦١

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

مقدمة

أنا وأولئك النسوة . . .؟؟!!

لماذا هذا الكتاب ؟

هذا الكتاب الذى يحتوى على مجموعة قصص قصيرة لكاتبات من أشهر كاتبات أمريكا اللاتينية ، تدور أساسًا حول المرأة وقد تنحو فى بعض الأحيان إلى الطفل أو الحيوان . لماذا ؟؟

فى حقيقة الأمر أعجبنى الكتاب جدًا وتماثلت معه ومع بطلاته ، ولم أجده يبتعد بى عن خط سرت فيه بداية مع **عدوى اللدود وأحلى** سنين لويللا كاثر المرهصة بالنسوية ، والذى كان أول ترجمة عربية لها ، ومن ثم وجدتنى أشرع فى ترجمة هذا الكتاب وأنا ألهث أحيانًا وراء مشاعر بطلة قصة « **عزلة الدم** » التى تعيش زواجًا جامدًا يخلو من الرحمة والحب ، فتفصل نفسها عن الواقع وتنغمر فى خيالاتها وماضيها مبتعدة عن هذا الواقع الفاشل ، رغم الشكل الرائع المتحقق ظاهريًا !!

وتنتابنى لحظات من الشجن والأسى مع بطلة **الرسالة** التى

www.ibtesamh.com/vb

تنتظر حبيبًا لا يدرى بها حتى يسدل الليل ستائره وهى جالسة عند عتبة بابه ، تعلم جيدًا أنه لن يأتى . وأتعاطف مع وحدة **أجاثا** التى تأتنس بلحظات طارئة وأمان مؤقت لضيف يدخن سيجارة ويرحل ، وتوماس الذى ترك المرأة المسنة وتصور خطأ أنه سيكون أكثر سعادة فى صحبة الفتاة المتفجرة بالحياة ، فلم تزده إلا إحساسًا بسنه وبكبره ، فيتمنى لو كان بإمكانه العودة إلى امرأة الماضى . وراقصة الملاهى الليلية التى لا تجد لنفسها شيئًا فى الحياة تنتمى إليه سوى المجوهرات والأثواب ، أما **سيسليا** التى تترك إرثًا من الشقاء والألم والخيال ولحظات من الحب والسعادة ، فتوزعها على الآخرين بما تراه مناسبًا لهم من وجهة نظرها ، فأنتظر عودتها مع الراوية . .

وتتحرك داخلى تلك الطفلة **جيمنا** التى لا يصدق الآخرون ما تراه ، حتى يشككونها فى نفسها ويحبسونها فى المنزل ، وأعود إلى براءة الطفولة مع جون الذى يتعلق بكلب السيد الأجنبى ، ويبكى الليل بطوله حزنًا على فراق الكلب !!

فى كل قصة من هذه القصص صورة خاصة جدًا ، وعامة جدًا ! فى كل قصة أجد المسافات بينى وبين أولئك الكاتبات اللاتى يبعدن عنى سنينًا كثيرة وأميالاً طويلة قد ضاقت ! وصنع هذا الأدب الجيد والصادق قربًا مدهشًا ، بيننا حتى لكأنى أقرأ كتابًا عربيًا لكاتبات عربيات ، فهل إلى هذه الدرجة تتشابه

www.ibtesamh.com/vb

مشكلات البشر ، ولهذه الدرجة تعيش المرأة فى أمريكا اللاتينية حالات كحالاتنا ، مصطدمة بالمجتمع الأبوى ، وبالرجل كما نحيا نحن هنا ؟؟!!

فى لغة راقية تتراوح بين السرد القصصى ، وقصيدة النثر عبَّرت تلك الكاتبات فصدق تعبيرهن ، وأبدعن فما أروعه من إبداع . إنهن كاتبات مزجن الفانتازيا بالحقيقة فى واقعية سحرية وتقنية عالية فكان هذا الكتاب .

المترجمة

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

السماء والبحر والأرض

ماريا لويزا بومبال

أعرف الكثير عن أشياء لا يعرفها أحد . علاقتى حميمة بعدد هائل من الأسرار السحرية الصغيرة للبحر والأرض .

أعرف مثلاً أنه فى أعماق المحيط ، وفى منطقة كثيفة العتمة ، يعيد المحيط إضاءة ذاته ، وينبت ضوء ذهبى ساكن من إسفنج هائل أصفر ومشع كالشموس . تعيش هناك كل أنواع النباتات والأحياء الجليدية مغمورة فى ضوء ذلك الصيف البارد والخالد : شقائق النعمان البحرية الخضراء والحمراء تلتف حول ذاتها فى مروج رحبة حيث يوجد قنديل البحر الشفاف الذى لم تفصم عرا جدائله قبل أن تحط على قدر طواف فى البحور ، ويشتبك حجر المرجان الأبيض الصلب فى أدغال ساحرة حيث تنزلق أسماك ذات مخامل ظليلة تنفتح وتنغلق بنعومة كالزهور ، هناك خيل البحر يتبعثر شعره الطحلبى حوله فى هالة راكدة حين يعدو فى صمت ، وإذا رفع أحدهم قوقعة معينة رمادية متواضعة الشكل فمن المؤكد أنه سيجد تحتها حورية البحر تبكى .

أعرف الكثير عن بركان تحت الماء متواصل الفوران ،

www.ibtesamh.com/vb

فوهاته تفور بلا تعب ليلاً ونهارًا ، وتنفث فقاعات كثيفة من الحمم الفضية نحو سطح المياه .

أعرف أنه أثناء المد المنخفض ، تبقى قيعان البحر المزخرفة بشقائق النعمان اللطيفة عارية على الصخور ، وأنا أرسو مع ذلك الذى يتشمم البساط المتوهج الذى يلتهمه .

أعرف الخلجان المفعمة بالزبد الأبدى ، حيث تسحب الرياح الشرقية ذيولها الملونة التى لا تحصى ببطء .

هناك امرأة شديدة البياض عارية تغرق . يحاول كل صيادى الشاطئ اصطيادها فى شباكهم بلا جدوى . . لكنها ربما لا تكون أكثر من طائر نورس مبتهج تسحبه تيارات مياه المحيط الهادئ جيئة وذهابًا .

علاقتى حميمة بالطرق الخفية والقنوات الأرضية حيث يصفى المحيط المد ، ليصعد إلى تلاميذ امرأة معينة تتطلع فجأة إلينا بعينين خضراوين عميقتين .

أعرف أن السفن التى سقطت أسفل سلم الدوامة ، لا تزال تسافر قرونًا تحت ، بين الصخور المغمورة ، ذلك أن صواريها وقعت بين أذرع أخطبوط حانق والتفت حولها قناديل البحر .

كل هذا أعرفه عن البحر .

أعرف عن الأرض أن من يستطيع إزالة قشرة من أشجار معينة ، سيعثر على فراشات نائمة ملتصقة بالجذع ، وأن أول

www.ibtesamh.com/vb

شعاع من الضوء يثقبها ويحطمها كدبوس طائش لا يمكن تهدئته .

أتذكر حديقة خريفية وأراها . أوراق الأشجار مكومة وذاوية فى طرقها الواسعة ، وتحتها مستنقع من الضفادع الملونة طحلبية جبانة ترتجف ، وعلى رأسها تيجان ذهبية . لا يعرفها أحد ، لكن الحقيقة أن كل الضفادع أمراء .

أخاف من لعبة « سأريك الطريق » خوف طفل لا حد له . لعبة « سأريك الطريق » دخان ملون ، وهى تعيش مرمية أسفل الأدغال ككومة رماد بائسة . ليس لديها سيقان لتسير ، ولا عيون لترى ، لكنها عادة تطير بعيدًا فى ليالٍ بعينها بأجنحة سميكة قصيرة . لا أحد يعلم أين تذهب ولا من أين تعود فى الفجر ملطخة بدماء ليست دماءها .

علاقتى حميمة بدغل جنوبى بعيد فى أرضه الموحلة تفتح ثقبًا ضيقًا وشديد العمق فإذا أملت وجهك نحو الأرض ونظرت ، سترى على مرمى البصر شيئًا مثل سحابة من التراب الذهبى تتحرك فى لفات متقلبة .

لكن لا شىء يذهلك أكثر من ميلاد الخمر . لأنه ليس حقيقيًا أن الخمر تولد تحت السماء داخل كرمة معتمة من الماء والشمس . ميلاد الخمر معتم وبطئ ، أعرف الكثير عن ذلك النمو المختلس . فقط بعد إغلاق أبواب قبو الخمر الباردة

www.ibtesamh.com/vb

وبعدما تنشر العناكب ستائرها الأولى ، تقرر الخمر أن تنمو فى أعماق البراميل الكبيرة المحكمة الإغلاق . كمثل التيار تعانى الخمر من النفوذ الصامت للقمر الذى يرغمها الآن على التراجع ويساعدها على أن تطفو عائدة . وهذا هو سبب ميلادها ونموها فى ظلام شتائها وصمته .

أستطيع أن أحكى شيئًا آخر عن الأرض . أعرف بقعة جدباء حيث بقيت قرية مدفونة فى كثبان الرمل ، الشىء الوحيد الذى يخرج منها هو قمة برج الكنيسة . أثناء الليالى العاصفة يتحرك كل صولجان مضىء بفتور نحو السهم الوحيد ، منتصبًا فى منتصف السهل ، ملتفًا حوله ، يصفر حتى يغرق أخيراً فى الرمال . ويقولون أنه عندئذٍ يهتز البرج المفقود من أعلى إلى أسفل ويسمع صدى رنين أجراس ناقوس تحت الأرض .

من جهة أخرى ، السماء ليس لديها ولا حتى سر صغير رقيق . بشكل لا يمكن تغييره تنشر خريطتها المرعبة فوقنا .

أحب أن أعتقد أننى أمتلك نجمى ، ذلك النجم الذى أراه يبزغ ويلمع لوهلة لى فقط كل يوم فى العتمة ، وليست خطواتى فقط فى ذلك النجم بل كذلك يصير لضحكتى وصوتى صدى . لكن واحسرتاه ، أعرف تمامًا أنه لا يمكن أن توجد حياة من أى نوع حيث تغير الجزيئات أشكالها ملايين المرات كل ثانية ، ولا يمكن لأى جزيئين أن يظلا متحدين .

www.ibtesamh.com/vb

يجعلنى ذلك أخاف حتى أن أنطق اسم الشمس . إنها غاية فى القوة ، لو أنهم يعزلوننا عن شعاعها ، سيتوقف فى التو تدفق الأنهار .

لا أكاد أتجرأ بالكلام عن نسر ضخم تدفعه الرياح خلف الغلاف الجوى للأرض ، ولا يزال حيًا ساقطًا فى مساحة بلا حدود لعدد لا يحصى من السنين .

ربما يجيب السقوط المفاجئ للشهب على نداء غير متوقع من الخلود الذى يقذفها ليصنع أشكالاً هندسية معينة من النجوم الساطعة المرصعة فى ركن ناءٍ من السماء . ربما .

لا ، لا أريد ، لا أريد أن أتحدث أكثر من ذلك عن السماء ، لأننى أخشاها ، وأخشى الأحلام التى تلج ليالىّ دائماً . ثم تصعد إلىّ على سلم نجمى أتسلقه نحو قبة لامعة . يكف القمر عن كونه قرصًا شاحبًا فى القبة الزرقاء ، ليصبح كرة قرمزية تدور فى الفضاء وحيدة ، وتصبح النجوم أكبر حجمًا فى وميض الأشعة ، تقترب مجرة درب اللبانة ، وتصب أمواج نيرانها ، ولحظة بلحظة أقترب من حافة ذلك الجرف المشتعل .

لا ، أفضل أن أتخيل سماءً نهارية بقلاع طوافة من السحب تثير فراغاتها المرتعدة أوراق الخريف الأرضية الجافة والطيارات الورقية التى تضيع من أبناء البشر وهم يلعبون .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

« مساء الخير ، أجاثا »

تأليف : يولاندا بيدريجال

بعد يوم شاحب ككل الأيام فى الريف ، أغلقت نافذة الحجرة الصغيرة . لا تزال عالقة بالهواء رائحة أشواقى لماضى لا يعود ، تخرج من الأوراق والذكريات التى كنت أحرقها فى الكانون النحاسى . قطعة من آخر النهار الداخن غطت الحوائط المبيضة . كان سبتًا، أحد أيام السبت تلك التى تبدو بلا يوم أحد . أستطيع الآن منح نفسى للهْوِى المتواضع : أن أتحدث فى صمت مع كنزى الوحيد ، أيقونة أجدادى . كانت عبارة عن تمثال مزخرف بألوان كثيرة منحوتة من خشب شجر البرتقال . عباءة زرقاء صارمة مفتوحة مثل المروحة من الرأس ، تظهر من تحتها الملابس المحلية المصنوعة من الصوف الأحمر الخشن . اليدان الصغيرتان مربعتان على صدرها ، تمسكان بحمامة يمكن رؤيتها بصعوبة ، وطفل صغير لا يتجانس مع البقية . كان لى أنا أيضًا طفل ، ذات مرة . لا يعيش الآن ، مات فى المستشفى .

يولاندا بيدريجال : (بوليفيا ١٩١٦) كتبت العديد من الروايات كما تعتبر أكبر شاعرة فى بوليفيا .

www.ibtesamh.com/vb

ووالده ، ترى أين هو ؟ كان مخلوقًا حزينًا ومكتئبًا مثل المنظر الطبيعى الذى التقينا فيه . هل أحبنى ؟ ربما . سرنا معًا فى طريق به شجرتان وحيدتان مرتبطتان فى السهل المعشوشب . كيف لمخلوقين من البشر أن يكونا وحيدين كما كنت أنا وهو ! كان لقاؤنا عذباً ، ومريرًا ، وقصيرًا . الأشياء الصغيرة المتراكمة هناك أصبحت فصلاً مقتضبًا ، كشذرات من الخراب الذى يتحدث ، ويعد بأشياء حدثت مرة ولن تحدث مرة أخرى إطلاقًا ، أشياء تنام فى مستقبل من أمور نتذكرها .

لكننى كنت أنوى الحديث عما حدث فى نهاية ذلك اليوم ، بينما كنت أتحدث مع تمثال العذراء المنحوت من شجر البرتقال قلت لنفسى أن كل الأشياء مثل هذا التمثال . لم يكن فى العالم شىء لا يشبهه . الأرض ، الخشب ، الجسد أو الروح : كلها مواد نبيلة ، من صنع الله ، أو من الطبيعة ، أو من البشر . شعرت أن كل شىء له حدود فى المكان وفى الزمان ، يطوقه خط ، متموج أو سلس ، فى النهاية يتضاعف حول نفسه . هذا الخط يمس برفق اللانهاية والخلود . حين تفسد الإشارات ، يحدث الاتحاد مع ما هو لا نهائى . حين يتحول الخشب إلى تراب ، ستتحول عيناى كذلك إلى مادة قادرة على تأمل هذا ، وحبل غامض يتحرك بالكاد فى الذاكرة ، سيربطنا مرة أخرى فى جو آخر .

www.ibtesamh.com/vb

حين تأملت هذا ، صليت بسبحة من الخيال . أشعلت شمعة وتركت يدىّ مثل زهرتى صبار مجعدتين ، راقدتين على المنضدة . يدىّ بهما ميزة غريبة . طولهما عادى ، عصبيتان وبارزتا العظام ، غيرّ الحب شكلهما : تتجه العروق للاختفاء ببطء كالأنهار فى الرمال . وتصبح البشرة دافئة كشجرة فى الشمس ، وتكتسب الأظافر بريقًا كأنها عرق اللؤلؤ الساكن أعماق البحار ، تنسى الأصابع الإبرة والفحم . فى مثل تلك الأوقات تترك يدىّ أكمامها وتتحرر منفصلة عنها ، بالرغم من أنها تعمل بلا حيوية . إلا أنها لها حياتها القائمة بذاتها ، المنفصلة عن حياتى ، لم تعد تنتمى إلىّ ، لا أقوى حتى على رفعها . أتأملها ، هكذا متحررة من كل قيد . . . لكن كى نعود إلى ما حدث تلك الأمسية ، ومض لسان الشمعة بلغة سرية ومضة تسببت فى ارتعاش الأشياء ارتعاشة خفيفة . انسحبت الحوائط للخلف ، تمددت المائدة بظلالها واهتزت . انحنى التمثال نحوى ، أو نحو خارج النافذة نصف المفتوحة .

فجأة ، دون إنذار ، فُتِحَ الباب . دخل رجل ، رجل مثل أى رجل آخر بفرديته البادية للعيان ، قوى ، محتجب وراء ملابسه ، كما يحدث مع كل الرجال ، هل لديه أى فكرة عمن يكون أو ما يريد ؟ صهرت داخله السنون قناعًا من لحظات الإحباط ، فرض عليه المجتمع مظهره الكاذب ومواقفه الغادرة ؛

www.ibtesamh.com/vb

أضافت السلطات أوراقًا لجيوبه ، ومزقات فى امتداد ياقته . إذا كان لا يحتاج وثائق لتحديد هويته ، لن يصيبه أذى . إمتلاك جواز السفر ، وثيقة تحديد الهوية ، إيصال الإيجار ، إيصال الضرائب ، المحفظة ، المفاتيح ، كلها تساوى بين الجميع ، بالرغم من أن رجال الشرطة يؤكدون عكس ذلك .

وحيث أن الضباب أزاح عنه الزيف ، وأصبح مرة أخرى هو ذاته ، نظر إلىّ السائح بعينين خالدتين وبصوت خارج حدود الزمن ، ومحدد وواضح قال : « مساء الخير ، أجاثا »

أجاثا . . . من أخبره ؟ حين كنت فى انتظار ولادة طفلى ، الذى كان متوقعًا أن يكون فتاة ، نويت أن أسميها أجاثا . لكن لا أحد يعرف ذلك . كيف حدث له أن ينادينى بهذا الاسم ؟ اسمى مختلف تمامًا عن ذلك .

أجبته بهدوء من مقعدى : « مساء الخير » .

فى مناسبة أخرى ، ربما كنت قد جفلت ، وسألته من هو ، لماذا أتى ، ماذا يريد ؟ كل تلك الجمل الاستفهامية التى نطيلها ونجعل بها الغرباء يشعرون أكثر بالعزلة . لكن بعد تلك التحية بدا لى كل شىء طبيعيًا . حياتى الخابية ، منعزلة عن الجميع ، ربما مثل حياته . ما الذى يمكن أن نكتشفه عن الإنسان إذا كنا مع كل كلمة سطحية نعمق الشعور بالهاوية ؟ يأتى الإنسان إلى الأرض ، يعانى ، يحب ، يصارع ، ينتظر .و؟ كلنا نفس

www.ibtesamh.com/vb

الشيء . كان يمكنه أن يقول لى : « إسمى كريستوفر ، أعمل نجارًا ، أتيت لأعطيك هذه الصورة » .

فى الواقع سيكون مجرد تفسير زائف كأى تفسير آخر ، ربما كان وحيدًا ، مليئًا بالقلق أو التعب ، رأى ضوءاً من شق النافذة ، شعر برغبة فى دخول أول مدخل متاح ، والجلوس فى أول مقعد مريح شاغر واستخدام وجوده المجرد بنفس الطريقة التى ينظر بها المرء إلى البحر أو إلى لوحة عالية ، أو كما يصرخ بلا سبب ، فقط مثل هذه الأمور ، فقط لمثل هذه الأسباب لدينا كثير من الدوافع يخمدها الجبن . أنا أيضًا لدىّ هذه الدوافع ، البساطة ، الكرم ، الإنسانية : أن تضم إلى صدرك طفلاً رث الملابس يلعب فى الطين ، أن تقبل جبين شحاذ كفيف ، أن تعتنى بأطفال الجارة لأجل خاطرها . ورغبات أخرى عبثية لكنها نقية . أن يحط طائر على كتفى ، أن يأتى رجل مجهول كأنه حبيب العمر يأخذنى إلى فراشه ويسمح لى بالنوم على وسادته دون كرب ، دون رغبة ، دون عجلة . كل هذه الرغبات غير مُشْبَعَة ، مختبئة وراء حائط من الريبة .

حسنًا ، إذن . صد الزائر بجسده الهواء القادم من الشارع . أغلق زجاج النافذة المتداعى خلفه ، ودون إذن ضرورى ، جلس أسفل المهد بصمته وإرهاقه البادى للعيان . أراح رأسه على تقاطع ساعديه مستندًا على حاجز السرير .

www.ibtesamh.com/vb

رفضت النظر إليه حتى لا أفسد الخلود الوجيز لذلك التمثال الإنسانى .

تبعت يداى جسدى . من بعيد لمست طرف كتفه . حين رفع رأسه سألته عما إذا كان يمكننى أن أقدم له القهوة . أشار بالرفض : فيما بعد ، دون كسر كماله الحميم ، أخرج سيجارة ، لفها بأصابعه فى بطء . لم يكن لديه ثقاب - ظننت - فأشرت له إلى مكان المطبخ . توجه إلى الرف دون تردد ، تمامًا حيث يوجد الثقاب .

أشرق نجم فى الهالة المحيطة بيديه وتلاشى بسرعة . اشتعلت الشمعة من ذلك البريق الواهن . تقاربت مع اللحظة الخالدة .

أخذ الرجل يدخن ، فى البداية بشره شديد ثم بدأ يدخن ببطء سام مما نمنحه للإيماءات الأخيرة . بعد ذلك سمعت طقطقة خَفيفة لورق يُفَض . لم أكن راغبة أن أكسر بنظرة الجو الذى خلقه الغريب ، لكننى أحسست أنه يجعد خطابًا ويخفيه . تنهد بعمق ، نهض وقال مرة أخرى : « تصبحين على خير ، يا أجاثا » .

حين غادر الحجرة ، أحنى تيار هوائى لسان الشمعة . لم يحدث شىء . دخل حجرتى رجل . دخن سيجارة ، قرأ خطابًا ورحل ، ولم يطلب شيئًا . منحنى شيئًا لم يعيه . شىء لا يوصف ظل باقيًا ، محيطًا بغيابه .

www.ibtesamh.com/vb

هذه الزيارة غير المتوقعة مباركة . أعرف الآن أن شخصًا ما يمكن وجوده فى هذا العالم . قد يصل دون أن يطرق الباب ، يمكنه أن يكون هنا دون أن يرحل ، وإذا رحل يمكنه أن يقول لى : « تصبحين على خير ، أجاثا » .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

شخص شره جدًا

تأليف : هيلدا هيلست

بصقة على وجهك ، صفعة ، لكمة ، أى شيء أفضل من الكلمة ، ياكلينكو ، أناديك بذلك الاسم ، اسم به جهورية لغة الشعراء والوحوش ، الفعل دائما أفضل وليس مثلى شخصيا ، الأفكار تقفز لأشرح نفسى من خلال إزدرائى لك . أنا لا أحتضر يا كلينكو . حاولت شرح نفس الموضوع لشخص آخر ، غبى مثلك ، يدعو كويو وبنيت الحواجز بحثًا عن أحد أظافرى ، حواجز حول لا شيء ، لأنه بسبب ذلك كله نهضت ، لم تقترب على الإطلاق مثلما أنجدل أنا في هذه الممسحة ، لا كويو ولا كلينكو سيكون لديهما ذلك القناع ، تلك العين الثاقبة التى يمكنها رؤية أدق تفاصيلى . أنا لا أحتضر الكمال هو الموت . أحدكم المدعو آه ، اكتشف الأمر وقال أن الكمال هو الموت . أليس هذا أكبر برهان على الخلود ؟ كويو وكلينكو حبساك فى حجز خاص بالمجانين ، وهذا المدعو آه أمام الحائط لا يستطيع

---

(١) هيلدا هيلست : (البرازيل ١٩٣٠) شاعرة وكاتبة مسرح وروائية . نُشر لها العديد من الأعمال الأدبية بلغات أجنبية .

www.ibtesamh.com/vb

إلقاء الخطب في الكونجرس أو مجلس الشيوخ ، سيحدث نفس الأمر ، المجانين بالداخل وبالخارج ، كل من يدعون كلينكو يكررون أننى مت ، فى حين أن ذلك فوق التصور ، لكنه الأكثر أهمية في كل أفعالى . أريد أن أموت ، لوح رخامى واحد فوق جثمانى . أفضل الممسحة ، تلك التى ليس في مقدورك الوصول إليها ، ليس حتى وأنت مغمض العينين . كلينكو فهم أننى في كرب لكننى لن أموت ، متدهورة ، وشاحبة ، من هنا يتكدس الصديد والتراب . لابد أن أحيا في صمت ، لكن ذاتى فى صمتى ستذهب إليك ، تعبر عن نفسها فى أفعال ، وأى الأفعال تلك التى ستكونها أفعالك ، والهمجية والعجرفة تسودها جميعا ! . علىّ أن أطلب منك أن تسرع وتنتهى . لديك وسائل أكثر فعالية من ناجازاكى وهيروشيما ، وبداخلك جوع عجيب لإسمك . . أليس كل جوعك يلائم ضعفك الخسيس ؟ لست أدرى كيف يموت المرء ، ولم أعرف تفكيرك فىّ الذى قد يزفر مفهومًا وكومة روث . أتطلع إليك فى فراق دامع من بعيد ، أنظر إلى نفسى ، وفى الجسد أبحث عن أصغر نقطة أستطيع منها استخلاص موت جديد تمامًا . إذا استطعت إعادة صنع نفسى فى الموت ، أركع متلولبة أمام نفسى ، وفى السماء أجد الطريق إلى العدم ، وفى الطريق لا أحاول مرة أخرى منح شكل المظاهر ، الأنا المليئة بالعواطف تريد ترجمة ذاتها إلى أعمال .

www.ibtesamh.com/vb

ظن الإنسان أنه سيرث الأرض ، وكأنه اعتقد بخسة وبوجه متحجر أن العدم سيلاقينى مرة أخرى ، اعتقد أننى أنا عدم ، لأنه لوهلة نوى منح شكل لا وجودى للعدم ، آه ، كلينكو ، أقولها مرة أخرى ، أفضل البصقة ، اللكمة ، الصفعة ، أى شىء سيكون أفضل من الكلمة ، لو كان لدىّ أبواق يمكننى استخدامها مثل هذه الذات داخلى ، ماهلر المحظوظ ، لو كان لدىّ أبواق ، أولئك الراكبون خلفى يستخدمونها . أوه لو كان لدىّ أبواق ، كنت أستخلص الصوت الأكثر ألما لسمعك الضعيف . لو كان لدىّ كلمات كهذه التى تسكننى ، جيشوا لديه ، بعض المناجم أُحرقت ، لكن بالنسبة لكلينكو كأننى لم أرتكب ذلك ، لو أن الكثيرين داخلى بمقدورهم طرق جوهرك ، مرة أخرى أيضًا تصبح ترابًا ، وميتابلازما جديدة ، رأس بقلبين للإنسان ، يتصرفان فى اتحاد تام ، كلينكو أضاف بعض الرياح الشرقية التى تأتى من الجنوب ، سيكون من الأفضل أن تستنفد الإنسان المثالى كفكرة تمر بخاطرك ، بنقس طريقتى التى أفكر بها . لفائف الرهبان تُصْعِد الكلمة فى منشئها ، كلينكو يفكر بالموافقة ، لكن التوهج فى نفس اللحظة يعود إلى جذورها . الآن الوصلات الأنبوبية السوداء تستند على نعومتى ، أَنْظُر إلى العبث . أنت عزيزتى الأم الصغيرة ، أنا جروسيكو ، لكن البشر حين عمدونى أطلقوا علىّ أسماء خاصة ، سمونى اللاإسم ،

www.ibtesamh.com/vb

عزيزتى الأم الصغيرة أريد يدك فى يدى ، وصوت المرشد بلا نهاية فى أذنى : « أريد أن أموت فى يأس » ربما بتلك الطريقة أستطيع ، ربما بتلك الطريقة أتعلم ، كيف أموت .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

الغاية

تأليف : باتريشيا بينز

هل نُطِقَت كل الكلمات ؟
أى طريق واضح ، إذا أمسكتنى بقيدك ،
ممزقة بين الفكر والفعل ، فى قيود تافهة ؟
مسلوبة الأمانى الصغيرة
محرومة من كل ما توقعته
فى أى جانب أنا ؟
هل هذا حلم ، أم رحلة ، أم بعض الهلاوس ؟
مع ذلك لازلت هنا .
وهذا الامتداد الفسيح يدعو للاكتشاف ،
ملئ بالسحب ، والفراغات الموحشة ،
والطيور التى لا تجيب ولا تسأل ،
لكنها تمر !
منتبهة
للحظات الكمال واللافهم الزائلة .

مارلى دى أوليفيرا

www.ibtesamh.com/vb

كنا أحيانا نناقش بلا هدف الطرق والوسائل التى نؤدى بها الأمور ، ببساطة لنقتل الوقت ، بينما نحن فى انتظار الموت . نتحدث دون انتظار للحظات الصمت التى تمر بين الكلمة ونطقها ، ونفشل فى سماع الفراغات بين السطور . نعرف فقط ما هو واضح : أننا كائنان بعيدان .

فى الوقت نفسه ، علينا أن نستمر ، أن نزيف حقيقتنا ، لنعيش ونعاود عيش الأدوار المختلفة المحددة لنا ، أو التى نطلبها من أنفسنا .

ومن ثم ، الدعوة السطحية للقوة ، تصل عبر الألعاب ، ألعاب معقدة دون حب أو ذاكرة .

لماذا فشل كل منا فى حب الآخر ؟ من الواضح أنها حكاية معادة من الإنجيل ، فقد أكل الحسد قلبينا تمامًا . لم يحدث لنا أن بلغنا الكمال إطلاقًا ، إذ أننا تلطخنا بالحقد .

استغرقنا فى هلاوس القوة ، وأدى الخيال وظيفته كخلاص . آه ، يا له من مجد زائف ، وألوهية فاسدة ، وزهو أحمق ، دراما الرغبة ، التفاهة ، الجشع ، الحنق ، الكسل ، وفوق ذلك كله حب المال . لم يكن أحد منا مستعدًا أن يقوم حتى بإيماءة طيبة . تمسك كل منا بالآخر ، كما لو كنا نخشى تبديد مشاعرنا .

وعندئذٍ الخسائر اليومية : تلك التحولات الهينة لنحيا الحياة

www.ibtesamh.com/vb

العادية ، حيث لا توجد علامة لأرض الله ، ومع ذلك خلال محاولة وصولنا ، سنظل راغبين جدًا .

حتى نقرر عبور الجسر . هناك تحد جديد داخل نفس الحدود العادية : هل كان هذا هدفنا ؟ أم كان هناك شيء ما يحجبنا وراء الأخطاء التى تحدد وجودنا نظاميًا ؟

كان الليل ساكناً . النجوم وضوء القمر ينشر أنواره على الطريق الذى سلكناه ، غير واعين بقدرنا . اختفت المناظر الطبيعية المألوفة من أمام ناظرينا ، وانكشفت لنا مناظر أخرى رائعة الجمال . ضحكنا للريح ، غيرة معتادين على حرية الوجود ، لأنها رغم قصرها ، تامة وكاملة .

كانت رائحة البحر نفاذة أكثر من أى عبير آخر ، تعلن عن المرحلة التالية التى نوشك أن نخوضها . ظل كل شيء غير مؤكد ، عدا تلك الروائح التى تأتى وتذهب ، وانحسار المد وتدفقه الذى نستطيع إدراكه فقط بالحدس .

تكهننا بالرمل والفجر .

فى النهاية رأينا المنزل كأننا فى حلم .

فتح لنا الباب شخص ما ، وكانت هناك أبواب أخرى عبر دهاليز طويلة ، ربما نستطيع فتحها فيما بعد . بوغتنا برائحة العفن ونحن ندخل المنزل ، فقط لنكتشف مرة أن المرايا بالداخل يغيم عليها الضباب ، ومع ذلك تعكس وجوهنا ، وأجسادنا المجهولة ، وأرواحنا الحائرة .

www.ibtesamh.com/vb

تعرفنا على سكان الأرض بضوء شمعة : قطط تتبعها كلاب ، أتت تتشمم . ثم سمعنا أغانى الطيور .

استقبلنا رجل ، كما لو كان قدومنا متوقعاً ، لم تظهر زوجته المبتسمة أية دهشة لارتدائنا الأقنعة . ظهرت ليقال أنهما أساسيان للحياة من المرحلة السابقة . تبادلنا التحية فى صمت وفى حضور كريه للحب ، لأن الكلمات غير ضرورية .

أعلن التثاؤب النوم دون نعاس . عدنا إلى راحة الأحاسيس المنسية ، متحررين من الخطايا المميتة . فقط الخطيئة الأصلية ، الاختيار بين أن نكون أو لا نكون . أهو حلم عن شىء حلمنا به .

فى الصباح ، أدركنا أنه لا توجد حقًا أية حدود حين نتجاوز حدود التوسط . إفترض الله ذلك بلا جهد . والآن لكى نهرب ، ولكى نستمتع بقدرنا مرة ، ونحن واعون إنسانيتنا . الرمال الرطبة تحت القدمين ، وخطوات مسموعة فى الفضاء ، فى صمت . خطواتنا - نحن ربما - سريعة ومرحة .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

أحب زوجى

تأليف / نيليدا بينون

أحب زوجى ، من الصباح حتى المساء . بمجرد أن أستيقظ ، أقدم له القهوة . يتنهد ، منهكاً من نوم الليل القليل المعتاد ، ويبدأ فى حلاقة ذقنه . أدق على بابه ثلاث مرات ، حتى لا تبرد قهوته . يزمجر فى غضب وأتذمر فى ضيق . لا أريد ضياع مجهودى عبثًا بسبب سائل بارد سيلتهمه كما يلتهمنى مرتين فى الأسبوع ، خاصة فى أيام السبت .

بعدئذٍ ، أثبت له رباط العنق ، بينما يعترض لأننى أثبت أصغر جزء فى حياته فحسب . أضحك حتى يخرج وهو أكثر هدوءًا واستعدادًا لمواجهة الحياة خارج المنزل ، ويعود ومعه رغيف من الخبز الدافئ الكبير فى حجرة معيشتنا .

يقول أننى كثيرة الطلبات ، لأننى أبقى فى المنزل ، أغسل الأطباق ، وأذهب للتسوق ، وفوق ذلك أشكو من الحياة ، فى الوقت الذى يبنى فيه عالمه بقوالب صغيرة ، ورغم أن بعض هذه الجدران تتهاوى على الأرض ، إلا أن أصدقاءه يثنون على مجهوده فى إقامة قمائن ، كلها من الطين وصلبه وواضحة للعيان .

www.ibtesamh.com/vb

إنهم يحيوننى كذلك لأننى أرعى رجلاً يحلم بالقصور والأكواخ والكهوف وهكذا يصنع تقدم الأمة ، ولذلك أنا ظل الرجل الذى يقول الجميع أننى أحبه . أترك الشمس تدخل المنزل ، لتسطع على الأشياء التى اشتريناها بمجهودنا المشترك . رغم هذا لا يمتدحنى على الإطلاق على أشيائنا البراقة ، بل على العكس ، خلال تأكيده على حبى ، يشكو أننى لا أفعل شيئًا بل أستهلك النقود التى يجمعها فى الصيف ، عندئذٍ أطلب منه أن يفهم توقى لعودة الأمور الإنسانية التى سبق وأرستها المرأة ، فيقَّطب حاجبيه كما لو أننى أفترض نظرية تلحق العار بالعائلة وبإنجازات بيتنا .

ماذا تريدين أكثر أيتها المرأة ؟ ألا يكفيك أننا تزوجنا بصفة شرعية ؟ وبينما يقول ذلك أُعتبر أنا جزءًا من مستقبله ، الذى من حقه هو فقط أن يبنيه . لاحظت أن كرم الرجل أهَّلنى فقط أن أكون سيدة لماضٍ أمليت شروطه فى مودة مشتركة .

بدأت أفكر بتوق شديد كم هو رائع أن تعيش فقط فى الماضى ، قبل أن تملى شروطه بواسطة الرجل الذى نقول أننا نحبه . أستحسن فكرتى . داخل المنزل ، فى الفرن الذى كان بمثابة مدفأة . من السهل رعاية الماضى بالأعشاب وطحين الشوفان ، ليتمكن بهدوء من الفوز بالمستقبل . لا يمكن على الإطلاق أن يشغل باله بمشاكل رحمى ، الذى ينتمى إليه بطريقة

www.ibtesamh.com/vb

ما ، حتى أنه لا يحتاج أن يتشمم رائحة أنوثتى ، ليكتشف من أيضًا بالإضافة إليه كان هنا ، ودق الباب ، ونقش العبارات والتواريخ على حوائطه .

إبنى ملكى أنا وحدى ! هكذا اعترف أمام أصدقائه يوم سبت فى الشهر الذى استضفناهم فيه ، والمرأة ملكى أنا وحدى ، وليست حتى ملك نفسها . فكرة أننى لا أستطيع الانتماء لنفسى ، لا أستطيع المساس بأنوثتى لحفزها أن تخرج ما بداخلى ، أثارت أول صدمة لخيالى عن الماضى الذى انغمست فيه حتى تلك اللحظة ، وهكذا الرجل الذى أغرقنى فى الماضى بينما يشعر بالحرية فى أن يحيا الحياة التى يمتلك مفاتيحها هو فقط . احتاج كذلك أن يقيد يدىّ ، فلم تعدا تشعران بنعومة جلدى الخاصة . هل من الممكن لهذه النعومة أن تخبرنى فى صوت خفيض أنه كانت هناك بشرة أخرى مثلها فى النعومة والخصوصية ، مغطاة بالزغب الناعم ، وأن تلك البشرة تستطيع أن تلعق ملحها باللسان ؟

تطلعت إلى أصابعى ، مشمئزة من أظافرى الطويلة المصبوغة باللون الأحمر ، أظافر نمرة قوت هويتى ، وأعلنت عن حقيقة جنسى . رَبَتُّ على جسدى وتساءلت ، هل أنا امرأة فقط بمخالبى الطويلة ، وبالتزين بالذهب والفضة ، ودفعة الدم المفاجئة لحيوان يذبح فى الغابات ؟ أم لأن الرجل يزيننى بهذه

www.ibtesamh.com/vb

الطريقة ، وحين أُزيل مستحضرات التجميل هذه من وجهى ، يندهش بمنظر لا يعرفه ، حيث غطاه بالغموض ، وبهذا صار لا يمتلكنى بالمرة ؟

فجأة ، بدت لى المرأة كرمز للهزيمة ، تلك التى أحضرها الرجل للمنزل ، وتلك التى تجعلنى أبدو جميلة . أليس حقيقيًا أننى أحبك يا زوجى ؟ سألته بينما كان يقرأ الصحف ليكون على دراية بالأمور ، وأنا جالسة على الأرض أنظف الخطابات من بقع الحبر ، وبمجرد انتهائه من تصفح الأخبار ، قال ، دعينى فى حالى يا امرأة . كيف تتوقعين منى الحديث عن الحب ، بينما يناقشون المتغيرات الاقتصادية للبلد ، حيث يحتاج الرجال لمضاعفة العمل كالعبيد لإعاشة النساء ؟

فقلت له ، إذا كنت لا تريد مناقشة الحب ، الذى علاوة على ذلك من المؤكد أنه شىء بعيد تمامًا عن هنا ، أو أنه يختفى وراء الأثاث الذى أخفى وراءه التراب فى بعض الأحيان بعدما أكنس المنزل ، ماذا لو بعد كل هذه السنين تجرأت وتحدثت عن المستقبل كما لو كان نوعًا من الحلوى التى تأكلها بعد الطعام ؟

وضع الجريدة جانبًا ، وأصر أن أعيد ما قلته . نطقت كلمة « مستقبل » بحذر ، غير راغبة فى جرحه ، لكن لم أعد فى تلك اللحظة بالذات أحجم خوفًا من مغامرة أفريقية تناولناها حديثًا ، وتبعناها بحاشية مغموسة بالعرق والقلق ، كنت أذبح ذكور

www.ibtesamh.com/vb

الخنازير ، غارزة أنيابى فى عروقها الدافئة ، بينما كلارك جيبل منجذب إلى رائحتى ورائحة الحيوان المتشنج ، يركع على ركبتيه متوسلاً حبى ، حتى بدا شرهًا مما بذله من مجهود ، ازدردت ماء النهر ، ربما بحثًا عن الحمى التى فى أحشائى ولا أعرف كيف أوقظها . بشرتى المحمومة ، وانفعالى الجارف ، والكلمات التى لطخت شفتى لأول مرة ، وأنا أتورد سعادة وخجلاً ، بينما الطبيب الساحر ينقذ حياتى بطقوسه وشعر صدره الكثيف . بدت الصحة على أصابعى ، وانطلقت أنفاس الحياة من فمى ، ثم تركت كلارك جيبل مقيدًا إلى شجرة ، يأكله النمل ببطء . رحت أقلد نايوكا ، فهبطت إلى النهر ، الذى هاجمنى بقوة ، ولأتجنب شلالات المياه ، ناديت صارخة على الحرية ، ذلك الإرث الأكثر قدمًا وتنوعًا .

زوجى ، مع كلمة « مستقبل » ، غامت الدنيا أمام عينيه ، وسقطت الجريدة على الأرض ، طلب أن يعرف ما الذى أعنيه بهذا الجحود لعش الحب ، والأمان ، والسكينة . باختصار ، سلامنا الزوجى الرائع ؛ وهل تعتقد أيها الزوج ، أن سلامنا الزواجى يتيح لنفسه الارتباط بخيوط منسوجة بالرياء ، ولأننى تفوهت بهذه الكلمة ببساطة صدمتك للغاية حتى تبكى بكاءً مكتومًا ، حيث لا يسمح لك غرورك بالبكاء بصوت مرتفع ، ذلك البكاء الذى ترك لى كامرأة ؟ آه ، أيها الزوج ، إذا كان

www.ibtesamh.com/vb

لمثل هذه الكلمة الأثر الذى يجعلها تصيبك بالعمى ، سأضحى بنفسى مرة أخرى أيضًا حتى لا أراك تعانى . هل لا يزال هناك وقت لإنقاذك ، بتدمير المستقبل ؟

تشربت فوهة بركانه المتلألئة بالدموع السريعة . أخذ من سيجارته نفسًا شرهًا ، واستأنف قراءته . من الصعب العثور على رجل مثله فى بنايتنا المكونة من ثمانية عشر طابقًا وثلاثة مداخل . فى لقاءات اتحاد الملاّك التى أحضرها ، هو الوحيد الذى يستطيع تذليل العقبات ، والعفو عن أولئك الذين يجرحون مشاعره . لمت أنانيتى لإفسادى أمسية شخص يستحق التعويض عن مجهودات اليوم التالى .

لأخفى خجلى ، أحضرت له قهوة طازجة وكعكة شيكولاته . سمح لى بإصلاح أخطائى . حدثنى عن النفقات الشهرية ، بحساب الشركة الذى بدأ فى الديون ، عليه أن يتنبه للمصروفات ، ولو اعتمد على معاونتى سيتخلص من شريكه فى أقل من عام . شعرت بالسعادة لمساهمتى فى حدث سيمكننا من التقدم خلال اثنى عشر شهرًا . دون مساندتى لم يكن ليحلم لهذه الدرجة مطلقًا . أخذت على نفسى ، من بعيد ، مقدرته على الحلم ، أنا أحافظ على كل أحلام زوجى ، ومن أجل هذا الحق ، أعوض الحياة بوقفة لم تُدرج بين صفحات كتاب .

إنه ليس فى حاجة أن يشكرنى . لقد بلغ الكمال فى عواطفه

www.ibtesamh.com/vb

الرقيقة بطريقة تكفيه للبقاء فى صحبتى وللإشارة إلى أنه يحبنى . كنت الفاكهة المنتقاة من الأرض ، وشجرة فى منتصف حجرة معيشتنا ، تسلق الشجرة ، وبلغ الفواكه ، ونالها ، وشذب الشجرة من قشورها .

لمدة أسبوع ، أدق على باب الحمّام بلمسة الصباح الباكر المعتادة ، مستعدة لإعداد القهوة الطازجة له ، إذا بردت القهوة السابقة ، أو إذا نسى ووقف يتطلع إلى نفسه فى المرآة ، بنفس الكبر الذى غرسه فىّ منذ الميلاد ، بمجرد التأكد أنهم يتعاملون مع امرأة أخرى . أن تكونى امرأة يعنى أن تفقدى ذاتك فى الزمن ، تلك كانت قاعدة أمى ، قصدت ، من يستطيع هزيمة العمر أفضل من النساء . وافقها والدى معقبًا : »العمر ليس أن تشيخ المرأة ، بل بالأحرى هو غموضها الذى لا ينكشف للعالم إطلاقًا« .

فكرى فقط يا ابنتى ، ما هو الشىء الأكثر جمالاً من حياة لا تتكشف أبدًا ، حياة لا يفوز بها إلا زوجك ، والد أطفالك . كان التعليم الأبوى دائمًا حكيمًا ، منح كلمة »عُمر« بريق الفضة ، فاقتنعت بالتالى أنه حتى لا تنتهى قصة المرأة ، لا يسمح لها بسيرة ذاتية خاصة بها ، فهى تؤكد الشباب .

قال والدى يوم عرسى ، شخص واحد هو الذى يعيش ويشيخ ، ولأنك ستعيشين حياة زوجك ، نضمن لك أنك بهذا

www.ibtesamh.com/vb

السلوك ستظلين دائمًا شابة . لم أعرف كيف أتخلص من هذا التهليل الذى يطوقنى بثقل حجاب واقٍ ، وأن أصل إلى قلبه ، وأدهش إخلاصه ، أو أن أشكره على حالة لم أرغب بها من قبل ، ربما فقط لأننى كنت فاقدة الوعى . وكل تلك النبوءة فى تلك الليلة التى سأتحول فيها إلى امرأة ، لأننى حتى ذلك الحين ، كانوا يهمسون فى أذنى بأننى حدس جميل ، مختلفة عن شقيقى ، لأنهم بالفعل وسموه فى جرن المعمودية بعلامة الرجولة قبل أن ينام مع امرأة .

كانوا يقولون لى دائمًا ، أن روح المرأة تتجلّى فقط فى الفراش ، تتطهر أنوثتها بالرجل ، أضافت أمى قائلة ، قبله ، أنوثتنا تشبه محارة ترعى فى ماء مالح ، وعليه فالغموض والمراوغة ، بعيدًا عن حقيقة الأرض الأسيرة . أحبت أمى الشعر ، وكانت صورها دائمًا عذبة ودافئة .

تألق قلبى فى ليلة عرسى . اشتقت للجسد الجديد الذى وعدونى إياه ، لأخرج من الشرنقة التى ظلت تغطينى مستولية على حياتى اليومية . ستحتوينى يدا زوجى حتى نهاية عمرى ، وكيف لى أن أشكره على هذا الكرم ؟ ربما ، لهذا السبب، نحن سعداء كمخلوقين يمكن لأحدهما فقط أن يحضر للمنزل الطعام والأمل والإيمان وتاريخ العائلة .

هو الوحيد الذى يمنحنى الحياة ، رغم أننى قد أعيش

www.ibtesamh.com/vb

أسبوعًا بعده ، لا يؤدى هذا إلى أى اختلاف . لدىّ حتى ميزة أنه دائمًا يمنحنى إياها مبسطة ، لست مضطرة لتفسير الحقائق ، والوقوع فى الذنوب ، والظهور أمام تلك الكلمات المزعجة التى تنتهى بحرية صامتة . وكلمات الرجل هى ما ينبغى أن أحتاجه طوال حياتى ، لست مضطرة لفهم مفردات تتعارض مع قدرى ، ويمكنها تخريب زواجى .

وهكذا ظللت أتعلم أن ضميرى الذى هو فى خدمة سعادتى ، هو كذلك فى خدمة زوجى ، عليه أن يجتث قشورى ، فالطبيعة منحتنى الرغبة أن أكون سفينة غارقة فى بعض الأحيان ، وأن أبلغ قاع البحر بحثًا عن إسفنجة . لكن لأى هدف سيؤدى بى ذلك ، إن لم يكن للاستغراق فى أحلامى ، ومضاعفتها فى الصمت المزبد لمتاهاتها المليئة بماء البحر ؟ أريد حلمًا يمكن القبض عليه بقفاز قوى ، ويتحول فى بعض الأوقات إلى كعكة شيكولاته له ، ليأكلها بعيون لامعة ، ونبتسم معًا .

آه ، حين أشعر كالمحارب ، مستعدة لرفع ذراعى واكتساب وجه ليس لى ، أغمر نفسى فى تيه ذهبى ، أسير فى طرقات بلا عناوين ، وبالرغم من أنه شعور نابع منى ومن مجهودى ، إلا أنه علىّ أن أغزو بلدًا آخر ، لغة جديدة ، جسدًا يتشرب الحياة دون خوف أو خجل . ويرتعش كل شىء داخلى ، أتطلع بشهية لما لن أكون خجلة منه فيما بعد ، إلى أولئك الذين يمرون . لحسن

www.ibtesamh.com/vb

الحظ ، هو شعور خاطف ، سرعان ما أبحث عن مساعدة الأرصفة المألوفة التى انطبعت حياتى عليها . نوافذ المتجر ، الأشياء ، الأشخاص المقربين ، زهوى ، أى شىء يتعلق ببيتى .

أفعالى هذه الشبيهة بأفعال الطيور تافهة تمامًا ، فقد تجرح شرف زوجى . أشعر بالإثم ، فى أفكارى أطلب منه المغفرة ، أعده بتجنب هذه الإغواءات . يبدو أنه يعذرنى من بعيد ، ويمتدح خضوعى لسعادة الحياة اليومية ، التى ترغمنا على الازدهار كل عام . أعترف أن هذا القلق يربكنى ، لا أدرى كيف أقمعه . لا أذكره إلا لنفسى ولا حتى العهود المبهجة تحمينى من لحظات إحساسى أننى سفينة غارقة فى حلم . تلك العهود التى تجعل جسدى يتورد ، لكنها لا تسم حياتى بالطريقة التى تمكننى من الإشارة إلى مواقع الألم التى تصيبنى بقوتها .

لم أتفوه إطلاقًا بتلك السقطات الخطرة القصيرة لزوجى . ليس بمقدوره تحمل ثقل ذلك الاعتراف ، أو حتى إخباره فى تلك الأمسيات أننى أفكر فى العمل خارج المنزل ، لدفع ثمن التثريات من مالى الخاص . من الواضح أن هذا الجنون يستولى علىّ تمامًا بسبب الفراغ ، فأنا أميرة المنزل ، كما يقول لى أحيانًا ، وبتعقل ، على هذا ، لن يبعدنى شىء عن سعادتى التى أنغمر فيهما للأبد .

www.ibtesamh.com/vb

لا يمكننى الشكوى . كل يوم يعارض زوجى الصورة الماثلة فى المرآة . أنظر إلى نفسى فيها ، ويصر أننى أفهم نفسى خطأ ، وأننى لست فى الحقيقة الظلال والحطام التى أرى نفسى عليها ، فهو أيضًا مثل والدى مسئول عن شبابى الدائم . إنه لطيف فى مشاعره ، لم يحتفل إطلاقًا بعيد ميلادى احتفالاً صاخبًا ، حتى أتناسى تعاقب السنين . يعتقد أننى لا ألاحظ ، لكن الحقيقة أننى فى نهاية اليوم لا أعرف كم عمرى .

ويتحاشى كذلك الحديث عن جسمى ، الذى ازداد وزنًا مع السنين ، فأنا لا أستطيع ارتداء نفس نمط الأزياء التى كنت أرتديها سابقًا . لدىّ أثواب مختزنة فى الدولاب ، فقط لتقييمها فى صمت . يوميًا فى السابعة مساءًا يفتح الباب ، يعرف أننى فى انتظاره على الجانب الآخر ، وحين يعرض التليفزيون بعض الأجساد فى ريعان شبابها ، يدفن وجهه فى الجريدة ، فنحن فقط الموجودان فى العالم .

أنا ممتنة للمجهود الذى يبذله فى حبى . أصارع لأشكره ، رغم أنه فى أوقات ، دون رغبة منه ، بطريقة ما ، ووجه غريب ليس وجهه ، لكنه لرجل مجهول لا أريد رؤية صورته مرة أخرى ، يزعجنى ، فأشعر بفمى جافًا ، جافًا من الحياة اليومية التى تؤكد طعم الخبز الذى تناولناه فى الليلة السابقة ، والذى سيبقينى للغد كذلك ، خبز نأكله أنا وهو من سنين طويلة دون

www.ibtesamh.com/vb

شكوى ، مغموس بالحب ، مربوط باحتفال الزواج الذى أعلننا زوجًا وزوجة . آه . نعم ، أحب زوجى .

* * *

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

الرسالة

قصة : إيلينا بونيا توسكا

أتيت لأراك ، مارتين ، وأنت لست هنا . أجلس على عتبة بابك الأمامى ، متكئة عليه ، وأعتقد أنك فى مكان ما فى المدينة ، كأنما بالموجات الصوتية التى تمر فى الهواء ، ينبغى أن تعلم أننى هنا . ها هى حديقتك الصغيرة ، وشجرة السنط الممتدة ، يمر الأطفال وهم يسحبون أغصانها القريبة . أرى الزهور مبعثرة حول المنزل على الأرض ، وبعضها على الحائط ، مستقيمة جدًا وطبيعية ولها أوراق كالنصل . زرقاء كالجنود . إنهم مهمون جدًا ، وأمناء جدًا ، أنت أيضًا جندى تسير فى حياتك واحد ، اثنان ، واحد ، اثنان . . . . حديقتك كلها متينة ، مثلك بها قوة تلهم الثقة .

ها أنا ذا أتكئ على حائط منزلك ، بالطريقة التى أتكئ بها أحيانًا على ظهرك . الشمس كذلك ساطعة على زجاج النوافذ ، ولأن الوقت قد تأخر بالفعل ، فإنها تخبو بالتدريج . قد أدفأ وهجها الأشجار المليئة بالأزهار الزكية ، وانتشر عبيرها فى المكان . إنه الشفق . النهار ينقضى . تمر جارتك . لست

www.ibtesamh.com/vb

متأكدة إن كانت قد رأتنى . إنها تسقى حديقتها الصغيرة . أتذكر أنها أحضرت لك حساء المكرونة حين كنت مريضًا ، وابنتها أعطتك الحقن . . أفكر فيك بترو شديد ، كأنى أسحبك إلى داخلى وتبقى مغمورًا هناك . أود التأكد أننى سأراك غدًا ، واليوم الذى يليه ، ودائمًا فى سلسلة أيام لا تنقطع ، حتى أستطيع التطلع إليك على مهل ، رغم أننى أعرف كل تفصيلة دقيقة فى وجهك ، فلا شىء بيننا مؤقت أو طارئ.

أنحنى على الورقة ، وأكتب كل هذا لك ، وأعتقد أنك الآن ، فى مكان ما فى المدينة ، حيث ربما تسير فى عجلة بطريقتك الحاسمة المعتادة فى أحد الشوارع التى أتخيلك دائمًا تسير فيها : فى ركن دونسلز وسينكو دى فبريرو أو شارع فينيسيانوكارانزا ، أو تجلس على أى واحد من تلك المقاعد الرمادية المملة التى تحطمت فقط بسبب زحام الركاب الذين يسرعون للحاق بالأوتوبيس ، لابد أنك تعرف داخل نفسك أننى أنتظرك .

أتيت فقط لأقول لك أننى أحبك ، ولأنك لست هنا ، أنتظرك . أكتب الآن بالكاد لأن الشمس بالفعل قد غربت . لست متأكدة مما أدونه . بالخارج جاء المزيد من الأطفال يجرون حول المكان ، وامرأة ساخطة تحمل قدرًا مكتوبًا عليها تحذير « لا تهز يدى حتى لا أسكب اللبن . . . » . وأسقط القلم

www.ibtesamh.com/vb

الرصاص يا مارتين ، وأسقط الورقة المسطورة ، وأترك يدىّ معلقتين فى جسدى بلا جدوى ، وأنتظرك .

أفكر بأننى أحب أن أعانقك . أحيانًا أحب أن أكون أكبر سنًا لأن الشباب حمل فى طياته احتياج مُلِّح ولا يقاوم ، لربط كل الأشياء بالحب .

كلب ينبح نباحاً عدائياً . أعتقد أنه حان وقت رحيلى ، فى وهلة قصيرة ستأتى جارتك ، وتضئ أنوار منزلك ، لديها المفتاح ، وستضىء حجرة نومك التى تواجه الشارع ، حيث فى هذه المجاورة يحدث الكثير من الاعتداءات والسرقات ، غالبًا يسرقون الفقير ، الفقراء يسرقون بعضهم البعض . . كما تعلم ، منذ كنت طفلة اعتدت أن أجلس هكذا وأنتظر ، كنت دائمًا طيعة لأننى كنت أنتظرك . كنت أنتظرك . أعرف أن كل النساء ينتظرن ، ينتظرن المستقبل ، ينتظرن كل تلك الصور التى تشكلت فى العزلة ، ينتظرن كل تلك الغابات التى تتحرك تجاههن ، ينتظرن كل تلك الوعود الهائلة بأن هناك رجلاً ، ثمرة الرمان تتفتح فجأة وتظهر بذورها الحمراء البراقة ، ثمرة الرمان مثل فم مكتنز بآلاف الأجزاء . فيما بعد نحيا تلك الساعات فى الخيال ، نصنع منها ساعات حقيقية ، نمنحها وزنًا وحجمًا وكثافة . ياه ، يا حبيبى ، نحن مفعمون للغاية بالصور الداخلية ، مفعمون للغاية بمناظر ميّتة .

www.ibtesamh.com/vb

حل الآن الليل ، وتقريبًا لا أستطيع رؤية ما أخطه فى الورقة المسطورة . لا أستطيع فهم الخطابات . هناك حيث قد لا تفهم ، فى المساحات الفارغة البيضاء : « أحبك » . . . لست أدرى إذا كنت سأمرر الورقة من تحت بابك ، لست أدرى . جعلتنى أتعلق بك . . . ربما أرحل الآن ، ربما أتوقف فقط لأطلب من جارتك أن تعطيك الرسالة ، وتخبرك أننى قد أتيت .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

المفتاح

ليجيا فاجوندرز تيليز

فات أوان القول بأنه لن يذهب . . . فات الأوان جدًا ، فالسماح لخططهما بالتقدم ابتعد كثيرًا . وماذا يمكنه أن يفعل فى هذه الساعة المتأخرة ؟ الآن سيضطر لاستبدال إحساسه بالراحة فى بيجامته وبطاطينه الدافئة إلى ياقة ضيقة وليلة باردة . ياه ! كم أصبحت الليالى باردة هذه الأيام . بلد استوائى بحق . . . لكن أين من المفترض أن تقع المناطق الإستوائية ؟ «إنتهى عهد المناخ اللطيف» قال ذلك متذمرًا وهو يتثاءب . لابد أنهم مجموعة من البشر فى صالة قمار ، بلا شك هم أكثر المجموعات احتمالا ، لكن هذا فيما يبدو فقط ! فالرجال والنساء على استعداد للقتل ، يأتون ويذهبون ، يثرثرون ، يتنقلون ، يتقولون على بعضهم البعض ، ومع ذلك فهم منهكون غير قادرين على الجلوس أو الارتياح ، سكارى من النعاس ومع ذلك غير قادرين على النوم ، عيونهم وأفواههم مفتوحة على آخرها ، يبتسمون . . يبتسمون . . . يبتسمون . . . مجموعة من أجسام البغال وعقول العصافير ، يرتدون ربطات العنق والأحذية

www.ibtesamh.com/vb

ذات الأربطة ، ويدانون على الصبر على تبادل الأحاديث التافهة للأبد . همس بيأس « آمين » وأغمض عينيه وزم شفتيه . « لكن لماذا يتحتم علينا الذهاب إلى هذا الحفل اللعين ، ألا ترين أننى متعب ؟ » « متعب » أراد أن يصرخ وهو يضرب مسند المقعد بقبضته المحكمة . وجه عينيه المتوسلتين إلى المرأة التى فى الحجرة - « إذن أنت لا تفهمين - متعب » .

« توم! ماذا لو تبدأ فى ارتداء ملابسك؟ »

بالطبع لم تفهم شيئًا ، كانت قميئة العقل . حفل يعقبه حفل يعقبه حفل! طيلة النهار وطيلة الليل ، لا شىء سوى حفل لعين بعد آخر - على الجميع ارتداء ملابسهم ، ثم خلعها ، فقط ليبدأوا فى ارتدائها مرة أخرى ، « أسرع ياتوم ، تأخرنا ! » تأخرنا . . . ! عليه أن يحلق ذقنه ، أن يختار ربطة عنق ، وأن يسحب كرشه المسكين ويشده ضاغطًا عليه ليخفيه فى أول مساحة فارغة متاحة ، ذلك الكرش المسكين البائس الذى لا يستمتع حتى بحقه فى الاسترخاء براحته ، حتى ذلك لم يكن مسموحًا به . ثم ضرورة تمتمة بعض التعبيرات الحميمة ، والوقوف هناك مبتسمًا حتى الخامسة صباحًا فاتحًا عينيه على آخرها ، عينيه اللتين تخلوان من بريق التعب الشفاف . . ولماذا ؟

الحيوانات ! « لأنهن لم يكنّ شيئاً سوى مجموعة من

www.ibtesamh.com/vb

الحيوانات من الطبقة العليا يخترعن حفل عشاء بعد آخر ليقحمن أنفسهن فى المجتمع .

« يتمايلن مثل بنات الهوى » .

« ماذا قلت يا توم ؟ » طلبت منه المرأة أن يعود للحجرة ، كانت ترتدى ملابس داخلية خفيفة من الشرائط الحريرية السوداء . « هل بدأت تتحدث إلى نفسك ؟ها ؟ »

منحته ابتسامة لطيفة ، لكن فى اللحظة التى حدجته فيها ، أعتمت تعبيرات وجهه مرة أخرى ، ألقى برأسه على ظهر الكرسى وأرخى عضلاته ، تثاءب وهو يمد ساقيه ، لو يُسمح له فقط أن ينام الليلة على الأقل ، ينزلق فى الفراش ومعه قربة مياه ساخنة ، قربة مياه ساخنة ممتعة قادرة على خلق جو دافئ مريح بين جسده والبطاطين . . . ألطف شىء فى الحياة هو بلا شك أن تكون قادرًا على أن تنام ، أن تغرق مثل مرساة فى الظلام ، أن تغرق حتى تتحد مع الظلام نفسه ، وبعدها لا تشعر بشىء آخر .

قرأت فى مجلة أن النساء اللاتى لا ينمن على الأقل عشرة ساعات فى الليل ، ينتهى بهن الأمر بالتهابات فى الخلايا قبل وصولهن لسن الثلاثين .

كانت مادج تمشط شعرها . صمتت ، ممسكة بالفرشاة إلى أعلى ، تفرق خصلة كثيفة من شعرها وتصفر . سحبت شعرة من الفرشاة وتركتها تسقط على الأرض .

www.ibtesamh.com/vb

« التهاب فى الخلايا »

« ذلك ما قرأته ! »

« هراء ! على أى حال ، ذلك لن يُقلقنى إطلاقًا ، لدىّ أقوى بشرة يمكن تصورها ، كما ترى بنفسك » . وأضافت وهى تمد ساقها العارية تجاه المقعد ذى المرفقين « المسها فقط وسترى . . بعض النساء لديهن بشرة أنعم من الزبد لكن عودى صلب كخشب الماهوجنى ، افحصه بنفسك ! » .

لمس الساق البرونزية بأطراف أصابعه . وافقها الرأى ، تظاهر بالدهشة ، ثم حوّل نظرته غير المهتمة نحو النافذة . كثيرون أولئك الرجال الذين يتمنون دفع كل ما لديهم فقط ليروا هذه السيقان . هذه السيقان المشهورة ! أخفض عينيه ليفحص قدميه ، فوجد نفسه فى سبيله إلى الابتسام . فى تلك الجوارب ربما يوجد مجدافان صغيران من الخشب ، لأن مادج تحب الألوان الفاقعة أما فرانسيس فكانت تفضل الألوان المحتشمة ، لكن مادج شابة ، والشابات يفضلن الألوان المبهرجة ، خاصة الشابات اللاتى يعشن فى صحبة دائمة مع رجال مسنين ، ويحاولن باستمرار إخفاء عمر شركائهن بالتصنع العبقرى مثل ألوان الجوارب الفاقعة والقمصان الشبابية وربطات العنق القصيرة . زد نفسك إشراقًا أيها الصديق العجوز ! زد نفسك إشراقًا ! لن يمضى وقت طويل حتى تتوقع منى أن أصبغ شعرى .

www.ibtesamh.com/vb

« ما سبب حفل العشاء هذه المرة ؟ »

« حسنًا ، أتصور أن ريناتا تريد عرض أنفها الجديد . هل رأيتها ؟ »

« نعم ، رأيتها ، وتبدو مرعبة » .

قالت مادج وهى فى شدة الدهشة : « هل تعتقد ذلك حقًا ؟ » ثم قهقهت : « اقتطع الطبيب أكثر من اللازم » .

« أنا ببساطة لا أفهم لم كل حفلات العشاء هذه بلا سبب وجيه » .

« لكن هل ينبغى وجود سبب بعينه لإقامة حفلات العشاء ؟ » . قالت ذلك وهى تنحنى للأمام . بدأت مرة أخرى فى تمشيط شعرها بقوة . « وعلى أى حال ، نحن غير مرتبطين هذه الليلة » .

غير مرتبطين ؟ . عبّرت عن نفسها فى دهاء . من بضعة سنين ماضية فقط كم كانت الطيبة تشع من داخلها وهو يراقبها تعض أظافرها عندما يشعرها بالكبت . . أو تعض شفتها السفلى عندما ترتبك أمام سؤال ، وكانت دائما ترتبك أمام الأسئلة . « ستتفتح تحت جناحى » هكذا ظن ، منتقلاً إلى منطقة الدموع . تفتحت بلا أدنى شك . وَجَّه نظره تجاهها . لكن لم يراهن أبدًا على تفتحها إلى هذه الدرجة . بإشارة لا مبالية زرر ياقة جاكتة البيجاما . أحنى كتفيه . كم أصبح الجو باردًا .

www.ibtesamh.com/vb

ألقت شعرها وراء ظهرها ثم واصلت نثر بودرة التلك على قدميها ؟ وبدأت تدعك راحة قدميها فى السجادة ، بحركات شهوانية بطيئة . « هل تصدق أننى حتى لا أشعر بالبرد ؟ هل نحن حقًا فى الشتاء ؟ »

« نحن فى منتصفه » .

« حسنًا ، بأمانة ، لا أشعر بأقل درجة برد » .

غمغم « أصدقك » متتبعًا حركاتها بنظراته . حافية القدمين ، نصف عارية ومشعة كما لو كانت تتدفأ تحت أشعة الشمس . لديها طاقة هائلة ، يا إلهى الحبيب . . طاقة هائلة غير عادية ، واحسرتاه ! . . . تلك الحيوية التى يربطها المرء بالحيوانات الصغيرة ، لديها شعر غزير جدًا ، أسنان كثيرة جدًا ، إيماءات كثيرة جدًا . . . الكثير جدًا من كل شىء . كان عليهما فقط أن يتنفسا ليصبحا عدوانيين . ربما يجب أن تنكسر ساقها ، لكن هذا نادرًا ما يحدث فى تلك السن ، لابد أن عظامها من الحديد . تثاءب .

مادج تدعك وجهها بالكريم ، وهو يراقب أصابعها الزلقة تعمل فى حركات دائرية . هل شعرت إطلاقًا بحاجتها للنوم ؟ لا ، لم تشعر بذلك ، فى الواقع ، وعندما تنام ، تنام لتستيقظ نافذة الصبر ، قلقة ، تريد تعويض الساعات التى فقدتها فى النوم .

رجل مكسورة قد تكون حلاً . . .

www.ibtesamh.com/vb

« عزيزى توم ، أنت تنام ! لماذا لا تأخذ مشروبًا ليوقظك قليلاً » .

أخفى يديه فى جيوب بيجامته . باذلاً مجهودًا ، فتح عينية المتعبتين ، أراد أن يصرخ فيها قائلاً : « ليس المشروب ما أحتاجه بل بعض النوم ! » لكن بدلاً من ذلك وجد مخرجًا لمشاعره ، ابتسم لها فى عذوبة : « لا شكرًا يا مادج ، لا أشعر برغبة فى الشراب اليوم » .

« أنا متأكدة أنك ستشعر بكثير من الانتعاش إذا شربت شيئًا »

« لكننى منتعش بقدر ما أستطيع » .

مسدت يديها بورقة تواليت ولوحت بهما فى الهواء حتى تجفا . تعرف أننى أراقبها لذلك تستعرض بتأنٍ ، كان يتأمل ، إنها لا شىء سوى استعراضية ، لو تعلم فقط يوم موتها ، أراهن أنها ستندفع لتهب جثتها لكلية الطب لكى تستمر فى . . .

« لقد قصفت ظفرين » اشتكت ، وهى تنحنى لتسحب جوربها « ولا أستطيع أن أتذكر كيف حدث ذلك » .

أغمض عينيه . كانت أظافر فرانسيس قصيرة ، وكانت تنتمى ليدين مناسبتين ، بذلك الطلاء الشفاف الوقور . كانت أظافر ويدىّ امرأة كبيرة . كانت يدىّ فرانسيس دائمًا يدى امرأة كبيرة ، وكان من غير المعقول أن يديها كانتا تكبران قبل الأوان ، ثم بدأ شعرها يشيب . كان يمكنها أن تفعل شيئًا حيال ذلك ،

www.ibtesamh.com/vb

ومع ذلك لم تفعل ، حتى بدت سعيدة باستسلامها للكبر . هذا ما أعلنته ! أوشك أن أصبح عجوزاً ، وأصبحت . فى تلك اللحظة تمامًا ، لابد أنها تمارس لعبة الورق بمفردها ، تخلط ورق اللعب بيديها الشاحبتين ، ويدور الفونوغراف بموسيقى شوبان ، كان شيئًا يدعو للارتياح أن تروح فى النوم وأنت تستمع إلى شوبان ، أن تنام وأنت تعرف أن فرانسيس فى الحجرة تنحنى على الورق بينما يتدفق الحنين إلى الماضى من نغمات البيانو دون تعقيدات أبعد من هذا . موتسارت يخلق المتاعب لكن شوبان يلطف الألم ، لا - لا ...لا ...لا ..لا - لا - لا - لا .. را - را ... لا - لا - لا

« توم، ما رأيك ؟ » .

فتح عينيه ، جافلاً

« ماذا ؟ ».

صاحت مادج وهى تسوى شعرها بيديها « باروكتى ؟ »

كانت الفرشاة الطويلة . توشك أن تدخل فى عينيها الغامقتين

« هل تعجبك ؟ » .

« لماذا ترتدين باروكة . شعرك غزير جدًا » . .

« حسنًا ، إنها على المودة . بالإضافة إلى أنه بالباروكة أستطيع التغيير فى شكلى بسهولة » . مد ذراعه على المنضدة

www.ibtesamh.com/vb

الجانبية فى وهن ، سحب علبة السجائر . كانت فارغة . أغلقها مرة ثانية . هذا أفضل ؟ سيقلل من التدخين . « فى سنك . . » . بدأ الطبيب يقول ذلك عندما ذهب ليستشيره . « فى سنك . . » . من غير المجدى أن ينسى سنه لأن الجميع حوله لا ينسون . من عشرة سنين ماضية قال والد مادج نفس الملحوظة رغم أنه لم يكن لديه الشجاعة ليتم الجملة « فى سنك . . . » . كانت مادج أيضًا فى الحجرة تتظاهر بقراءة واحدة من تلك المجلات الصغيرة المبهرجة المتخصصة فى الرومانسية . رد بنفس الطريقة بشكل مستفز : « ما العيب فى سنى ؟ » .

شبك الوالد العجوز يديه المعروقتين على بطنه . كانت أظافره سوداء « كل ما فى الموضوع أن ابنتى تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا وأنت تبلغ تسعة وأربعين . هناك فرق كبير فى عمريكما » قال ذلك متأملاً ، وهو يهرش فى رأسه بأظافر طويلة كالمخالب ، تمامًا مثلما يهرش القرد فى جسده .

« فى الوقت الحاضر قد لا يبدو الأمر ذو أهمية ، لكن كيف سيكون تأثير ذلك بعد عشر سنوات من الآن ؟ » عند هذا الحد سحب توم قبعته ومعطفه ، فتح الباب وبحركة درامية أجاب :

« بعد عشر سنوات سيصبح خطر كونى ديوثًا عجوزًا من شأنى أنا وحدى » .

تيبس فى مقعده . الآن وهنا قد مرت السنوات العشر .

www.ibtesamh.com/vb

« هل تظنين أن فرديناند سيكون هناك أيضًا ؟ »

« فريدى ؟ ليس لدىّ فكرة . لماذا تسأل ؟ » .

إذن ، الوغد له اسم دلع ، فريدى .

« لماذا فريدى ؟ ما هذا ؟ » .

« لكن الجميع ينادونه فريدى » .

الجميع كانوا مادج ، فهى تحب منح الناس أسماء دلع ولا تبطئ مطلقًا فى إظهار حركات ملاطفة حميمة .

« ببساطة لا أفهم كيف لشخص تافه مثله الفوز بكل هذا النجاح مع النساء . إنه جاهل ولا شىء سوى جيجلو [1] .

« جيجلو؟ »

« هذا ما يقولونه » .

« حقا ياتوم ، أجد ذلك صعبًا على التصديق » .

« حسنًا ، إذا لم يكن جيجلو فهو بالتأكيد يبدو كذلك . وغد بكل ما فى الكلمة من معنى ، يغنى من أنفه بلو - بلو - بلو على جيتاره » .

استغرقت فى التفكير وهى ترتدى حذاءها .

« له صوت لطيف » .

---

(١) رجل يعيش على ما تكسبه امرأة أومومس ، أو راقص محترف تستأجره النسوة لمراقصتهن فى الحانات .

www.ibtesamh.com/vb

« ما اللطيف فى هذا الصوت ؟ له صوت حاد ، يضطر المرء أن يقف بجواره ليسمع ما يقوله . إنه مخنث . . » .

تثاءب ، وهو يتمتم .

« لنتحدث بصراحة ، إنه مغفل تمامًا . أُصاب بالغثيان عندما أرى كل تلك النسوة السخيفات يسيل لعابهن إعجابًا به . لديه الشباب ولا شيء آخر . الشباب . . » . ثم حول نظرته الميتة تجاه المرآة .

مادج تعشق المرايا ، هنا كمية كبيرة منها فى كل مكان بالمنزل ، والمرآة التى إلى جانبه أسوأها جميعًا ، كأنها تعكس صورة كاملة دون أن تحذف منها تفصيلة صغيرة ، من هذه المرآة تعلّم توم أنك إذ تكبر يعنى أن تصبح خارج الاهتمام : تصبح ملامح المرء ضبابية ويتلاشى وجهه ويفقد شكله مثل كرة من العجين تتشرب بالماء .

« لكن يا توم ألن ترتدى ملابسك ؟ إنها التاسعة تقريبًا » .

« سأكون جاهزًا فى ثانية واحدة . . . ما تقضينه فى عمل ماكياجك يمنحنى وقتًا كثيرًا » .

« وماذا عن تلك الذقن ؟ ألن تحلق ؟ »

همهم وهو يمرر يده على لحيته « هل هذا ضرورى حقًا ؟ لقد حلقتها بالفعل اليوم ، والحلاقة الكثيرة تترك أثرها على بشرتى » .

www.ibtesamh.com/vb

« إذن أنت تعنى حقًا أنك ستخرج إلى الشارع كالمتوحشين تبدو كرجل عجوز » .

« أنا رجل عجوز »

« أوه ، حبيبى ، لا تقل ذلك . هيا الآن ، انهض واذهب لتحلق » قالت ذلك بلطف وهى تربت بيدها على رأسه .

« لا ! »

حقيقة لم أعرف فى حياتى رجلاً عنيدًا مثلك » .

« ماذا سنفعل فى هذا العشاء ، فقط أخبرينى بذلك ؟ »

« نأكل ثم . . » .

« لكنك تعرفين تمامًا أننى لا آكل شيئًا وأنا أمارس الريجيم . ما أحتاجه هو بعض النوم . ألا تفهمين ؟ »

« حسنًا ، نم ! »

نظر إلى وجهها . كانت تبتسم . ذلك ما تريده بالضبط .

هددها وهو يريح يديه على ذراع المقعد : « لا أزال مستعدًا لأن أكون جاهزاً قبلك . بدأ ينهض . . فقط ليسقط فى المقعد مرة أخرى . أغمض عينيه وتثاءب سيعد لخمسة ثم ينهض كالصاعقة . حسنًا ربما لعشرة . دعك عينيه

« يا للسماء ! »

« هل تشعر بألم يا توم ؟ »

حدجها بنظرة تقييمية .

www.ibtesamh.com/vb

« تبدين لطيفة »

« أنا ؟ لطيفة ؟ »

كانت لا تزال تبتسم . ترفض المرأة دائمًا أن تأخذ دورها فى اللعبة . فرانسيس كانت على عكس مادج تمامًا ، مع أنها أيضًا قامت بنفس التعبير . آخر مرة قال لها فيها : « فرانسيس حبيبتى ، أنت لطيفة » . تلك الكلمات جعلتها تحنى رأسها جانبًا بقليل من السخط : « ياه ، يا توماس ، أنا ، لطيفة ؟ . . » .

منعها من الاعتراض أكثر من ذلك : « نعم ، لطيفة ، عندما تهتمين قليلاً بمظهرك تبدين لطيفة ، ولابد أن تهتمى بذلك أكثر يا حبيبتى . انظرى إلى الأخريات حولك ! »

أعادت فرانسيس ارتداء نظارتها مرة أخرى . « فى سنى يا توماس ؟ » يا لهواجسها حول السن ! لماذا تصر على الإشارة إلى سنها ؟ أحيانًا تصبح ساخطة .

« على كلٍ يا حبيبتى ، تذكرى أننى أنا أيضًا أقترب من عيد ميلادى الخمسين . هل تحبين أن أغطى رأسى بالرماد وأجلس فى البيت أنتظر الموت ؟ » وضعت أسطوانة فى الفونوغراف .

« توماس ، هل لاحظت كم لطيفة هذه الليلة ؟ لماذا لا تقوم بجولة فى المنطقة ؟ » خرج . أثناء سيره التقى بمادج . حين نادته شعر توم كأنه يولد من جديد ، شعر بنفسه رجلاً جديدًا . رجلاً جديدًا ! أى إعلان حمل هذه الجملة ؟ أصبحت رجلاً

www.ibtesamh.com/vb

جديدًا ! لقد شاهد الإعلان فى قطار . لابد أنه خاص بدواء أو آخر . . . كان هذا منذ وقت طويل . الإلحاح على السفر فى قطار حيث يمضى الوقت وأنت تقرأ الإعلانات وتلك التنويهات التى تظهر الكثير من الاهتمام ، من فضلك انتظر حتى يصل القطار إلى محطة رئيسية . كان هناك شعور لطيف والمرء ينسل فى الشوارع الخالية ، يتمايل من الشمال لليمين كأنه فى سرير هزاز .

« والآن يا توم ، قرر بسرعة لأن ريناتا تغضب عندما يصل ضيوفها متأخرين » .

« إلى الجحيم مع ريناتا ! »

« توم ! »

« إلى الجحيم مع ريناتا وكل ضيوفها المقملين ! »

« حقًا ! كم أصبحت سيء الطبع » هكذا صاحت الشابة مادج وهى تلقى بعلبة البودرة على السرير . سحبت ثوبها وأكملت : « ليس لديك فكرة كيف أصبحت سيء الطبع فى الفترة الخيرة » .

ذهب ليحلق ذقنه وهو يريد أن يقول : « أنا متعب » لكنه سحب ياقة جاكتة بيجامته حتى أذنيه وفتح فمه ليتثاءب ، ويداه على فمه ، يدفئهما بأنفاسه . لو ينام طوال هذه الليلة والليلة التى تليها والليلة التى بعدها . . . لو ينام ليلة بعد ليلة حتى يموت من

www.ibtesamh.com/vb

النوم ، والفونوغراف يصدر معزوفة لشوبان ، وفرانسيس إلى جواره تستمتع بلعبة الورق بمفردها ، كم كان يعشق ذلك الصوت المبهج الصادر عن حفيف الورق على الطاولة بينما تغمغم فرانسيس بكلمات لا تحتاج لإجابة . كانت تنتظر ولدًا لكنها سحبت بنتًا بدلاً من ذلك ، فقالت ساخطة : « لم أردك أنت ! »

الأثاث عتيق الطراز ، وفرانسيس بملابسها عتيقة الطراز ، ومظهرها المحافظ ! لكن يا عزيزتى فرانسيس ، عليك أن ترتدى شيئًا ما أكثر عصرية ، وتستخدمى ماكياجًا أكثر من ذلك ! » اشترى لها قارورة عطر نفاذة . . اشترى لها أحمر شفاه - رأى إعلاناته فى إحدى المجلات - بدرجة لون جديدة - يجعل حتى التمثال يقف وينتبه - اقتباس من الإعلان . . . أهداها عقد مرجان مطعم بخيوط مليئة بحبات لا تحصى من المرجان . « نحن لا نزال فى مطلع شبابنا يا حبيبتى ، لابد أن نقاوم هجوم السن » . نظرت إليه بتعبير متحفظ ، أم كانت نظرة تهكم ؟ لا ، من المحتمل أنها حتى لم تكن كذلك ، لأن فرانسيس غاية فى الكرم بطبيعتها التى لا تحتمل أن تتهكم على أحد ، نظرت إليه تقريبًا كأم تتأمل طفلها قبل أن تعطيه مفتاح الباب الخارجى .

« توم ، هل تعتقد أن هذه القفازات تناسب ملابسى ؟ . . . توم ، أنا أحدثك ، رد علىّ ! »

www.ibtesamh.com/vb

« تناسبها ، يا حبيبتى ، تناسبها تمامًا » .

« ربما يجب أن أرتدى القفازات الخضراء . . » .

« تناسبها ، يا حبيبتى ، تناسبها تمامًا » .

« ربما يجب أن أرتدى القفازات الخضراء . . » .

« إنها تناسبها للغاية »

تقريبًا كأم تتأمل طفلها . عندئذ أحنى رأسه وخرج ، فى الشارع شعر كأنه مراهق يقبض على المفتاح فى جيبه . « أنا حر » شعر برغبة فى الصياح على المارة ، على العربات ، على الريح . « حر ، حر ! »

ياه ! لو يستطيع فقط العودة إليها دون كلمات أو توضيح . هى أيضًا لن تقول شيئًا ، كما لو كان قد خرج ليشترى علبة سجائر .

ربما يسألها حين يراها عابسة قليلاً : « هل كل شىء على ما يرام يا عزيزتى فرانسيس ؟ » قد تحدق فى أوراقها وتقول ! « أريد فقط ورقة لأنتهى . . » .

يصدمه صوت مادج من الناحية الأخرى ، كما لو كانت شخصًا مجهولاً ، غير حقيقية ، يسمع صوته ، مبحوحًا ، لكنه هادئ ، يقول لها : « اذهبى أنت يا حبيبتى واستمتعى بوقتك »

لا تزال تصر . هل حقًا تصر ؟ يسمع صدى صوت كعبى حذائها يشرخ الصمت كنقر مكتوم ثم يتلاشى . يمد يديه على

www.ibtesamh.com/vb

الفراش ويشد الغطاء يسحبه عليه . كل شيء معتم وساكن ، كأنه فى أعماق المحيط . تخفت رائحة العطر فى الهواء وتنتشر رائحة عطر حديقة من التماثيل ، تماثيل بيضاء لامعة تنام بعيون مغمضة ، ولن تفلح حجة فى فتح تلك العيون . مد توم ساقيه بكسل . تعود ساقى مادج فى الظلام : ترقص عارية ، تدعك قدميها فى السجادة ، بينما تتسلل موسيقى الجيتار حول ساقيها كالجوارب . يشعر توم فجأة بالاستفزاز ويحاول غلق الباب فى وجه الرجل ذى الأظافر السوداء « تلك مشكلتى ! » تصير الموسيقى المتنافرة النغمات فى منتصف الطريق إلى سيقان الأعمدة .

« انتبهى يا مادج ! ليس فرناند مهما يكن ما تفعلينه ! » . تسكن الراقصة والموسيقى كتراب على مائدة عتيقة . تفتح علبة الأوراق ، بحفيف كالمروحة ، ويخرج الملوك بأقدامهم الصوفية من علبة الكوتشينة ، يسحبون عباءاتهم الفرو ، يلف توم نفسه بإحدى تلك العباءات ويقف وهو يبتسم لفرانسيس . هى أيضًا تبتسم فى ثوبها الحريرى الوردى ، وتقضم برفق طرف ورقة . يسألها وهو يريح رأسه فى حضنها ، ويعيد لها المفتاح وهو يقول : « هل لى أن ؟ »

* * *

www.ibtesamh.com/vb

عزلة الدم

تأليف : مارتا برونت

كانت القاعدة البرونزية ، منقوشة برسم زهور ، نفس الزهور منقوشة على الخزّان الزجاجى ، مع ظل أبيض مستدير يقاطع أطرافها ، للسماح بمرور المدخنة ، أما المصباح فهو تحفة المنزل ، موضوع فوق منتصف المائدة المغطاة بمفرش كروشيه متقن شديد التفاصيل ، يضاء فقط في حضور ضيف غير متوقع للعشاء ، وهذا لا يحدث كثيراً ، لكنه يضاء في ليلة السبت ، كل ليلة سبت ، لأنها ليلة عطلة من الممكن الاحتفال بها بشكل ما ، وليس هناك ما هو أفضل من انتشار ضوء هذا المصباح على نقوش الورق الرائعة التى تغطى الحوائط ، وعلى الخزانة الخزفية المزينة بأطباق الفاكهة المتناسقة ، وسلطانيات الحساء ، وأكوام الأطباق رفيعة الذوق ، وعلى أبواب الخزانة المزينة بألواح زجاجية مزخرفة والمزلاج الحديدى وقفله الذى يبدو كذلك كحاجز يحمى النافذة المطلة على حديقة المنزل الجانبية . نعم ، كل ليلة سبت ، يرسم ضوء المصباح حول الرجل والمرأة هالة صغيرة من المودة والسلام الشامل .

www.ibtesamh.com/vb

من العيش فى ارتباط بالأرض ، بدا على الرجل أنه صنع من عناصر أرضية ، فى الجنوب ، وفى الجبال ، ينظرون إلى صورهم المنعكسة على مياه البحيرات الشفافة ، والأشجار التى صقلتها الريح والماء ، فاتخذت أشكالا غريبة وصفات مروعة . فى تلك الغابة الخاضعة لمناخ قاسٍ لا يرحم ، حيث يعمل الرجل ، غضنت السنون وجهه ، ومن تلك الأرض السمراء نمت لحيته ، وشاربه ، ورموش عينيه ، وحواجبه ، وجدائل شعره المتشابكة ، فى سواد الفحم ، تجلل رأسه بكومة كثة مستعصية ، كانت دائما تهرب إلى جبينه ويدفعها للخلف بإيماءة آلية مميزة .

الآن فى ضوء المصباح ، تخلط الأيدى الضخمة مجموعة أوراق اللعب . بعثر الأوراق على المائدة ، مستغرقاً فى لعبة السوليتير ، ببطء ودقة ، لأنه يوشك أن يربح ، انتفخت أوداجه بنوع من السعادة ، لم يتبق فى يديه ورقة تقريبا ، فسحب واحدة ، قلبها وفجأة تحولت السعادة إلى قسوة ، حملق فى الأوراق بانتباه منتش ، وفى يده الورقة الجديدة ، وضع الأوراق التى كانت فى يديه وقذف الكومة الكبيرة ، وأصابعه تتخلل شعره وتبقى فيه . طافت السعادة فى وجهه مرة أخرى ، رفع جفنيه ، وبدت عيناه كالعنب ، فى زرقة السماء اللازوردية . رمى المرأة بنظرة حذرة ، وجد عيناها رمادية ، شديدة الصفاء ،

www.ibtesamh.com/vb

فى درجة ضوء معينة أو من بعيد تمنحك الشعور بإحساس قلق أنها عمياء .

قالت المرأة بصوت غنائى : « فقط تصور أننى لا أنظر إليك واستمر فى حيلك ... » .

سألها الرجل : « هل ستنقلب الأمور حقيقة إلى السوء ؟ » .

- إذا انقلبت ، فلتنقلب .

- إنها دائمًا ليست على ما يرام معى ! هيا ، لله ! سأفعل ذلك مرة أخرى ! وجمع الأوراق مرة أخرى ليخلطها .

أحيانًا تتحول لعبة سوليتير إلى « البساطة » وأحيانًا أخرى تكون « عنيدة » لكن دائمًا فى الساعة العاشرة ، تدق الساعات فى الممر كأنها تتساقط من الساعة القديمة ، ينهض الرجل وهو يسحب نفسه ، متطلعًا إلى المرأة ، يقترب منها حتى يضع يده على رأسها ، ويربت على شعرها ، مرات ومرات ، ليختتم بقوله ، كما قال تلك الليلة :

« حتى الغد ، أيتها الصغيرة . لا تظلى مستيقظة لوقت طويل ، تأكدى أن المصباح مطفأ تمامًا ، ولا تحدثى ضجة كثيرة بالفونوغراف . دعينى أنام أولاً ... » .

غادرها ، أغلق الباب . سمعت خطواته الواسعة فى الممر ، ثم سمعته يخرج إلى الفناء ، وهو يقول شيئًا للكلب ، ثم يستدير عائدًا ، يروح ، ويجىء فى حجرة النوم ، سمعت صرير

www.ibtesamh.com/vb

السرير ، ثم حذاءه الثقيل يسقط على الأرض فردة وراء الأخرى ، أحدث السرير صريرًا مرة ثانية ، انقلب الرجل وهدأ . توقفت المرأة عن طى ثوبها ، كانت تتنفس بصعوبة ، فمها مفتوح إلى حد ما ، تجمع شتات ذاتها فى أصوات ، تفرقها ، تصنفها ، قدراتها السمعية لطيفة التناغم إلى ذلك الحد ، الذى يجعل كل حواسها تبدو وقد تحولت إلى أذن كبيرة . طويلة القامة ، قوية ، بشرتها طبيعية اللون البنى من سفعة الشمس ، كان من الممكن أن تكون امرأة كريولية [1] عادية إن لم ترفض عيناها ذلك ، وتخلقان ذلك الوجه بذكرياته المركونة الآن فى مكان بذاته . سبب لها التوتر قليلاً من حبات العرق التى طفحت على جبينها ، هذا كل ما فى الأمر ، لكنها شعرت ببشرتها باردة ، وبإيماءة غير واعية مررت يدها عليها ببطء ، ثم نظرت إلى تلك اليد بشرود . مع كل دقيقة يزداد توترها ، كأنها قرون استشعار تتلقى إشارات . وأتت الإشارة ، من حجرة النوم ، وفى شكل غطيط ، تبعه المزيد من الغطيط غير المنتظم .

تراخت عضلاتها . تفتحت مشاعرها على نجم خماسى الأبعاد ، كل بعد يقوم بوظيفته المحددة . لكن المرأة بقيت بلا حراك ، وعيناها مثبتتان على المصباح .

---

(١) كريولية : أحد مواليد جزر الهند الغربية وأمريكا اللاتينية المنحدرين من أصل أوروبى أو أسبانى .

www.ibtesamh.com/vb

متى اشترت ذلك المصباح ؟ ذات مرة حين ذهبت إلى البلدة ، عندما باعت دستة أطقم عادية خاصة بالأطفال ، كانت تشغلها فى فسحة بين أحد الأعمال المنزلية وآخر ، الأعمال المنزلية المعتادة دائمًا ، التى تزعجها منهجيًا على مر الأيام دون أن تميز بينها . اشترت ذلك المصباح حين اشترت الخزانة الخزفية ، والأثاث المجدول من الأغصان ، والدولاب ذا المرايات ، واللحاف المضرّب . نعم حين اشترت كثيراً من الأشياء ، كثيراً جدًا . . بالطبع ، على مر سنين عديدة ! كم عدد هذه السنين ؟ ثمانية عشر . إنها الآن فى السادسة والثلاثين ، وكانت فى الثامنة عشر عندما تزوجت . ثمانية عشر وثمانية عشر . نعم . . . المصباح ، الخزانة الخزفية ، الأثاث المجدول من الأغصان . . لم تعتقد إطلاقًا - فيما يتعلق بهذا فهى متأكدة - أنها بشغل الصوف ستكسب نقودًا لا تكفى فقط لشراء ملابسها ، ولكن أيضًا لتمنح نفسها منزلاً مريحًا .

قال ، بمجرد زواجهما :

« عليك أن تعملى لتأسيس مشروعاتك الخاصة الصغيرة ، ولكسب المال لضرورياتك . ربى دجاجًا ، بيعى بيضًا » .

أجابت :

« تعلم أننى أجهل هذه الأمور » .

- ابحثى عن شىء تعرفى كيف تقومى به إذن . شيئًا علموك إياه فى المدرسة .

www.ibtesamh.com/vb

- أبيع الحلوى .

- لا تفكرى فى البيع فى هذا المكان المهجور . فكرى فى شىء يمكننا حمله معًا مرة فى الشهر لنبيعه فى البلدة .

- شغل الصوف .

- ليست فكرة سيئة . لكن عليك بشراء الصوف .

وأضاف فجأة بقلق : « كم تحتاجين للبداية ؟ » .

- لا أعرف . دعنى أبحث الأسعار ، وأسأل فى المتجر لنعرف إذا كان هناك من يهتم بالملابس الصوفية .

- إذا كانت حقًا غير مكلفة . . .

ولم يكن الأمر مكلفًا ، بل كان بالفعل عملاً مربحًا . زوجة صاحب المتجر نفسها اشترت الأطقم الأولى كلها لابنها ، التى كانت مجرد عينة . بدلة صغيرة لطيفة ، لم يلبسها طفل من قبل فى ذلك « المكان المهجور » حيث يدفع الناس النقود ، ويحصلون على أشياء عديمة الذوق من المتاجر التى توضع فيها براميل الزبد بجانب زجاجات العطر ، والصوف الرخيص بجانب زجاجات الأدوية . لاقى عملها نجاحًا كبيرًا . قدم لها الناس طلبات الشراء . صنعت الملابس الصوفية لجميع أهالى المنطقة . كانت قادرة على رفع أسعارها . لم تتلق أبدًا المساعدة الكافية لتلك الطلبات المؤجلة . عندما رآها تزدهر اقتصاديًا ، قال ذات يوم :

www.ibtesamh.com/vb

« فكرة طيبة . أن تعيدى لى العشرة بيزوات التى أعرتك إياها حين بدأتِ عملك ، ولا تنفقى كل النقود التى تكسبينها على أشيائك . بالطبع لن أقول لك أن تعطينى هذه النقود ، إنها نقودك ، نعم ، أنت من ربحتها ، ولن أقول لك أعطينيها » . كان يكرر دائمًا ما تفوه به توًا ، ويصر عليه ، ويريد تأكيد الفكرة الموجودة فى عقله « لكنك الآن ترين ، الآن من الضرورى أن تشترى غلاية شاى كبيرة ، وتصلحى عتبة الباب . يمكنك ببساطة افتراض مسئولياتك عن شئون المنزل ، الآن لديك نقود كثيرة من مبيعاتك . نعم . . . ، نقود كثيرة جدًا » .

اشترت الغلاية الكبيرة ، أصلحت عتبة الباب ، ثم اشترت واشترت . . . لأن ذلك منحها سعادة تحويل فوضى ذلك المنزل الريفى ، الذى أكله الإهمال ، إلى ما هو عليه الآن ، إلى منزل مثل منزلها هناك فى الشمال ، فى البلدة الصغيرة التى يظللها شجر الصفصاف والأكاسيا ، والنهر يغنى أو يدمدم أسفل الوادى ، وهناك جبال الإنديز ، تبدو دائما كخلفية للبيوت الصغيرة التى تبدو كاللعب ، بألوانها الوردية الضاربة إلى الزرقة ، والصفراء ، والمداخل الفسيحة ، وأشجار الياسمين تنتشر عبيرها فى القيلولة ، وفى مواجهة بوابة الفناء دكة خضراء مزخرفة ، تغرى بالأحاديث العارضة فى بواكير الأماسى ، حين تتردد على المسامع أصوات الطيور وأجراس الكنائس مارة فى

www.ibtesamh.com/vb

السماوات فى نفس الهواء ، وحواف الجبال الناتئة تغمرها حمرة الشفق وألوان البنفسج اللطيفة ، قبل أن تروح فى النوم يغطيها وميض النجوم المتهدجة .

أغمضت جفونها ، كما لو كانت هى أيضا ستروح فى النوم فى حماية تلك اليقظة ، لكنها فتحتها مرة أخرى وعادت تسترق السمع ، مركزة سمعها على إيقاع ذلك الرجل الذى يغط فى نومه . عندئذ سحبت نفسها وبحركات متسللة فتحت الخزانة ، ومن أعلى رف أخرجت فونوغرافًا قديمًا ، غريب الشكل ، يشبه خزانة صغيرة ، أبوابها الرئيسية المفتوحة تكشف عن مجموعة من أوتار آلة القانون ، فى زاوية مائلة على فتحة السماعة ، التى لم تكن شيئاً سوى دائرة صغيرة مفتوحة فى تجويف الصوت ، تحتها أبواب أخرى أصغر ، مزودة بمنظر قرص دوار أخضر ، ووضعته على المائدة . ذلك الفونوغراف كان وسيلة رفاهيتها الوحيد ، ليس كمثل المصباح رفاهية للمنزل ، بل لرفاهيتها الشخصية ، الخاصة بها . اشترته حينما كانت سيدة من لوس تابيليز تمر بالبلدة ، التقت بها فى المتجر ورأت السيدة المشغولات الصوفية التى تبيعها وطلبت منها أن تبيع لها بعض المعاطف لبناتها الصغيرات . كانت امرأة جميلة بفمها الواسع اللطيف وصوتها بلثغة الراء كأنها سيدة فرنسية ، لكنها لم تكن فرنسية ، وهذا ما جعلها تضحك . يا لكم العمل الذى قامت به ذلك الصيف ! كان ذلك حين أشبعت توقها للحصول على

www.ibtesamh.com/vb

فونوغراف واسطوانات وكل شيء سمح لها بشرائه . كان ذلك كل ما كسبت من أجله المال !

« اشتريه يا عزيزتى . مالك هو لك بالطبع ، لكن شيء جميل إذا فكرت أيضا فى شراء بنش [1] لى ، لأن العباءة الصوفية بليت ، ولأن البنش ضرورة حقيقية ، ولأنى يجب أن أحصل على المال من أجل زوج من الثيران ، فلا بأس من تبذير بعض النقود ، ولأنك تكسبين الكثير . . . لكن من الواضح ، نعم ، أنك ستشترين لنفسك الفونوغراف أيضا ، وقبل أى شيء آخر . . . » .

اشترت البنش أولا ، وبعده مباشرة الفونوغراف . لم تشعر بمثل هذه السعادة التى شعرت بها وهى عائدة إلى المنزل ، وضعت الفونوغراف على المائدة ، وراحت تستمع بنهم إلى إيقاع القالس أو الألحان العسكرية التى تقاطع فجأة لتتمكن من سماع رنين الأجراس . باعوه لها مع منحها حق اختيار اسطوانتين ، ولأنه لم يطق صبراً إزاء ترددها بعد اختيار الأسطوانة الأولى التى كان عليها القالس والموسيقى العسكرية وهى تقف حائرة أمام ألبوم كامل تنتقى منه أسطوانة أخرى . حتى قال لها ، وهو نافذ الصبر :

« قد تأخرنا . انظرى كيف غربت الشمس . علينا أن نرحل ،

---

(١) البنش : شبه عباءة فى أمريكا اللاتينية .

www.ibtesamh.com/vb

نعم . سيفاجئنا الليل ونحن واقفين هنا ، إن لم نرحل . خذى تلك الأسطوانة ، وخذى هذه ، واحدة لأنها أعجبتك والأخرى دعينا نتركها لفرصة . . » والتقط اسطوانة عشوائية من الصندوق .

اكتشفت أنها تحتوى على أغانٍ أسبانية مليئة بالرثاء ، لا هو ولا هى يحبانها ، وحاولت استبدالها دون جدوى . وبعد فترة لمَّحت بخوف لفكرة شراء المزيد من الأسطوانات ، فأجابها فى قسوة بتعبير صلصالى اعتاد أن يتقمصه عندما يرفض امراً :

« لا مزيد من الجلبة فى هذا المنزل . ما حصلت عليه يكفى ، ويمكنك أن تكتفى به »

لم تصر إطلاقًا . حين تكون بمفردها ، حين يكون مع عماله يعملون فى الحقل ، تخرج الفونوغراف ، وفى وضع محدد ، يصحبه قلق غامض ، ذلك أنها « تضيع الوقت » كما قال ، تضم يديها ومتعة لولبية تجتاح صدرها ، فتعزل نفسها تنغمر بنعومة فى الموسيقى .

لم يحب « تضييع الوقت » إطلاقًا ، وهى تعرف ذلك جيدًا ، ولم تسمح لنفسها بالانحراف فى تلك الرغبة العارمة لسماع الڤالس أو المارشات العسكرية . لكن من خلال تلك العادة بأن تخبره ، بتفاصيل اللحظة ، مهما كان ما قامت به أثناء نهارها ، عادة عودها عليها منذ بداية حياتهما الزوجية ، قالت وجفونها مفتوحة وعيونها متسعة :

« لمعت الأرضية للعمال ، وأصلحت معطفك ، وعجنت

www.ibtesamh.com/vb

العجين للبيت ..» صمتت قليلاً وأضافت بنعومة شديدة :
« استمعت قليلاً للفونوغراف ، وذلك كل شيء ..» .

« تريدين تضييع الوقت ... ذلك الوقت النافع لأشياء كثيرة تجلب الأموال ، نعم ، تضيعينه ..» قال ذلك فى نغمة صوت مختلفة ، أحيانًا يؤكد بها ضعف المرأة ، وأحيانًا يؤكد العطف والحماية بشكل لطيف ، وأحيانًا بذهول وآلية ، يعيد خصلة شعره إلى الوراء ، مشغولاً بفكرة أخرى ، وأحيانًا بقسوة وغباء يرعبها ، وهى التى لم تستطع يومًا أن تتغلب على ذلك الخضوع الغريزى المعتم لحيوانية الأنثى تجاه الرجل ، فى السنوات السابقة أخضعت نفسها لوالدها ، وفى الحاضر لزوجها . حين اشترت له ذلك الجاكت الجلدى الأسود الطويل اللامع كالشمع ، دون سابق تلميحات ، قال عنه مدير المتجر أنه مصنوع لأجل الميكانيكيين ولا يتسرب منه المطر ، كالذى يمكن أن ينهمر فى تلك المنطقة انهمارًا غزيرًا . حين اشترته وأحضرته للمنزل فى غموض ، وتركت اللفة أمام مقعده على المائدة ، حتى يجده الرجل صدفة ، رق مزاجه عندما رآه ، مسح بيده الضخمة على شعرها الناعم ، المعقوص بشريط زينة ومرفوع كتاج على رأسها .

« أنت فتاة كبيرة طيبة ، تكدحين ، كما يجب على المرأة أن تفعل ، نعم ، واسمعى ، أيتها الصغيرة ، الليلة لأنها ليلة

www.ibtesamh.com/vb

السبت ، أضيئى المصباح ، وبهذه الطريقة أتمكن من لعبة السوليتير بشكل أفضل . وحين أهجع إلى فراشى ، يمكنك البقاء فترة أخرى تستمعين إلى فونوغرافك . نعم ، ستستمعين إليه ، لكن حين أستغرق فى النوم من حقك أن تحصلى على متعتك أنت أيضًا . .»

ومن هنا ولد الطقس .

خفضت ضوء المصباح قليلاً . تسللت على أطراف أصابعها إلى النافذة وفتحتها ، تاركة نفسها لليل وصمته . عادت للمائدة ، شغّلت الفونوغراف بحرص ، ضامة يديها على بعضها البعض ، ومنتظرة .

تا - تا . . . ، تا - تا . . ، تا - تا - دوم . . .

الموسيقى العسكرية ، وفجأة اختفى كل شىء من حولها ، اختفى مغمورًا بنغمات الأبواق ودقات الطبول العالية ، ساحبًا إياها من الزمن ، حتى تركها فى ساحة البلدة الشمالية ، بعد قدّاس الساعة الحادية عشر فى يوم أحد غير ممطر ، اندمجت مع عصا قائد الفرقة الموسيقية طيلة السلم الكبير ، وتبعتها ، تتحرك فى خطوات ، أخذت الفرقة الحركة الأخيرة بطريقة استعراضية ، بصحبة الأطفال المتجمعين فى المقدمة ، وانخرط كلب بين أقدامهم الراكضة ، بينما السيدات فى مقعدهن التقليدى يعلقّن على المشكلات التافهة ، ويتحدث الرجال عن موسم حصاد

www.ibtesamh.com/vb

العنب ، أما هى وشقيقاتها ، وصديقاتها ، ذراعًا فى ذراع ، وضفائر شعورهن المشدودة تنزلق على صدورهن التى تموج بالتنهدات ، يرحن ويجئن أمام البالغين ، مارات خلال مجموعات الأولاد ، الذين لا يبدو عليهم أنهم يروهن ، وعند تركيز أنظارهم عليهن لم يروا إلا واحدة فقط كما لو كانوا عطاشى لماء منعش ، من نبع حقيقى ، بأفواه شبقة تزدهر بالرغبة .

كانت مناسبة لاستعراض الملابس الجديدة ، وردية اللون أو ذات لون أزرق سماوى ، أو حمراء أو بلون البحر ، وكان ذلك يعنى أنه من خلال سماء ذات لون أزرق باهت ، بها قليل من السحب تسقط وبرها ، وقد حملت الريح آخر ورقة من الذهب الداكن . تدكرت بشكل خاص معطفًا أحمر بياقة مستديرة من الفراء الأبيض ، مجعدة وناعمة على وجهها ، وغطاء اليدين الفراء كبرميل صغير ، معلق فى الياقة بشريط من القيطان أبيض اللون أيضًا ، وتحذيرات الأم :

« ضعى يديك فى غطاء اليدين الفرو ، ولا تخرجيها » .

وأضافت بعد صمت متأمل :« بالطبع يمكنك أن تلقى التحية للناس . . » .

ظللن يرحن ويجئن ذراعًا فى ذراع . تهامسن بأشياء غير مفهومة ، ثقة فى أنه لا أحد يسمعهن ، وضممن رؤوسهن معًا ، وهمسن فى سرية بألفاظ واضحة ، وفجأة جفلّن على انطلاق

www.ibtesamh.com/vb

ضحكة طويلة أربكت الأشجار لأنه لم يكن موسم أعشاش الطيور ، أو أنها استفزت الأشجار لتتمايل استحسانًا لو كان ذلك فى وقت آخر من السنة حين تحاول الطيور إضافة تعليقاتها الخاصة على تلك الأصوات الموسيقية . أحيانًا ، لا ، ذات مرة بعينها رفعت وجهها لتتمكن من التقاط الضحكة التى تبدو دائمًا كأنها تسقط عليها من أعلى ، ومن ذلك المنظور القريب عثرت عيناها على نظرة متفحصة من زوج من العيون الخضر ، خضر كالعشب الطازج ، وفى وجه ولد لفحته الشمس ، قوى ، مفعم كالحقل النابت . للحظة فقط . لكنها لحظة تُحمل إلى البيت وتُدخر ، وتتمكن من أعماق قلبها ، وتشعر بوخزة ألم وإحساس بالدفء ، وفجأة تتعذب برغبة غامضة فى أن تبكى ، وأن تمرر أطراف أصابعها الرقيقة على شفتيها ، أثناء القراءة ، أثناء تأدية أعمال المنزل ، فى الحلم ، لو تراه ثانية . لو تشعر بذلك الشعور الذى تختلج به مرة أخرى حتى لا تتوقف الحياة فى شرايينها ، لأن تلك اللحظة التى انصبت عليها النظرات الخضراء لذلك الولد هى سبب وجودها . من هو ؟ هل هو من البلدة ؟ لا . هل هو شخص مألوف ؟ لا . ربما جاء من منطقة قريبة ليقضى عطلة الصيف هنا . ظلت تحرس كنزها السرى . . . قليلاً ما تتكلم ، نادرًا ما تضحك ، لكن عيونها اتسعت ، لتغمر وجهها فى البحث عن تلك الصورة الظلية القوية لذلك الولد ،

www.ibtesamh.com/vb

الذى يرتدى ملابس مختلفة عما يرتديه صبية البلدة . وصل فى عربة صغيرة . تركته عند النادى . ذهب إلى القدَّاس . راقبته من بعيد ، منتبهة ، حذرة ، فى بيت الكاهن ، مع مجموعة من الرجال . حين انتهى القدَّاس ، ذهب إلى متجر الحلوى ، ملأ العربة باللفف ، ثم سار حول الساحة ليذهب إلى مكتب البريد ، عاد نفس الخطوات ، دلف إلى العربة ورحل .

كان من الواضح أن الفتيات الأخريات قد لاحظنه ، ومتن على أنفسهن ضحكًا من غرابة ملابسه ، بنطلونه الخاص بلعبة الجولف أو الفروسية (بنطلون باجى) . فإلى يأسها الخفى .

استمرت الموسيقى العسكرية تملأ المنزل بالأصوات المتناغمة ، دقت الأجراس كأنها تجلجل مثل أيام الآحاد ، حين يقام القدَّاس الكبير ، لكن هذه كانت أكثر طنطنة ، أكثر تناغمًا ، كأنها بينما تجلجل ، تختلط بمتعة تخفق بلا نقر .

انتهت الموسيقى العسكرية . رفعت الإبرة ، وضعتها مرة أخرى ، رفعت الأسطوانة ، والآن بدأت موسيقى الڤالس تنتشر حول المائدة ، كأنها ترقص ، نقرات تخلق فقاقيع من الصابون ، أحيانًا ببطء ، وأحيانًا بسرعة ، تطلق ألوانها المشرقة .

لم تعرف اسمه إطلاقًا ، ولا من هو ، ولا من أين أتى . ذات أحد لم يظهر . ولا الأحد الذى يليه ، ولا أى أحد بعد ذلك . أثارت إحدى الفتيات الموضوع .

www.ibtesamh.com/vb

« أتساءل ما الذى حدث « للبنطلون الباجى » ؟

أجابتها أخرى : « ربما تكون كالشونا الساحرة قد التهمته » وانفجرن فى الضحك .

شعرت بألم خفيف فى صدرها ، ونشبت مخالب الأسى الحادة فى حلقها . توترت أطراف فمها ، وملأت عيناها وجهها كما لم يحدث من قبل . ذات مرة فى المنزل ، بحثت عن أكثر الأركان عزلة ، فى غرفة الخزين ، بين صندوق البيانو وكومة من المراتب ، وهناك أزاحت أحزانها ، فتحت قلبها ، سمحت لآلامها أن تخرج وتطوقها بعباءتها الحريرية ، وتلتحم بها كجلد جديد ، رطب ومؤلم . غمرت الدموع وجهها . لن تراه ثانية ، ازداد فيض الدموع . أى نظرة تلك التى سحرتها ؟ تلك النار التى تعتمل داخلها ، لم تعرف كيف ، كأنها تنتظر بتوق سعادة مجهولة . اسمه ؟ . . . إيريك . . . جون . . جوسيه . . . همبرتو . . وإذا كان اسمه رومولدو ، كاسم جدها ، لا يهم . ستحبه دائمًا ، مهما يكن اسمه . . . ستحبه . . تحبه . . تحبه بالطريقة التى تحب بها المرأة ، لأنها بالفعل امرأة وأعوامها الخمسة عشر تنضج فى صدرها المتبرعم ، تكسب مناطقها الحميمة نعومة ، وتمنح صوتها رعشة غامضة مفاجئة . ستحبه للأبد . بدا أنها ستنفجر فى البكاء . وفجأة سكنت ، تنهدت فى سكون ، دون دموع ، خف أساها ، صار بعيداً وبلا شكل .

www.ibtesamh.com/vb

تنهدت مرة أخرى . مسحت عينيها ، ووجدت نفسها تفكر فى أنه من المحتمل أنهم يبحثون عنها فى كل ركن بالمنزل ، عليها أن تغسل وجهها المسفوع بالدمع ، . .نعم ، كان من العار أن تعترف بذلك ، لكنها جائعة ، وخرجت برقة من بين أكوام الأشياء المخزونة ، تراقب بحذر حتى تخرج دون أن يراها أحد ، وتذهب لتنعش وجهها فى حوض الماء فى الفناء . حملقت فيها والدتها صدفة ، فرأتها مرتبكة ، وتمتمت مكررة :

« يا لها من امرأة تلك التى صارت إليها فتاتى الصغيرة » .

كان الوالد أكثر تحديدًا فى تعليقه ، وقال بأعلى صوته .

« انظرى ماكلوفيا ، لابد أن نزوج هذه الفتاة بأسرع ما يمكن » .

خمس سنوات تبكى أساها بين صندوق البيانو وكومة المراتب . لم يكتشف أحد أى شىء إطلاقًا . رفعوا ضفائرها ، التى كانت حتى ذلك الحين تجدلها كتاج حول رأسها . أطالوا كل أثوابها . لم يقل أحد أنها جميلة ، لكن ولا رجل واحد لم يحملق فيها عندما يراها ، يتوه فى تأمل عينيها الرماديتين ، شاعرًا بشىء من الدوار عند النظر إلى فمها الأحمر المكتنز المتوتر . كان حضورها لطيفًا ومعتدلاً . كان عليها حماية ذكرياتها ، لتحافظ على حلمها آمنًا ، ويمكنها ذلك فقط فى أرض من الصمت . كان الرجال ينظرون إليها ويتوقفوا أمامها

www.ibtesamh.com/vb

تمامًا ، لكن جميعهم بلا استثناء يجرون وراء الفتيات الأخريات اللاتى كن أكثر استقبالاً لغزلهم .

ذات يوم قدَّم الأب زوج المستقبل ، كان رجلاً من الجنوب ، يمتلك مزرعة وجزءاً من ضيعة لعائلة قديمة فى المنطقة ، بالفعل كان كبيراً فى السن ، بالطبع ليس « عريق الأصل » هذا ما قالته أمها ، كما أضافت أيضًا : « صيد طيب » .

بلا مبالاة ، سمحت لهم بتفسير خضوعها بينهم ، وزوجوها . هذا الرجل أو ذاك ، لا فرق بالنسبة لها ، لأنه ولا واحد منهم رجلها ، الرجل الذى أحبت ، النظرة الخضراء التى ملأت دمها بالحنان . هذا الرجل ؟ الآخر ؟ ماذا يهم ؟ وكان عليها أن تتزوج ، طبقًا لما قالته أمها ، بابتسامة واقتناع . وطبقًا لما أمر به والدها بصوته الرعدى الذى لا يقبل الاعتراض .

تذكرت انزعاجها من ثوب الزفاف الذى ضايق أصداغها ، وخوفها الشديد أن تتمزق طرحتها . همس العريس :

« إنه باهظ الثمن . . انتبهى له . . »

انتهت موسيقى الفالس . للحظة ملأ الصمت البيت ، صمت مطبق تمامًا ، صمت مؤذ ، لأنه جعل المرأة تحس بحضور قلبها ، ورعب شديد فتح فمها ، وعندئذٍ سمعت لهاث أنفاسها ، لكنها أحست كذلك بالغطيط الصادر من الحجرة

www.ibtesamh.com/vb

الأخرى يتوقف حين قُطعت الموسيقى ، وطبقة من طبقات العقل الباطن المهدئة تهيمن مرة أخرى على الرجل النائم . ثم سمعت صرصارًا فى الفناء . رفعت نفسها ببطء ونظرت للخارج فى الحقل الأسود الفسيح الذى كانت تعرف أنه خالٍ دون أى شىء فى الفراغ ، سوى رنين الفضاء . خالٍ ، أملس ، وفى منتصفه هى ذاتها ويقظتها ، تحاصر الذكريات ، تعانق الماضى . تائهة فى الأرض الملساء ، دون أحد يرافق حنانها ، ينظر إليها ويثير داخلها تلك العاطفة التى تحركت فى دمها من قبل ، وجعلت فمها يرتجف بلمسة مرتعشة من أصابعها . وحيدة .

عادت للفونوغراف . تمنت أن تكرر التجربة السحرية ، أن تعيد نشر المقطوعة اللحنية لتتخلل تلك الصورة مرة أخرى . لكن لا . دقت الساعة دقة واحدة . العاشرة والنصف . لو يستيقظ .

بنفس الحذر كما لو كان شخصًا يقود كائنات حية وامضة ، أعادت الفونوغراف والأسطوانات إلى مكانها ، وأغلقت الخزانة ، ووضعت المفتاح فى جيبها ، ثم أخرجت من الخزانة الخزفية شمعدانًا صغيرًا وأشعلت شمعة .

وأطفأت المصباح .

وخرجت إلى الممر ، تتبع وهج الضوء الغامض ، تلاحقها ظلال كابوسية ترتطم ببعضها البعض .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

عندما حملت بودنج االأرز إلى حجرة الطعام ، اعتقدت أنها قامت بآخر رحلة لهذا المساء ، وبمقدورها الجلوس فى انتظار رحيل الضيف ، لكن الرجلين ، وبينهما المصباح ، راحا يأكلان بملاعقهما فى سعادة كالأطفال ، وبمجرد أن مسحا أطباقهما ، رفعا رأسيهما وجلسا يحملقان فيها ، بلهفة ولعابهما يسيل .

قالت وهى تضع طبق الفاكهة أمامهما : « اخدما نفسيكما قليلاً » .

قال الضيف مؤيدًا : « بالطبع يا سيدتى ، إنها حقًا سعادة أن نأكل هذا » ، وأضاف الرجل الآخر بطريقة واثقة لأن الخمر كانت قد انتشرت فى جسمه : ذلك أن الفتاة الكبيرة لها يد طيبة فى كل هذه الأشياء ، الأشياء التى علموها إياها فى المدرسة . أمر يستحق المعاناة أن تحظى بزوجة متعلمة يا صديقى ، نعم ، أقول لك ذلك صدقنى » .

انتظرت قلقة فى مقعدها ، يداها موضوعتان بأدب على مفرش المائدة . أكلا أثناء النهار كثيرًا من فخذة اللحم ، أما الخمر التى كانت فى إناء فخارى كبير فقد نفدت تقريبا . سيطول الانتظار بالتأكيد لحتمية أحاديث العشاء ، ثم يرحل الضيف ، فمنزله بعيد ، ويبدو أن الليلة عاصفة ، عبر خلفية باهتة النجوم ، هناك السحب الضخمة التى تنذر بصنع أشكال ثم تلاشيها .

جذب صوت الرجل انتباهها :

www.ibtesamh.com/vb

« وتلك القهوة ؟ أسرعى لأن القطار لن ينتظر . . » وضحك على جملته ، ضاربًا المائدة بقبضته جاعلاً المصباح يتمايل للأمام والخلف .

رحلاتها إلى المطبخ لم تنته . . خرجت إلى الممر، تفكر ، محبطة ، إن النار توشك أن تنطفئ ولكى تشعلها ثانية يتطلب ذلك وقتًا ، لكن تحت الرماد يخفق لون الجمرات الحمراء مما جعلها تكاد تضحك ، والماء يغلى بسرعة ، وإناء القهوة يبدو على منظره الأهمية بطبقتيه ، كان على الصينية ، وكانت هى مرة أخرى تسير عبر المنزل المظلم ، لأن الضوء العاكس بدا كأنه يكشف الظلام فى الأركان .

تباطأ الرجلان فى حجرة الطعام ، مقتصدين فى الكلام ، مازالا متجهمين كعادة الكرويليين ، لأن تلك الوجبة أعدت لإتمام صفقة بيع بعض الخنازير التى حضر الضيف من البلدة لرؤيتها ، وقضى المساء فى الحسابات : « سأسأل عن هذا وأعرض عليك ذاك » ولا يزالا لم يصلا إلى أى شىء محدد . قال الضيف : « يوم الإثنين سأبعث لك برسول يحمل الإجابة » . « بل غدًا الأحد ، علىّ أن أقدم الرد لأحد الشركاء المهتم أيضًا بالموضوع ، وليس فى مقدورى التأجيل أكثر من ذلك ، أنت تفهم بالتأكيد ، ليس من الصواب أن أتركه ينتظر ، وأحنث بوعدى له ، ثم تحنث أنت بوعدك وأفقد زبونًا جيدًا . . »

- أنت الذى تصر على تلك الأسعار . .

www.ibtesamh.com/vb

- ذلك لأن الخنازير تستحق يا صديقى ، لن تجد أفضل منها . لا يوجد مثل صغارها فى أى مكان حولك ، أنت تعلم ذلك جيدًا ، نعم . . .

أحضرت المرأة الفناجين والسكر ، قدمت لهما القهوة ، وتركتهما يصلان إلى حل بصدد أعمالهما بسرعة حتى ينطلق الضيف فى طريقه ! وجلست مرة أخرى فى نفس الوضع السابق ، كأنها ورقة كرتونية منفصلة وضعت هكذا ، شديدة الاعتدال ، لا تعبر عن شيء ، وغامضة لدرجة أن الرجلين التفتا فجأة لينظرا إليها كأنهما انجذبا بتلك القوة الوجدانية المنبعثة منها . قال الضيف :

« السيدة شديدة الهدوء ! »

أما الرجل فقال فى قلق غامض لا يعرف له سببًا :

« قدمى لنا بعض الخمر »

نهضت مرة أخرى ، لكن هذه المرة لم تذهب إلى المطبخ ، فتحت الخزانة ووقفت على أطراف أصابعها لتصل إلى الزجاجة الموضوعة فى ركن خلف الفونوغراف . قال الضيف الذى كان يراقبها بقلق :

« هل تريدين مساعدتى يا سيدتى ؟ الزجاجة عالية عليك »

هتف الرجل قائلاً : « انظر إليها ، كيف تثير الزجاجة المتاعب . . مثل المرأة تمامًا ، لكن لهذا السبب أنا هنا ، نعم . . » ونهض ليجلبها .

www.ibtesamh.com/vb

ارتطمت يداه بالفونوغراف ، فأضاف بسعادة لعثوره على رمز آخر للاحترام يمنحه للضيف :

« لنطلب من السيدة أن تدير لنا الفونوغراف قليلاً . أنا أسميه (سبب ضجيجها) لأنك سترى كيف سيصدر أصواتًا عالية حادة ، لكنها تحبه ، وأنا أسمح لها بالاستمتاع به . هذه هى طريقتى ، نعم . أديرى شيئًا ليسمعه صديقى . ضعى أجمل أسطوانة . لكن أولاً قدمى لنا شيئًا ، نعم ...» .

وضع الزجاجة والفونوغراف على حافة المائدة . ظلت المرأة ساكنة ، تستمع لما يقوله الرجل ، لكن حين أغلقت اليدان الضخمتان الخزانة الصغيرة ، بدأ نوع من الامتعاض يموج فى صدرها ، ببطء ، بقدر ضئيل جدًا فى البداية . الفونوغراف شىء خاص بها تمتلكه وحدها ، ولا يحق لأى شخص آخر . لم يسبق لأى شخص آخر أن أداره ، فيما عداها هى شخصيا بيديها ، اللتين كانت تعشقانه ، كأنها تلمس طفلا . ابتلعت ريقها بصعوبة ثم عضت على أسنانها ، كاشفة عن حافة فكها الصلبة ، الذى يشبه فك والدها وجدها البعيد ، جدها الذى نزح من بلاد الباسك [1] . ظنت أن خمر الأجارديان المحلية ستجعلهما ينسيان الموسيقى ، وبدلا من الكئوس الصغيرة الخضراء

---

(١) الباسكيين : هم شعب مجهول الأصل يقطن مناطق البرانس الغربية فى فرنسا وأسبانيا .

www.ibtesamh.com/vb

المخادعة ، أخرجت كئوس الخمر الكبيرة وملأتها إلى منتصفها . استنشق الرجلان الخمر ثم رفعا عيونهما فى آن واحد وهما يشخشخان الكئوس وقالا معًا :

« فى صحتك! » .

وأفرغا كأسيهما دفعة واحدة .

قال الرجل : « هذه خمر الأجارديان! » .

أجاب الضيف بصفارة بدت مصطدمة بفمه المتغضن ، إيماءة بالخدر ، لأن شيئا ما بدأ يرقص فى عضلاته دون إرادته ، مما جعله يبدو مرتبكاً فى هذه الحالة وسعيدًا جدًا داخله .

اقترح الرجل قائلاً : « دعنا نكمل حديثنا عن الصفقة ، فكرة جيدة أن نقرر الآن ، نعم ، أسعارى معقولة ، كما ستعرف فعلاً ، بل أنت تعرف كذلك أنك ستحصل على خنازير ستجلب لك ضعف هذا الثمن ، نعم ، إنها تربت فى حظيرة وذكورها كلها تقريبًا من سلالة جيدة ، خنازير صالحة للأكل . . . » .

ابتسم الرجل الآخر بترو وأومأ موافقًا .

سأل الرجل : « إنها صفقة طيبة إذن ، أليس كذلك ؟ » .

« خمر الأجارديان خمر طيبة لا يشرب المرء أفضل منها فى هذه النواحى ، ولا حتى فى فندق بينيروز » .

كان غريبًا ذلك الشعور الذى أحس به ، لا يزال ذلك النوع من الحركة العضلية التى صارت الآن تستقطب فى ركبتيه وتدفع

www.ibtesamh.com/vb

ساقيه فى كل اتجاه ، بلا قدرة على ضبطها ، كأنه مهرج . وكان سعيدًا جدًا .

« خمر أجارديان طيبة . بالطبع ، نعم . . . إنها هدية من حماى ، الذى يسكن فى منطقة تشتهر بالكرم ، ويتاجر فى الخمور من أفضل الأصناف . هل تمت الصفقة ؟ » .

سأل بغباء : « أية صفقة ؟ » منتبها لرغبته فى الضحك ، ولاستحالة ضحكه ، وشعوره بالغم الذى بدأ يتابه ، وقدماه تحت المائدة ترقصان ، وترقصان . . .

« صفقة الخنازير ، نعم . . . » .

« أوه ! حقا . . . لكن ألم تكن السيدة ستدير ال . . . ، ماذا تسميه . . . ، ال . . . ، حسنا . . . الفونوغراف ؟ » .

كرهته المرأة بعنف قد يدمره لو تحول إلى أمر ملموس . كل الكلمات المشينة التى سمعتها طوال حياتها ، ولم تنطقها أبدًا ، فجأة واتت ذاكرتها ، وبدت حية لها حتى أنها اندهشت أنهما لم يلتفتا لينظرا إليها ، خائفة وصامتة فى وجه هذا الهَاوى الوقح .

« الصفقة؟ » .

« موسيقى . . . ، موسيقى . . . ، الحياة قصيرة وعلى المرء أن يستمتع بها . . . » .

لكن بدلاً من وصول يدها إلى الفونوغراف ، مدت المرأة

www.ibtesamh.com/vb

يدها تجاه الزجاجة ومرة أخرى قدمت لهما الخمر ، متسببة فى طفحها خارج الكئوس .

ولأن كل منهما كان غارقا فى أفكاره الخاصة ، لم ير الكأس أمامه ، كانت هى التى قالت فجأة بود :

« اخدما نفسيكما ! » وأشارت بيدها إشارة دعوة بغير حماس ، نوع من التحية بقيت معلقة فى الهواء ، بينما راحت تراقبهما وهما يشربان ، وأدهشها صوتها الأجش وهى تلقى بالنخب : « فى صحتكما ! »

أصر الرجل : « الصفقة ؟ » ولسانه يرتبك فى إخراج الحروف .

لم يسمع الرجل الآخر شيئًا ، لكنه شعر فقط بتيار القلق ينمو ، وفى الوقت نفسه كأنه يسمع حشرة الحصاد تبدأ فى نشرها الليلى المستمر . ولماذا ترقص ساقيه ؟ « أخى ، أنا رجل طيب . . . لا أستحق هذا . . » وتحول القلق إلى زغطة . لا أريد ساقى أن ترقص ، ساقى تخصانى ، تخصانى . . الموسيقى . . »

صرخ هكذا فجأة ونهض نصف نهضة ، لكنه فقد قوته وسقط على رأس المائدة .

راقبتهما المرأة ، صامتة ، وعيناها مفتوحتان على آخرهما دون تعبير ، ساطعتان جدًا ، كبيرتان جدًا فى لونهما الرمادى .

www.ibtesamh.com/vb

لن يقتربا من فونوغرافها مرة ثانية ، لن يمسكا به ، إنه ملكها ، داخله حياتها الخاصة ، تحررها من الأيام معدومة الألوان . ظاهريًا كانت شبيهة بالأرض المنبسطة ، مسطحة ، يرغب زوجها فى ضربها كالريح ، لكن مثل تيار الماء يمر بكل أشكاله تحت سطح الأرض ، هكذا كانت داخل نفسها بها ماء يغنى ، يقول أشياءً من الماضى . الموسيقى تخصها . تخصها هى ، والويل لأى شخص يقترب منها !

لكن الضيف مد يدًا ثقيلة ووضعها على أبواب الفونوغراف الصغيرة ، محاولاً فتحه . لكنه لم يفتحه ، لأنها وقفت بعنف وجذبت يده بخشونة وقالت بخشونة أيضًا :

« لا ، هذا ملكى »

نظر الضيف إليها ، بفم متغضن محاولاً أن يتذكر شيئًا نسيه فجأة تذكر . ومرة أخرى مد يده التى أبعدتها من على مزلاج الباب الصغير .

« أقول لك لا ! »

« انظر يا أخى كيف تهيننى . . . »

يصر الرجل بشره :

« الصفقة ؟ »

يجيبه الضيف بعناد : « موسيقى . . »

« لماذا لا تشغلين شيئًا ؟ هيا أسمعينا بعض الموسيقى ،

www.ibtesamh.com/vb

نعم ، شيئًا تحبينه . ألا ترين أننا ننهى الصفقة ؟ »

لن يضع يديه على الفونوغراف . إلا ذلك ، إطلاقًا . رفع الضيف نفسه ، وهذه المرة أطاعته عضلاته . لكن المرأة حالت دون الهجمة ، ووضعت نفسها فى المنتصف دفاعًا . لف الرجل الآخر حول حجرة الطعام ، حتى اصطدم بالحائط ، ودار على عقبيه مضطرمًا بدافع إجرامى ، معميًا عن أى شىء سوى فكرته الخاصة .

« موسيقى . . . ، موسيقى . . »

سأل الرجل : « هل جنّت ؟ ماذا حدث لها ؟ »

كان الضيف يقف بأعلى منها وهى بأعلى من الفونوغراف ، تدافع عنه بجسدها كله . تصارعا . نظر الرجل إليهما لحظة ، مذهولاً وهو يكرر :

« هل جنّت ؟ هل جنّت ؟ »

لكن حين أطلق الضيف صرخة حادة لأن أسنان المرأة كانت مغروسة فى يده ، اندفع ليفصل بينهما ، مدافعًا عن صديقه ، مدافعًا عن صفقته ، فصفقته تكاد تتم .

قاومتهما وعضتهما ، كحيوان هائج ، كأنها حيوان الكوجر فى الصحراء وهو يدافع عن صغاره . لم يعرف الرجلان لماذا تلكمهما ، لماذا تدحرجا على الأرض ، لماذا تدور المائدة ويهتز ضوء المصباح للخلف والأمام فى حركة أرجوحية أسوأ

www.ibtesamh.com/vb

مما يشعران به فى معدتيهما . سقط الفونوغراف متهشمًا ، وانعكس الضوء على أسلاكه ، كتفجع أيكة من الأشجار نزعت أوراقها ريح قوية . كان الضيف يجلس على الأرض فى ذهول وفجأة انفجر باكيًا فى نشيج قاطعاً زغطته . انحنى الرجل على النافذة ، مندهشًا لكل شىء وناظرًا إلى المرأة : ثيابها ممزقة ، تسريحة شعرها الرائعة مهوشة ، خدش طويل على وجهها ، تنظف نفسها بمريلة حمراء بالدم ، بلوزتها ملطخة ، تجمع قطع الأسطوانة المحطمة على الأرض بعناد وهى تنظر إليهما وتنشج ، تمسح الدم من على جسمها ، تنشج وهى تبحث عن المزيد من القطع وتنظف نفسها من الدم وتنشج .

لكن الضيف يحول انتباهه بزغطة هائلة .

« أخى . . ، كنت أعتقد أننى فى بيت أخى . . . أنا أُهنت . . أنا . . . » كان يتحدث متلعثمًا وهو يرثى ذاته ويبكى .

« لا تبكِ مرة أخرى يا أخى » وفجأة عاد إلى فكرته ، وبصوت مفعم بالقلق والرقة : « الصفقة ؟ »

صاحت المرأة : « خنزير ، أنت لست أكثر من خنزير . . »

وبذراعها المحمل بالقطع غادرت حجرة الطعام ، صفقت الباب صفقة مدوية أفزعت الفئران فى العلّية وجعلت الكلب يحملق فيها بشكل متواصل ، بعينين لامعتين تومضان فى الظلام .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

فى الخارج تثير الريح الأتربة ، طليقة العنان فى سرعة هائجة ، تضاعفت السحب على بعضها البعض بشدة ، معتمة وسوداء ، تضفى خيمة مظلمة طوقت المكان ولم تسمح برؤية أى شىء . كما لو كانت لعناصر لم تعد ترى منفصلة . صفَّر صرصار الليل بثبات مذكرًا بوجوده .

فرت ، ضاغطة على صدرها أجزاء الأسطوانات المتناثرة وهى ترحل ، شاعرة بتدفق الدم من الجرح ، دافئاً وكثيفاً على رقبتها ، متخذًا طريقه من الداخل إلى بشرة صدرها الناعمة . سارت برأس منكس ، تشق الظلام والريح . سارت . كان البيت بعيدًا ، ليس فقط مختفيًا بالظلام . الصرصار ، لا يمكن إسكاته ، تركته خلفها فى عناد بلا جدوى . استطاعت الخروج إلى الأرض المنبسطة ، ولتصبح الكائن الحى الرئيسى فى هذه العزلة الموحشة . استطاعت الوصول إلى وادٍ محاط بالأنهار والجروف ، استطاعت أن تسير وتسير بلا نهاية ، حتى شعرت بالإنهاك على أرض صلبة ، مرتفعة بسواء أعشاب متماثلة معها ، استطاعت فجأة أن تنزلق عبر هذا المنحدر الضيق وتصطدم بأحجار النهر الناعمة المحاطة بالرمال الحمراء ، ومن الممكن . . . أى شىء من الممكن حدوثه فى ظلام هذا الكون المرتبك الفزع ، لكن بالنسبة لها لا شىء يهم .

لتنهى كل هذا تمامًا . لتمت على الأرض ، لتتحطم على

www.ibtesamh.com/vb

المنحدر الضيق ، لا للشعور بالمزيد من تلك الحمى الآكلة ، المرة فى فمها وهى تنشب براثنها داخلها . لتنهى كل هذا . لا لأى مجهود آخر لمعرفة ملامح معينة ليوم تثابر بعناد لتخرج منه تفاصيله المبهمة حتى يمكنها تمييزه . لا للعيش كماكينة بين فوضى الأعمال المنزلية . وشغل الصوف ، متطلعة ليوم سبت يأتى لتأكل فيه فتات الذكريات التى لم تستطع اشباع توق قلبها للحنان . لتضع حدًا للخسة المحيطة بها ، المتنكرة تحت : « افعلى كما تشائين ، لكن . . » المفعمة بالوسوسة ، والحذر الخفى . لا للمزيد من وجودها . لا للعودة مرة أخرى للمنزل وأن تجد نفسها تبلغ عما قامت به وما أنتجته ، مستمعة للتلميحات بما يجب عليها شراؤه وما يجب عليه كسبه . لا للكالو فى يديها وهى تسحق الحنطة ، ولا لدمع عينيها من دخان الفرن ، ولا للشعور بألم جذعها أمام حوض الغسيل ، لا لبذل أقصى جهد فى طلاء لوح صغير وصنع رف ، ولا للصق الورق على حوائط الحجرات ، ولا زخرفتها بالزهور محاكية لحديقة . إطلاقًا . ولا للعودة للشعور بثقله عليها ، لاهثًا ومبللاً بالعرق ، ثقيلاً دون أن يحرك فيها أى شعور اللهم إلا الاشمئزاز المستتر . إطلاقًا .

الأذى ، الذى كان يحوله الهواء إلى برد مؤلم كجرح غائر . لمسته ووجدت فى الدم شيئًا صلبًا . قطعة زجاج . قطعة فى

www.ibtesamh.com/vb

حجم مسمار تشظت من الزجاج المهشم وأخفت نفسها فى الجرح أثناء الاشتباك . لم تدرك متى حدث ذلك . وبنوع من تبلد الشعور تجاه الألم ، حركتها لتسحبها . أطلقت آهة . لكن بغضب من نفسها ، فى سحبة سريعة مزقت لحمها أكثر عمقًا ، ثم سحبتها وألقت بها .

سال الدم بين أصابعها ، وحول رقبتها ، وعلى ثدييها . جسدها كله ملطخ ولزج ، استمرت فى السير ، لتتلاشى . لكن أولاً لتنشج ، وتصرخ ، وتولول . تندفع الريح ، بضيوفها ، فى طريقها داخلها من خلال لحمها المفتوح ، وتجعل من الألم شيئًا لا يطاق . لا يزال ألمًا عظيمًا ، أكثر حدة من أى ألم آخر يحطم مشاعرها . فجأة اليد التى كانت تمسك بالمريلة ، ولا تزال ممسكة بالأسطوانات المهشمة ، أرخت قبضتها ووقع كل شىء على الأرض . خطت خطوات قليلة ثم سقطت على الأرض تنشج . الأصوات التى تمسك بها الريح بيدها القوية . . بعثرتها على المنطقة المحيطة .

كأن الدموع فى تلك العيون الصافية استطاعت أن تصبح أخيرًا دموعًا . لديها شعور أن فمها مفتوح لتلك الدموع ، وشعرت كذلك بالضجة الغريبة المندفعة فى حلقها وجفونها المسفوعة وجبينها المغضن ، وبالملح المترسب من دموعها كأنه يد تنشب أظافرها فى الجرح ، بقسوة مؤلمة ، ويسيل الدم بين

www.ibtesamh.com/vb

أصابعها وعلى خصلة شعر من المفترض أن تنسدل وترتاح على ظهرها . سندت نفسها على ساعديها ، وأدارت رأسها ، وأطلقت صرخة حادة بسبب أنفاس ساخنة لمست وجهها ومخلوق غير آدمى أرعبها لدرجة فقدان الوعى .

أخذ الكلب يتشممها ، ويلعق يديها ، ثم مد أنفه متكهنا بنذير نحس ، وأطلق نباحًا عاليًا صوب القمر . لعق وجه المرأة فأدركت من فورها أنه الكلب ، رغم أنها لا تعرف أين هى . . جلست فجأة ، وفجأة أيضًا تذكرت موقفها الراهن .

كان الموقف غريباً جداً ، كأنها لم تعشه . تقريبًا كالشعور بالكابوس الناشئ عن عقلها الباطن . هل هى هاربة من حلم ؟ هل هى عائدة من حقيقة ؟ . . تحركت محاولة لمس الكلب الذى كان يدور حولها فى قلق ، هذه الحركة منحتها شكلاً أكيدًا للحقائق . أطلقت أنينًا فسعى الكلب إلى وجهها مرة أخرى . لكنها دفعته جانبًا ، تجبره أن يرقد بجوارها . ضغطت على الجرح الذى كان ينزف دمًا ثانية ، ويلسعها كأنها تحترق .

من الممكن أن تنزف حتى الموت . أن تبقى كما هى ، ساكنة فى الليل ، فى تودد الكلب بالقرب منها حتى يفرغ دمها تمامًا وتفرغ بذلك حياتها ، تلك الحياة البغيضة التى لم ترد أن تجعل منها حكرًا لمنفعة شخص آخر . فلتتخلص منها ، ولتثأر لحالة ذلها المتواصل ، وللاعتداءات المتراكمة فى صمت ،

www.ibtesamh.com/vb

ولغيظها من وجودها المحبط . لتنزع نفسها من وسط الأشياء المنعزلة فربما يكون هذا عقابًا للرجل الذى ليس لديه أحد يعمل لأجله ، ويقدم ويعطى حسابًا للأعمال والأفكار ، تلاشت آلة متعته وعليه أن يدفع غاليًا ليحظى بآلة أخرى شديدة الكمال كما كانت هى . لن تراه مرة أخرى . إطلاقًا . لن تضع أمامه وجبة منتصف النهار وتراه يمضغ الطعام بأسنانه التى يدعو بياضها للدهشة . ولا أن ترى نظرته تغيم عندما تجعله الرغبة يمد يده على جسدها المتملص بلا جدوى ، لن تعرف حيرته أمام الحسابات السرية . « ستشترين هذا ، لأن مبلغ النقود القليل هذا علينا إخفاؤه ، ثم نشترى حين يتاح حقل أوريولاس الغارق فى الديون وسيضطر فى النهاية للبيع ، نعم ، أو حقل أرملة فالادريس ، التى لن تتمكن من الحفاظ على ممتلكاتها بهذا العدد من الأطفال ، وستضطر لعرضه للبيع فى المزاد العلنى ، بسبب الرهونات . . . » ينتظر بصبر كالنسر لحظة يتمكن من أن ينقض فيها على فريسته . الأرض . وكل الأشياء عنده خاضعة لذلك . للبيع . للمساومة . للنقود . ولشراء الأرض ثم الأرض .

لن تكون بعد ذلك ، لن تفكر بعد ذلك . فلتشعر بالدم ينزلق بين أصابعها ، جاريًا بكثافة على صدرها ، متجمعًا فى حجرها . خامدًا تنهداتها .

www.ibtesamh.com/vb

يعوى الكلب الآن بخفوت ، قلقًا أكثر فأكثر . فتحت المرأة عينيها فجأة ، عيناها التى لم يعد بها المزيد من الدموع أكثر من بريق الحدقة ، وواجهت الحقيقة وجهًا لوجه : أن تموت معناه كذلك ألا تستطيع الاحتفاظ بذكريات الماضى بعد ذلك ، ذلك الكنز المخبوء فى صدرها بصوره عن الحب . لن يمكنها أن تتذكره بعد ذلك إطلاقًا . . . أن تتذكر ماذا ؟ وفى صور سريعة ومفككة ركبتها على بعضها ، قطع من مناظر ، أجزاء من جمل ، رأت أمها جالسة فى مدخل البوابة الكبيرة ، ورأت نفسها مع شقيقاتها ذراعًا فى ذراع ، ورأت الحمامات تطير فى هواء الحديقة العاطر . أحست تمامًا برائحة الياسمين وتنشقتها بتوق ، لكن صورًا أخرى لاحت أمامها : صورتها وهى تبكى بين صندوق البيانو وكومة المراتب ، وصورتها صامتة فى ليلة تحت صورة القمر فى قاع حوض الماء ، وصورتها أمام المرآة وهى تثبت أزهار الريحان والقرنفل فى خصلات شعرها ، لأن عيد الفصح عيد تعلّق عليه الآمال ، وصورتها وهى تتلفت بوجهها بحثًا عن الضحكة وعيناها تقعان فى شرك نظرة العينين الخضراوين التى أثارت الحمام الساكن فى صدرها ، شديد الدفء ، شديد الحنان ، مفعم بالحياة لدرجة أن المفاجأة لها ألا تجده ساكناً هناك بنعومة . . . كل ذلك ، لن يحدث إطلاقاً . أن تموت يعنى أيضًا التخلى عن ذلك كله .

وقفت فجأة . شعرت بقدميها غير ثابتتين وأجسام صغيرة

www.ibtesamh.com/vb

ترقص أمام عينيها . أغمضتهما بشدة . أرغمت نفسها على أن تنتصب .

وبقسوة أيضًا ضغطت المريلة على وجهها ، لأنها لم ترد أن يتدفق الدم من الجرح ، لم ترد للدم أن يتركها ، لم ترد الموت كخرقة ملقاة فى منتصف الحقل ، على سطح نباتات الخردل ، منبوذة فى الظلام ، فقط فى رعاية وحماية الكلب . أرادت الحياة ، أرادت دمها وشرايين دمها المحملة بالذكريات .

ضغطت المريلة على وجنتيها أكثر . بدأت متحمسة فى الليل ، ثم نادت على الكلب . أمسكت به من طوقه ، وقالت : « لنذهب إلى البيت » . وتبعته فى الظلام .

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

ساحة بلازا ماوا

تأليف : كلاريس ليسبكتور

كان يطلق على الحانة القائمة فى ساحة بلازا ماوا إيروتيكا ، وكان الاسم الفنى للويزا كارلا .

كارلا راقصة فى حانة إيروتيكا ، متزوجة من جوكويم ، الذى يقتل نفسه فى العمل كنجار ، أما كارلا فتعمل فى وظيفتين : ترقص نصف عارية ، وتخدع زوجها .

كارلا جميلة ، أسنانها صغيرة ، خصرها نحيل . رقيقة . أما صدرها فصغير جدًا فى حين أن لها فخذين جميلين ، كانت تستغرق ساعة لعمل ماكياجها ، لتبدو بعد ذلك دمية من البورسيلين ، صحيح أنها فى الثلاثين من عمرها لكنها تبدو أقل من ذلك بكثير .

ليس لديها أطفال ، وحياتها مع جوكويم لا تسير على ما يرام ، فهو يعمل حتى العاشرة مساءً وهى تبدأ عملها تمامًا فى العاشرة ، وتنام طوال النهار . كارلا هى لويزا الكسول ، التى تصل فى المساء ، وقد أوشك موعد ظهورها على المتفرجين ، فتبدأ فى التثاؤب ، متمنية لو كانت فى قميص نومها فى الفراش ، ويعود هذا أيضًا لكونها خجول ، الأمر الذى لا يصدق

www.ibtesamh.com/vb

بالنسبة لما يجب أن تكون عليه ، فكارلا هى لويزا الجبانة ، تتعرى ، نعم ! لكن الدقائق الأولى من الرقصة ، ذات الحركات الشهوانية ، تشعرها بالخجل ، بعد ذلك بعدة دقائق تبدأ فى السخونة ، عندئذٍ تتعرى ، تتماوج ، تمنح نفسها تمامًا ، فهى الأفضل فى رقصة السامبا ، لكن الأغانى الرومانسية اللطيفة تثيرها أيضًا .

كان يطلب منها أن تشرب مع الزبائن ، مقابل عمولة تحسب بالزجاجة ، تختار دومًا المشروبات الأغلى ثمنًا ، وتتظاهر بالشرب ، بينما يخلو كأسها من الكحول ، الفكرة أن تجعل الزبائن سكارى وتدعهم ينفقون ، لكن الحديث معهم ممل ، يداعبونها ويمررون يديهم على صدرها الصغير ، وهى مرتدية بيكينى صغير ، إنها حقًا جميلة .

حين تضاجع زبونًا وتحصل على النقود ، تخفيها فى مشد ثديها ، وتشترى فى اليوم التالى بعض الملابس الجديدة ، لديها ملابس بلا نهاية ، فهى تشترى الجينز الأزرق ، والقلائد . حفنة من القلائد والأساور والحلقان .

أحيانًا ، لمجرد التغيير ، ترقص مرتدية الجينز الأزرق ، دون مشد على صدرها ، يتماوج ثديها تحت بريق القلائد ، وهى ترتدى كذلك الخلاخيل ، وقرب شفتيها الرقيقتين ترسم شامة بقلم أسود ، كانت معشوقة ، ترتدى حلقًانًا طويلة ، أحيانًا من اللؤلؤ وأحيانًا تقليد الذهب .

www.ibtesamh.com/vb

فى لحظات التعاسة ، تذهب لسلسينو ، وهو رجل ليس رجلاً ، كانا يفهمان كل منهما الآخر جيدًا ، تحكى له متاعبها ، تشكو من جوكويم، تشكو من الانتفاخ . سيلسينو كشاذ ناجح يستمع لها بكل حواسه ، ويقدم لها النصيحة . لم يكونا متنافسين ، فكل يعمل فى مجاله .

سيلسينو كان من أصل نبيل ، ترك كل شىء من أجل مهنته ، لم يكن يرقص ، لكنه كان يتزين بأحمر شفاه ويضع رموشًا صناعية على رموشه ، أحبه بحارة بلازا ماوا ، وكان فى مقابل ذلك يبذل مجهودًا كبيرًا فى لعبه ، لم يقلع عن ذلك إلا فى النهاية تمامًا ، كان يحصل على نقوده بالدولار ، وبعد تغيير العملة فى السوق السوداء يستثمرها فى بنك هوليز ، فهو يخشى بشدة أن يصبح عجوزًا ، معدما ، ومنبوذًا ، خاصة أن شاذًا عجوزًا أمر محزن . كان يتعاطى يوميًا كيسين من البروتين المسحوق للطاقة . له فخذان كبيرتان ، وبسبب تعاطيه كميات كبيرة من الهرمونات برز له ثديان ، سيلسينو اسمه الفنى موليراو .

كان موليراو وكارلا يجلبان لصاحب الإيروتيكا أموالاً كثيرة. الجو المعبأ بالنيكوتين ، ورائحة الكحول ، وباحة الرقص ، جعلوا من الصعب أن تُرغم على مراقصة بحار ثمل ، لكن ماذا بوسعك أن تفعل ، كل له مهنته .

www.ibtesamh.com/vb

تبنت سيلسينو طفلة فى الرابعة من عمرها ، كان لها بمثابة أم حقيقية ، وصار لا ينام إلا القليل جدًا ليرعاها ، ولم يدع شيئًا ينقصها ، بل جعلها تحصل على كل ما هو أفضل ، حتى المربية البرتغالية . فى أيام الآحاد يصطحب كلاريتا الصغيرة إلى حديقة الحيوان فى كوينتا دى بوافيستا ، ويأكلان الفيشار ، ويطعمان القرود . خافت كلاريتا الصغيرة من الأفيال ، فسألت : « لماذا لديها هذه الأنوف الضخمة ؟ »

حكى لها عندئذٍ حكاية طريفة عن الحوريات الطيبة والحوريات الشريرة ، وأحيانًا أخرى كان يصطحبها إلى السيرك ، حيث يجد كل منهما صعوبة فى مص الحلوى الصلبه ، كان سيلسينو يريد مستقبلا مشرقًا للصغيرة كلاريتا : زواج من رجل ثرى وأطفال ومجوهرات .

كارلا لديها قط سيامى ، ينظر إليها بعينين زرقاوين قاسيتين ، لكنها بالكاد تجد الوقت لتعتنى بذلك الحيوان ، فهى إما نائمة ، وإما ترقص ، أو تتسوق ، القط اسمه ليليو ، يشرب اللبن بلسانه الأحمر الرقيق .

جوكويم نادرًا ما يرى لويزا ، وهو يرفض مناداتها كارلا ، جوكويم قصير وبدين ، من سلالة إيطالية ، منحته اسم جوكويم امرأة برتغالية من الجيران ، اسمه جوكويم فيوريتى ؟ لم يكن به أى شىء يشبه الزهور !

www.ibtesamh.com/vb

تقوم بخدمة جوكويم ولويزا امرأة سوداء ماكرة ، تسرق كل ما تطوله يداها . لويزا تأكل القليل جدًا لتحافظ على رشاقتها ، أما جوكويم فيغرق نفسه فى أكل المنيسترون (حساء كثيف من الخضار والمكرونة) . تعرف الخادمة كل شىء وتغلق فمها ، وظيفتها أن تصقل مجوهرات كارلا النحاسية والفضية . حين ينام جوكويم وتخرج كارلا للعمل ، تخرج هذه الخادمة تحت اسم سيلڤينا وهى متزينة بمجوهرات سيدتها ، كانت من ذلك النوع من النساء ببشرة سوداء تميل للون الرمادى .

هكذا حدث ما حدث .

كانت كارلا تفضى بأسرارها لموليراو ، عندما يطلب منها أن ترقص مع رجل طويل عريض الأكتاف ، يتحرق سيلسينو شوقًا إليه ، ويأكل الحسد قلبه . كان حقودًا .

حين تنتهى الرقصة وتعود كارلا لتجلس أمامه ، يكبت حنقه بصعوبة شديدة ، و، كارلا، ساذجة . ليست غلطتها أنها جذابة ، و، وفى الواقع ، يروقها الرجل الضخم . قالت لسيلسينو :

« سأذهب لأنام مع هذا الرجل مجانًا »

لم يقل سيلسينو شيئًا . حدث ذلك تقريبًا فى الثالثة صباحًا ، وايروتيكا مليئة بالرجال والنساء ، فكثير من الأمهات وربات البيوت يذهبن هناك طلبًا للمتعة والحصول على القليل من مصروف الجيب .

www.ibtesamh.com/vb

عندئذٍ قالت كارلا :

« شيء لطيف جدًا أن ترقص مع رجل حقيقى »

فانطلق سيلسينو :

« لكنك لست امرأة حقيقية ! »

قالت الفتاة الجافلة : « أنا ؟ كيف لا أكون ؟ »

وكانت ترتدى فى تلك الليلة ثوبًا طويلاً أسود بأكمام طويلة ، تبدو كراهبة . فعلت ذلك عن قصد ، لإثارة أولئك الرجال الذين يرغبون فى امرأة عفيفة .

صاح سيلسينو : « أنت لست امرأة على الإطلاق ! لا تعرفين حتى كيف تطهين بيضة ! لكنى أفعل ! وأفعل ! وأفعل! »

انقلبت كارلا إلى لويزا ، شاحبة ، مرتبكة . لقد طُعنت فى صميم أنوثتها . راحت تحملق بحيرة فى سيلسينو ذى وجه الساحرة .

لم تقل كلمة . وقفت ، سحقت سيجارتها فى المنفضة ، ودون أن تلتفت لأحد ، تركت الحفل فى أوجه وخرجت .

على قدميها ، فى ردائها الأسود ، من بلازا ماوا ، فى الثالثة صباحًا . كأحط مومس . وحيدة . دون عون . كان ذلك حقيقيًا : لا تعرف كيف تطهى بيضة ، وسيلسينو إمرأة أكثر منها .

كانت بلازا معتمة ، وتنهدت لويزا بعمق ، ونظرت إلى أعمدة النور . كانت بلازا فارغة .

وفى السماء ، النجوم .

www.ibtesamh.com/vb

وصية سيسليا الأخيرة

أليثيا شتايمبرج

وجدتُ هذه الأوراق على البيانو ، فى المنزل الذى كانت سيسليا تعيش فيه سنوات طويلة ، بعدما غادرته بالفعل . كان لدىّ مفاتيح المنزل واستخدمتُها للدخول بعد مالم يرد أحد على الجرس . كانت ليلة صيفيه . النوافذ مفتوحة ، يهب منها هواء شديد الحرارة والرطوبة ، معبق برائحة الأرض ، وينذر بعاصفة .

اعتقدت دائماً أن الأشخاص الذين يكتبون رغبتهم الأخيرة ووصيتهم ، يفعلون ذلك لأنهم يشعرون بدنو الأجل ، بسبب كبر السن ، أو مرض غير قابل للشفاء ، أو الاعدام ، أو الانتحار . لكن كما سترى ، سيسليا لم تواجه شيئًا من ذلك . أظن أنها كانت تفكر فقط فى موتها ، أو ربما موت فترة معينة ، أو جزء من حياتها .

كفت العاصفة عن الإنذار وأصبحت عاصفة حقيقية : حركت الريح الستائر على النوافذ وأوراق الأشجار فى الحديقة ، وتدفق المطر سريعًا . شىء مبهج أن تسمع ذلك من داخل الشقة . جلست على كرسى سيسليا ذى المساند ، وأضأت مصباحًا ، وبدأت أقرأ .

بوينس آيريس / يناير ١٩٧٨م .

www.ibtesamh.com/vb

أريد أن أدون هنا رغبتى ووصيتى الأخيرة . ليس لدّى أدنى فكرة عن كيفية كتابة تلك الأشياء ، لكنى متأكدة أن أى شخص سيعثر على تلك الصفحات سيأخذ على عاتقه الاتصال بورثتى وتنفيذ رغباتى . لا أعتقد أنه من الضرورى اتخاذ أيه اجراءات قانونية ، وإلا قمت أنا بتلك الترتيبات وأخذت فى الاعتبار موضوعات بعينها ، كدفنى مثلاً .

سأبدأ بوصيتى .

إلى بيب ، أترك السنوات العشر الأخيرة من حياتى ، بما فيها من متعة وألم متماثلان (سيقول بيب أن الألم فاق المتعة) على أى حال هو يعرف أنها لم تكن أسوأ سنوات عمرى ، على العكس تمامًا ، فآخر سنتين أو ثلاث كانت الأفضل بلا جدال . شعرت أننى راضية عن الأمور ، حيث تم النقش على ضريحى . لم يظهر هذا بين الأشياء التى رغبتها نظرًا للملاحظة التى أبداها بيب ، بأننى غيرت رأى وقررت عدم استخدامه بعد الكلمات التقليدية : « هنا ترقد . . » كان النص الذى فكرت فيه يقول : « لا تحزن . أو إذا كان ولابد ، فاحزن ، لكن اعلم أننى فعلت فى حياتى ما أردته » نظر لى بيب بإشفاق ، وقال :

« سيهيلون عليه الحجارة »

فقد شعر أنه من المستحسن عدم إبداء كثير من السعادة على لا شىء لتجنب حسد الآخرين .

www.ibtesamh.com/vb

إلى فرانسيسكو ، من لم أره من وقت طويل وأتذكره بصعوبة . لكننى شاركته كذلك عددًا من سنوات حياتى ، أترك ذلك الحلم الذى لا ينسى عن تشاركاريتا . إنها أكثر من مجرد مقبرة ، فالمكان يبدو مثل قاعة إدوارد الداخلية فى مقهى مولينو . يجلس خلف الكونتر رجل بدين يعد النقود ، فى المشهد التالى وجدت نفسى فى مكان يبدو أكثر شبهًا بالمقبرة ، تحت قبة مقامة على أعمدة ، تتدلى من سقف القبة ماسورة بلاستيك رفيعة . حين اقتربت لأعرف ما هى انهمر سيل من النقود من الماسورة ، بينما انبعث صوت من أعلى يقول : «لنقل ستة وأربعين ، احتفظ منها بسبعة وعشرين» .

لم يكن لدىّ فكرة عما تعنية هذه الأرقام ، أترك هذه المشكلة لفرانسيسكو ، ربما لا يكون لطيفًا أن تورث مشكلة لأحد ، لكنه ترك لى عددًا منها ، ولم أقل شيئًا عما إذا كنت أقبل أم لا . ومن جهة أخرى ، لا يضطر أحد لقبول شىء متروك له فى وصية ، يمكنه أن يأخذه أو يلقيه فى القمامة أو يتبرع به لمؤسسة خيرية .

إلى سيرجيو الذى بقى جانبى بلا ملل ما يقرب من عشرين عامًا ، ولم يهجرنى إطلاقًا ، أترك له كل لحظات الحرية فى حياتى ، خاصة ليلة بعينها ، حين فتحت صندوقًا فاتنًا معبأ بمسحوق عطر فرنسى ، ثم ذهبت للقائه . (هذه وصية غير عادية تمامًا ، لأنها المرة الوحيدة فى حياتى التى استخدمت فيها

www.ibtesamh.com/vb

مسحوقًا معطرًا للجسد) أتمنى أن أتذكر إذا كنا شربنا لدرجة السكر أم ترنحنا قليلاً . ما يجب أن يعرفه سيرجيو هو أننى كنت سعيدة تلك الليلة ، لأنه كان ولا يزال يهمه أن أكون سعيدة .

إلى جوسيه ، أترك كل شجاعتى الأدبية ، على شرف الحماسة البطولية التى شجع بها مجهوداتى الأولى . أقول حماسة بطولية لأن من يعرف جوسيه يستحيل أن يتصوره يعرض حماسته لأى شىء . لقد استعنت بكل ما أوتيت من ذكاء لأكتشف أن وراء الحزن العميق الذى يسكن وجهه ، وتلك العينين الدامعتين والنظرة الكئيبة كأنها تلقى بحجر على أى شىء تلمسه مهما يكن ، كانت هناك الحماسة ، بل أقول تقريبًا حماسة عظيمة لخطواتى الأولى الراقصة على قدم واحدة . جوسيه ذلك المتشائم لدرجة أنه لا يؤمن بأى شىء يتعلق بالمستقبل ، فكل مرة يتحدث فيها عن شىء ، يضيف :-

« إذا لم يحدث شىء . .إذا لم يتم شىء . . فهناك دائما ذلك النوع من الأمور غير المتوقعة . . » ويحل صمت مرعب لدرجة تجعل أى شخص يبدأ فى الشك فى كل شىء .

إن طفولة جوسية سر مغلق تمامًا ، لكننى متأكدة أن ثمة أشياء مرعبة حدثت له ، ويفضل ألا يتذكرها . ربما جوَّعوه ، ربما جلدوه بالسياط ، ربما حبسوه فى الظلام ، فى حجرة بلا نوافذ .

www.ibtesamh.com/vb

فى هذه الحال فقط ، أتركه كما تُصور لى أخيلتى المرتدة بأننى حُبست فى نوع من الخزائن مصنوعة من المعدن الصلب ، مثلما يتطلب بناء البنوك الحديثة . الخزنة فسيحة ، بلا زوايا قائمة ، تلتقى الحوائط بالسقف والأرض بشكل دائرى ، وهى مسقوفة بشكل مُحكم وحصين ، لكننى أعرف أننى سأبقى هناك لعدد محدود من الساعات ، علىّ أن أبقى هادئة ، وأفكر أنهم سيأتون غدًا ويخرجوننى من هنا ، فكل شىء مأخوذ فى الاعتبار ، وأفضل شىء أفعله هو النوم . أرقد على الأرضية المصنوعة من المعدن الصلب ، أحاول العثور على وضع مريح ، ولا أستطيع . أسوأ شىء أن الفراغ مضاء ، ولا أعرف حقًا من أين يأتى الضوء . فى النهاية ، أستدير على جانبى وأفتح عينىّ . حين تكونان مفتوحتين ، أضطر للنظر إلى الحوائط المعدنية ، وأشعر بالرعب الشديد ، وأعجز عن التفكير فى أى شىء على الإطلاق ، أو حتى حشو رأسى بأى شىء مثلما أفعل فى مواقف الحياة العادية . الأفكار ، الذكريات ، التفكير العشوائى ، الأحاديث المُتخيلة مع مختلف الأشخاص ، كل الأشياء تنسكب من رأسى مثلما ينسكب الماء من مصفاة . لدىّ ذهن ملئ بالمعدن الصلب ، أغمض عينىّ مرة أخرى وأحاول العد حتى مئة . إذا عددت حتى مئة سأنام ، وسأستيقظ فقط حين يفتحون الباب ليخرجوننى من هنا . لكن حقاً ، لماذا أنا

www.ibtesamh.com/vb

هنا ؟ هل أحاول سرقة بنك ؟ أم أتسكع هنا من باب الخطأ ؟ أفكر فى ذهول أنه كان مصعدًا ، ثم أُغلق أوتوماتيكيًا خلفى حتى العاشرة من صباح الغد ، لا أتذكر لماذا أنا هنا ، ويصل الرعب إلى حد أن أقرر الإقلاع عن هذا الخيال بالذات ، واستبداله بآخر ، بأفكار أكثر بهجة .

أترك هذا الخيال لجوسية ، أتصور من العذاب الدائم المرتسم على وجهه أنه سيعرف ماذا سيفعل معه . بالإضافة إلى أننى سأقوم برحلة ، وليس لدىّ مكان لكل هذه الأمتعة التى لا تفيد .

إلى سيلڤانا أترك دولاب ملابسى المنقط . فهى مثلى تعانى من ذلك النقص الفريد فى الثقة فى أى ملابس سوى الجينز الأزرق والقمصان الكاروهات . فى دولابى لن تضطر للرعدة أمام الأثواب الشفافة أو الصنادل ذات الكعوب العالية . أردتها دائمًا ، والآن فقط لأننى أغادر هذا المنزل للأبد سأسمح لنفسى بشرائها .

إلى ماتيلدا أترك مجموعة الصرخات الهائلة التى احتفظت بها دومًا فى صندوق من عام لآخر ، حتى بدأت إلقاء ذلك النوع من الأشياء علىّ . لم أعرف إطلاقًا لماذا حافظت عليها ، ذلك أنها كلها تقريبًا توبيخ وإهانات وشكوى مرة من تعاستها ، التى اعتقدتُ دائمًا أنا نفسى بأمانة أننى مسئولة عنها بشكل ما .

www.ibtesamh.com/vb

وبمفاجأة جديرة بالاعتبار أدركت أن ماتيلدا ستكون بائسة حتى بدونى ، لأن البؤس مهنتها وقدرها . ربما حافظت على كل هذا الصراخ حتى أعيده إليها يومًا ما ، فقد تمنحها الذكرى إشباعًا معينًا ، ربما يكون لطيفًا إذا تذكرت ماتيلدا أننى حين كنت بداية موضوع ذلك الصراخ ، لم أكن أكثر من مجرد فتاة صغيرة ، وبعض من ذلك لم أستطع تخزينه فى صندوقى الذى أتركه لها . بعض صداه سيظل خالدًا فى أذنى . أترك لها كذلك لحظة هدوء نادرة اعتقدت فيها ببراءة مناسبة لسنواتى الحنون ، اعتقدت فى السلام الدائم بيننا نحن الاثنتين . كنا نسير معًا ، ذات ظهيرة مشمسة ، ومررنا بأڤينيدا جون بى جوستو ، ووصلنا إلى منزل صغير متواضع له باب خشبى أزرق . رنت ماتيلدا الجرس ، وفتحت الباب امرأة بدينة ، بشرتها مبقعة بالنمش ، ولها وجنتان ورديتان نضرتان ، كشفت عن ممر طويل مبلط بقنالتكس أبيض وأسود . تبادلت ماتيلدا والمرأة كلمات قليلة لم أسمعها . كنت مستغرقة فى أرضية الممر وفى حظيرة الدجاج التى أراها فى الخلف . تركتنا المرأة ننتظر ، وسارت متثاقلة عبر المدخل ، وفتحت باب الخظيرة السلكى ، فتسببت فى ضجة كبيرة بين الدواجن ، ثم عادت مسرعة ومعها شىء ملفوف فى مريلتها ، ثلاث بيضات باضتها الدجاجات حالاً . سمحت لى ماتيلدا أن أحملها فى كيس ورقى صغير . كانت دافئة حين عدنا للمنزل ،

www.ibtesamh.com/vb

خفقنا البيضات الثلاث مع السكر وخمر البورت البرتغالية . شربت الخليط السميك فى جرعات كبيرة ، وشعرت بدفء لذيذ ونعاس خفيف . سعادة قصيرة ، وذلك الوهم بأنها ستستمر للأبد .

إلى ادواردو أترك القصائد ذات الكلمات المبهمة التى نظمناها معًا ، كان هو الذى قال أننا قبضنا بها على جنوننا ، لذلك ربما ننظر إليها بلا خوف فى أيام طفولتنا المظلمة . شكرًا لله أن كلاً منا كان لديه الآخر . لم يكن ذلك من زمن بعيد حين جرى نحونا شخص ما فى حفل وسألنا إذا كان ثمة من قدم أحدنا للآخر . قلت : « ليس تمامًا » . فى أول مرة قدمونى لإدواردو ، رفض التعرف علىّ ، لم يرد على تحيتى ، ولم يعرنى أى اهتمام مطلقًا .

دهش الصديق المشترك الذى أراد تقديم أحدنا للآخر ، وبقى صامتًا ، عندئذٍ شرحتُ له أنه حين قدمونى لإدوارد وكان فى مهد فى قسم التوليد فى مستشفى .

ضحك صديقنا ، لكنى لا أعرف إذا فهم أن تلك الدعابة مجرد مزحة . أظن أنه وجدنى معقدة قليلاً ، لكنى دائما أضطر للعثور على شىء يصرفنى عن الرعب من الدفن حية فى تلك الخزانة المصنوعة من المعدن الصلب .

إلى ماريزا أترك كل تلك الأغانى التى غنيناها فى انسجام

www.ibtesamh.com/vb

حتى الفجر ، حين كنا فى العشرين من عمرنا ، خاصة أغنية « على الجسر يا جينى » التى تحولت إلى « على الجسر يا جينى وليس فى التيار »بحدسنا تجاه هذه الجملة وصلنا إلى الخلاصة ، أنه إذا ذهبت جينى عن طريق الجسر ستظل على قيد الحياة ، بينما إذا ذهبت عن طريق التيار ستغرق . ربما نكون قد ناقشنا أفكارًا أخرى ، مثلاً ، ماذا إذا كانت جينى تجيد العوم ، لكننا ركزنا على فكرة الانتحار ، والانتحار يبدو ممتعًا . فى هذا الوقت أطلقت إحدى صديقات ماريزا النار على نفسها ، وأصابت قلبها ، لكنها عاشت . احترمتها ماريزا تقريبًا لدرجة التبجيل ، وأنا كذلك ، لأننى بنيت إحساسى على أساس إحساس ماريزا ، التى لم أستطع محاكاة إغوائها ، أو جمالها ، أو استخفافها الشديد بكل العالم عدا ذاتها . لم ألتق إطلاقًا بتلك المنتحرة ، وربما كان لدىّ بعض الأفكار المختلفة عنها ، لكننى كنت شديدة الحرص على عدم الإفصاح بها حتى لا تسخر منى ماريزا . أترك لها كذلك ذلك النوع من السخرية ، المبوب ومصنف كالتالى : جمل جارحة ، نظرات استنكار موجهة منها إلىّ ، نظرات استنكار موجهة منها للآخرين مشاركة معى ، تلك الطريقة التى تلوى بها شفتيها الجميلتين تعبيرًا عن الاشمئزاز ، وقوفها على أطراف أصابع قدميها وهى تلف قدمًا على الأخرى . ستجد ذلك كله فى صندوق يحتوى أصلاً على صابون

www.ibtesamh.com/vb

برائحة خشب الصندل وعطر رجالى كانت تحبه جدًا ، مخبأ تحت نسخة صغيرة طبق الأصل من أحد أعمال محبوبها شاجال .

أعرف أنه من غير المعتاد أن تترك أشياءَ لشخص مات بالفعل ، لكن حين يذهب أى شخص ليضع الزهور على قبر إجناسيو ، من فضلك ضع معها كل الجمل العبقرية والرائعة التى قلتها ، ذلك أنه كان دائمًا يصرح بتعجبه منها ، وتمكن بذلك من إقناعى مبكرًا أننى نوع فريد لديه عطايا فريدة . هجمات الحياة شغلت نفسها (ولم لا) بإقناعى أنه إذا كنت حقًا قادرة على جعل القطط الخفية تعدو فوق الأسطح مسحوبة من الهواء ، ولأسباب أخرى كثيرة ، أنا حمقاء لا أمل فى ، هذا شىء لن يُسلّم به إجناسيو إطلاقًا . ضعوا على قبره كذلك ورقة من كتاب أطفال قرأتُه مرات ومرات حين كنت صغيرة . إنه كتاب عن عسل النحل ، مرسوم به نحلة وقرص عسل ووعاء عسل ، وولد يجلس إلى مائدة يضع العسل على كسرة خبز . يتحدث النص عن مختلف استخدامات العسل ، وفى أى وقت كنت أطالع فيه هذه الصفحة كنت أتذكر إجناسيو ، الذى كان مغرمًا جدًا بى ، ولم يشكو منى إطلاقًا ، والذى غادر الحياة بعد ذلك بفترة قصيرة جدًا ، فأصابتنى دهشة لا تشفى منذ ذلك الحين .

أنا : إليك ، يامن ستجدين حتمًا تلك الأوراق على البيانو ،

www.ibtesamh.com/vb

أترك كل ما ستعثرين عليه فى هذا المنزل ، من الأثاث إلى الأشباح ، متضمنًا محتويات كافة الأدراج . ادرسى كل خطاب ، وكل أسطوانة بعناية . لا تنزعجى إذا فتحت درجًا وشعرت فجأة كأنك تعودين للوراء ثلاثين عامًا . هذا المنزل أُعيد بناؤه عدة مرات ، ويوجد فى الخلف فناء مرصوف بالقنالتكس غير مستوٍ ، وحمّام ، ومطبخ لم يُستخدم ، ملئ بأدوات وأوانى الطهى القديمة ، وحجرة صغيرة لها نافذة صغيرة جدًا منفصلة عن كل حجرات النوم الأخرى ، عندما كنت صغيرة تمنيت بلا أمل أن تكون حجرتى ، ولكنى لم أجرؤ على البوح بذلك إطلاقًا . كانت حجرة الخادمة عندما تبيت فى المنزل ، أو تصبح حجرة المكواة . لكنها كانت دائمًا مخبأ لى أستطيع فيها التحليق لفترات قصيرة . ستجدين هناك كثيرًا من أحلامى وخيالاتى المراهقة ، وصورة لكارلوس جارديل ، وموجة عطر قوية استخدمتها ببذخ آخر ساكنة للبيت للخروج فى أيام الآحاد . كل هذا لك يا أنّا .

يضايقنى الإقلاع عن الحُليّ القديمة ، لكن ربما تجدين بين النفايات خلف المنزل رفًا صغيرًا ، عُلق ذات مرة على حائط حجرة الطعام ، وعليه رسم صغير جدًا : رسم قزم فى مجلدين لدون كيشوت ، إنه هدية مجانية من محلات إيسكاسانى للمجوهرات ، ملفوفة فى جلد روسى ومطبوعة على ورق

www.ibtesamh.com/vb

شفاف مقوى ، تحتوى فقط على فصل عن طواحين الهواء ، ودمية برونزية صغيرة بدينة اسمها بيليكان ، لها نوع من الأهمية كتعويذة .

من الحمّام القديم ، ربما تريدين أن تأخذى أسطوانة : « الحياة تمنح ثلاث هبات كبيرة : الصحة والثروة والحب . . . » ، وكذلك أسطوانة « سورنتو » بأداء الخالة روزيتا التى كانت تغنيها كلما تأخذ حمّامًا . كذلك وجهى عندما كنت فتاة صغيرة منعكسًا على مرآة الصندوق السحرى ، وأنبوبة الماسكرا التى كانت تستخدمها ماتيلدا فى صبغ رموشها كل صباح كسلوك آلى مثل تنظيف الأسنان . كذلك قسوة عينيها الشديدة وهى تضع الماسكرا .

أخيرًا ، فى ذلك المطبخ المغلق توجد كومة من كتب الأطفال ، مليئة بالقصص التعليمية وقصص الرعب ، مثل تلك القصة التى تحكى عن فتاة سيئة الحظ أسكنت بعض أقاربها الفقراء فى منزلها ، وانتهى بهم الأمر أن قتلوها بالسم ، وحين رأوها تتلوى من الألم وهى تحتضر ، ندموا على جريمتهم واعترفوا لها بها ، وكانت الفتاة شديدة الطيبة جدًا لدرجة أنها غفرت لهم جميعًا قبل أن تصعد إلى السماء .

عندما تمرين فى الجزء المجدد من المنزل ، لاحظى أن الحمّام به عدد من فرش الأسنان ، أكثر من عدد سكان المنزل

www.ibtesamh.com/vb

فى أى وقت . كل مرة كنت ألتقط فرشاة أسنانى كنت أندهش لوجود كل هذه الفرش المجهولة ، أستغرق تمامًا كأننى مُنوّمة مغناطيسيًا تقريبًا ، لعجزى عن تذكر من أين أتت هذه الفرش . على أى حال ، لم يخطر ببالى إطلاقًا أن أتخلص منها ، كما لو كنت أخشى فقد لعنة ما . هناك فرشاة قديمة جدًا عتيقة الطراز تبدو كأنها كانت تستخدم فى تنظيف أسنان صناعية ، وكانت دومًا تصيبنى بالغثيان ، لكنى لم أستطع إلقاءها . ماذا ستفعلين بكل تلك الفُرش يا أنّا ؟ وكل زجاجات الخمر المُعَطَّرة الموضوعة بأعلى رف فى المطبخ ؟ ربما تستطيعين استخدام واحدة لحمّام العين كما كانت جراما تفعل . فقد ملأت الزجاجة الصغيرة ببعض السائل الغريب ، وعندئذٍ انفجرت ! فوضعتها بحركة سريعة خفيفة على عينها . أحد الأشياء اللطيفة عن جراما ، أنها لم تمنعنى من الجلوس هناك أتطلع إليها فاغرة الفم وهى تضغط زجاجة زيت كبد القد الفارغة على وجهها . الأثر الذى تركه السائل والزجاجة ، أكسب عينيها أبعادًا رائعة ، وبعدما أمسكتها لحظة ، ابتسمت لى بزهو ، فتطلعت إليها بانبهار .

فى مؤخرة الدواليب ، ستجدين الأحذية ياأنّا ، ذلك النوع الذى كان ينبغى علىّ أن أرمية من سنوات ، لكنها لا تزال هناك . لا أعتقد أنها تهم أحداً . أطلب منك فقط أن تأخذيها من

www.ibtesamh.com/vb

الشرفة فى الطابق العلوى وترميها ، بأقصى ما تستطيعين ، فى المكان الشاغر أمام المنزل .

لسنين عشت فى هذا المنزل أشكو بمرارة من المتوحشين المعادين لمصلحة المجتمع ، الذين يلقون بالأشياء فى الساحة الخالية ، وأتهمهم بالتخلف العقلى . لم أفعل شيئًا شبيها بذلك إطلاقًا ، لكنى الآن أريد منح نفسى الفرصة ، حتى لو كانت بالتفويض . فردة حذاء باليه ، وأخرى ، وأخرى ، استعدى ، صوبى ، ارمى .

بالنسبة لبقية الأشياء ، يمكنك تقرير مصيرها ، عدا البيانو الذى سأرسله إلى منزلى الجديد ، لم أعرف أبدًا كيف أعزف عليه ، لكنه تذكار من الخالة روزيتا التى كانت تعزف عليه « إليزا الجميلة » فقط .

والآن طلبى الأخير :

أريد أن أُدفن بلا حفل (رغم أننى لا أمانع فى وجود زهور ، حيث أحببت دائمًا الزهور) ، فى مدافن تشاكاريتا فى بوينس آيريس . عشت دائمًا فى بوينس آيريس ، وتشاكاريتا هى بوينس آيريس . بها مجاوراتها القبيحة ومجاوراتها المتكلفة ، وبها أفضل جيران حيث يعيش أفراد الجاليات الأجنبية ، أو يموتون ، أو هم موتى بالفعل . هناك الجدران التى بها كوات توضع فيها التماثيل مع الموتى المكومين كالأحياء الذين يسكنون

www.ibtesamh.com/vb

الشقق . يختار الناس المكان الذى يريدونه ، أو الذى يستطيعون ابتياعه ، داخل الضريح .

لا تحضروا إطلاقًا نباتات السوسن ، فأنا أكرهها ، ولا القرنفل ، ولا النرجس . تلك زهور المآتم . أحب الورود ، والياسمين ، وزهور البازلاء العطرة .

أعلن أنه فى تمام هذه اللحظة التى أكتب فيها ، أتمتع بصحة جيدة ، وأعمل بجد ، وأتطلع لحياة ممتعة .

سيسليا

حين انتهيت من القراءة ، لاحظت توقف المطر ، انحنيت خارج النافذة لأفكر ، لم ألتق فى حياتى بأى شخص ممن ذكرتهم سيسليا فى وصيتها ، ورغم أنه سيكون مستحيلاً علىّ أن أوزع ميراثها لأنفذ ما تحتويه رغباتها الأخيرة ، فبالطبع أحتاج إلى سلطة شرعية تخول لى ذلك ، ذاك بافتراض أن سيسليا ماتت قبل أن أفعل ذلك ، وهذا شىء لا يمكن التنبؤ به إطلاقًا . فبقدر ما أعلم ، لم يكن لديها عائلة ، عدا جدتها التى ماتت منذ وقت طويل ، أما الخالة روزيتا فهى من بنات أفكارها .

فى الواقع ، أرادت دائمًا أن تحظى بأقارب ، كانت تفتتن كالمنومة مغناطيسيًا عندما تحدثنى عن السكرتيرات اللاتى يركبن الأوتوبيسات إلى ضواحى المدينة كل مساء ، ويصلن إلى بيوتهن المتواضعة ، فيجدن أمًا عجوزًا تحيط أكتافها بشال كروشيه فى

www.ibtesamh.com/vb

انتظار العشاء . ثم تستطرد فى وصف العشاء ، ويكتسى وجهها بتعبير غامض كأنه هذيان الحمى . العشاء معد من بقايا الوجبات السابقة مطهى بالشى ، والخبز والسجق مع فتات من بقايا طعام الأسبوع كله . تتحرك الأم وابنتها من حجرة لأخرى فوق أرضية زلقة بخفاف مصنوعة من بقايا الصوف . ليلة بعد ليلة ، تأكل الاثنتان معًا تلك الوجبات المعدة من بقايا الطعام . المشكلة أن ذلك اللغز المستعصى على الحل يكلف سيسليا أكثر من ليلة بلا نوم ، تتساءل عما تتكون منه الوجبة الأصلية ؟ تلك الوجبة التى تبقت منها قطع الفتات الأولى . لكن سيسليا حساسة بما يكفى للتحول عن ذلك الطريق المسدود . تماما مثلما تسللت من الخزانة المصنوعة من المعدن الصلب دون أن يفتح أحد الباب ، دارت حول الكعكة التى أعدتها الليلة السابقة من الخضروات ، وقضت نصف ساعة تتأمل زبد الأمواج .

قالت : « إنها الرياضة التى لا أملك الآن فرصة لممارستها وأندم على ذلك » .

كانت تعجب بالأجساد البرونزية المزهوة وهى تندفع فوق الموج . كان زبد الأمواج رمزًا لكل ما لم تستطع القيام به أو لم تره فى حياتها . عندما حاول عالم الفيزياء شرح هذه الفكرة فى المطلق بلغة غير مفهومة لها إطلاقًا ، هزت رأسها بحزن وقالت :

www.ibtesamh.com/vb

« ذاك ، وزبد الأمواج ، لا فرصة » .

كانت عنيدة أمام عجزها ، وأعتقد أنها كانت تهول منه ، لكنى لا أعرف لماذا أتحدث عن سيسليا كأنها ماتت . إنها غرابة أطوارها التى قادتها لكتابة تلك الوصية .

سآخذ هذه الصفحات معى ، ليس لها قيمة قانونية ، ولن تدفن سيسليا كما تريد حتى نعثر على . . . لكن هذا يتطلب التعامل بشكل خاص . لا يبدو لطيفًا أن تتعجل الأمور حين تتعامل مع حالة كهذه ، بالإضافة إلى أننى لا أعرف متى سأراها ، رغم أنها تقول أنها لن تعود ، لكنى أعرف أنها ستعود ، وطالما أنا على قيد الحياة ، سيسليا ستعود .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

الثنائى المقهور فى منزل على التل

كارمن نارانخو

عندما التقيا ، أعلن شروطه بصراحة . الزواج علاقة جادة ، خاصة حينما تكون طموحًا ومتعطشًا للقوة ، بالإضافة إلى اعتيادك على أسلوب حياة معين ولا تبحث عن التغيير ، وكما لو كان هذا غير كافٍ ، فإن الزواج عمل مخادع ، لأنه عندما يصبح سبيلاً لصيد الفريسة ، يكون كل شىء جميلاً تمامًا ، أما فيما بعد تأتى الشكوى والاحتجاج والتذمر والخداع اللانهائى .

كان يومًا مظلمًا ولم يبق أكثر من ساعتين على انقضاء الظهيرة . الهواء معتم وكثيف رغم النوافذ المفتوحة والمروحة المزعجة التى تغط بإيقاع فى لهاث جاف ، كان إلى حد ما مبللاً بالعرق ، أما هى فعرقها غزير ، تطفح بالسخونة والغضب المرسوم على كل وجهها . أنا لست واحدة من أولئك النساء المتقلبات وأحبك وسأظل أحبك دائمًا نفس الحب . سيكون اهتمامى الوحيد إسعادك ، إسعادك بكل الطرق ، حتى عندما لا أعرف كيف أسعدك ، لن أتذمر إطلاقًا ، بالمرة . لو كنت تعرفنى أكثر ، ما كنت شككت فىّ .

فى الخارج ، كانت الطيور الصاخبة ترثى المطر رغم أنه لم

www.ibtesamh.com/vb

يكن هناك مطر ذلك اليوم . أمطرت للزفاف بعد ذلك بعام ونصف . وصلت هى أولاً ، بصحبتها فقط الأقارب الذين دعاهم لأنه لم يعتقد أن جميعهم مناسب . لم يدع عمها النجار وعائلته لأنهم فقراء وأغبياء ، ولا أبناء عمومتها القاطنين تلك البلدة القذرة المقيتة لأنهم جهلة ويسببون لك ارتباكًا انفعاليًا شديدًا ، وعلى أى حال تفوح منهم رائحة السجق . ولا أزواج أخواتها لأنهم دِمام ولهم طريقة فى الضحك تكشف عن بلاهتهم .

وصلت ساكنة وشاحبة . لم يلحظ أحد الرعشة الخفيفة فى يدها اليسرى . كاد وجهها الأبيض المنحوت أن يكشف حتى للملاحظ العابر عامًا ونصفًا من القيود ، عامًا ونصفًا من الإذعان لتعليمات تزداد شدة وتزداد قسوة . عامًا ونصفًا من الصمت لأنها تعلمت أن تقول فقط ما يريد سماعه ، عامًا ونصفًا دون صديقاتها ، اللاتى فقدتهن واحدة إثر الأخرى لأنه عليك أن تمنحينى قلبك بأكمله ، غير تاركة أية مساحة لأحد غيرى ومن الآن فصاعدًا أنا أبوك وأمك وحياتك كلها .

وصل بعدها بساعة ، الأمطار التى لا صلة لها بالأمر ، وبنطلونه الممزق ، ناهيك عن حماقة هذا الكم من البشر المشاركين فى حدث غبى كالزفاف .

طال الاحتفال عما ينبغى ، وكان متوترًا ، لأنه نخر أكثر من

www.ibtesamh.com/vb

مرة ونقر بكعبه مرارًا ، كما لو أنه اعتقد ضرورة الاستجابة بشكل مخالف : محض حماقة تلك النفاية التى يتفوه بها الكاهن لأنه لا يعرف ما هى العلاقة الزوجية .

عندما غادرا ، بعدما خفت الأمطار إلى قطرات خفيفة من الرذاذ ، دفعها فى مرفقها لتنظر إلى التل : سيكون لنا هناك منزل بأعلى ، وحين أصبح رئيسًا للبلدية سألوح للناس من الشرفة . قالت له نعم ، سيكون منزلاً لطيفًا ، وأنها تحلم بالفعل برعايته بدقة حتى يكون سعيدًا ويشعر بالفخر تمامًا . أجابها بأن كل شىء سيكون قراره ويتم حسب ذوقه .

قيل أنهما سعيدان سعادة بالغة . كان يسير دائمًا أمامها فى نزهتهما من السادسة والنصف بالضبط إلى الثامنة إلا ربع تمامًا . يسبقها بخطوتين بالضبط . تبدو كل ليلة أصغر قليلاً كأنها تضمر . ربما كان هذا وهمًا بصريًا بسيطًا ، وربما كان حدبًا بسبب خطواتها القصيرة .

بنيا منزلهما عاليًا على قمة الجبل . لونه أبيض وسقفه أحمر ، ترأست الشرفة نوافذ متماثلة بسيطة التصميم ومتعامدة عليها ، وباب ضيق عليه مقرعة برونزية .

سارت بهما الحياة طيبة فيما يتعلق بمعاملات العمل . كان يتمتع بغريزة تجاه الفرص والأسعار ، وكانت مقتصدة ، لديها نزوع للإكتفاء ، تقوم بعمل متواصل وقادرة على إبراز مزايا

www.ibtesamh.com/vb

الأشياء التى تبدو ظاهريًا عديمة النفع . ازدادت ممتلكاتهما الثمينة بإقامة سوبر ماركت ، ثم مكتبة بها مطبعة صغيرة فى الجزء الخلفى ، وأخيرًا متجرًا للخردوات ومحلاً لإصلاح الماكينات التى تعرف الآن كأدوات .

بالطبع كان لديهما مشكلات بصدد إدارة الموظفين . أملى أوامره المجردة وقواعد السلوك ، مفعمة بالواجبات والتفاصيل المحددة جدًا عن كيف ومتى ، مما حرم الموظفين بشكل مطلق من أى مساحة فى أى شىء يتعلق بأمور العمل ، أو بشئون الآخرين ، أو بالحضور والغياب . فكرة أن يصاب أحدهم بالمرض أمر خارج عن نطاق المناقشة ، لن يمكنك التفوه بأنك حضرت للعمل مريضًا (خوفًا من العدوى) . كان لها عين شديدة اليقظة لمراعاة الإنصياع التام لتلك القواعد . انتهى الأمر بأول موظفين إلى ترك العمل ، لكن عندئذٍ سرت الشائعات بأنهم عمال سيئون ، فلم يتمكنوا من الحصول على وظيفة أخرى ورحلوا إلى أماكن بعيدة ، لم تصل إليها تلك السمعة . الموظفون الذين قدموا بعدهم بقوا سنوات خوفًا من النفى أكثر من أى شىء آخر ، بالإضافة إلى ذلك الأذى لاضطرارهم للعمل المتواصل واضطرارهم للإفراط فى إبداء الاحترام ، إلا إن الرواتب لم تكن مجزية بأى حال ، وجزء كبير منها ينفق على ضرورات مثل أربطة العنق والمعاطف والحلاقة على طراز عسكرى (شعر مشدود ومحلوق تمامًا)

www.ibtesamh.com/vb

ولد ابنهما الوحيد بعد خمس سنوات من الزواج ، حين كانت قد تفشت بالفعل الأقاويل حول المرأة السكينة بأنها عاقر ، فهى شديدة النحافة ، شاحبة ، ضامرة ، وبالإضافة إلى ذلك ، ربما ينام الزوجان على مبعدة مثلما يفعلان فى سيرهما المعتاد فى صمت من السادسة والنصف بالضبط إلى الثامنة إلا ربع تمامًا ، لم يكن الحمل واضحًا لأنها اعتادت ارتداء الأثواب المنزلية الواسعة الطويلة ، مما دعى ألسنة الصحافة الشفهية للقيل والقال فى الردهات والأسواق واللقاءات العارضة سواء كانت رسمية أو غير رسمية ، للتساؤل عما إذا كانت قد حبلت بالفعل أم تبنت الطفل . بقى الشك وقتًا طويلاً كما سنرى فيما بعد .

كتب بخط اليد بنفس الطريقة التى يسجل بها السلع فى دفتر الجرد ذكر ، يزن سبعة أرطال ونصف ، طوله اثنان وخمسون سنتيمترًا ، دميم وكثير البكاء . بعد يومين عادت للعمل ، شاحبة قليلاً ، وأكثر انحناءً بعض الشىء ، ترسم على وجهها ابتسامة فخر ، لكنها لم تلق بالاً للتهانى التى أحاطت بها ، ولم تعرف على الإطلاق كنه الهدايا الصغيرة التى قدمها لها الموظفون . قالت لهم يكفى بالفعل أنهم يدسون أنوفهم فيما لا يعنيهم .

حاول أن يصبح رئيسًا للبلدية بالطرق التقليدية ، تملق السياسيين من هذه الحفل إلى تلك (على المرء أن يتبصر عواقب الأمور) . أقام لهم المآدب وقدم لهم التبرعات المتواضعة

www.ibtesamh.com/vb

(فبعثرة رأس المال إلى أبعد من نقطة معينة لا يترتب عليها زيادة تتناسب فى الإنتاج) . ولا شىء بعد . بعد انتصاراتهم ، لم يتذكروا أنهم التقوا به .

فى ذلك العام فاضت السيول ، أمطار بلا نهاية ، لم تتوقف حتى مرة لتجف الشرفة التى تحولت إلى بركة لامعة تتناثر فيها الصراصير وأوراق الأشجار المتساقطة ، واتته فرصته التى انتظرها طويلاً . المياه الدافقة فى التيارين ، غير مؤذية فى الصيف ، غطت مجاورة كاملة من المنازل المبنية بالطين ، والصفيح ، والكرتون ، والألواح القديمة ، والأخشاب المتهالكة . صار الآلاف جوعى وبلا مأوى . عثر على امرأتين مسنتين وسبعة أطفال كانوا ينامون فى الأراجيح الشبكية ، انجرفوا بين الصخور عندما تراجعت الأمطار .

رفع أسعار السلع فى سلسلة المحلات الخاصة به ، لكنه اخترع مؤسسة خيرية اصطف المحتاجون فى صفوف طويلة فى محلات السوبر ماركت طلبًا للسلع فى مخزن الخردوات يمكن لأى شخص أن يحصل على قميص من الخيش ، وفى المكتبة علقت آية : « الرب يغفر لنا خطايانا » .

كان يقلب بصبر فى صفحات القاموس ، عشرين صفحة كل يوم ، حتى عثر على كلمة تناسب وصفه : محب البشر « الذى يمنح الحب لمن حوله ويحاول مساعدتهم فى الحياة » . طلب

www.ibtesamh.com/vb

أن يستهل اسمه بذلك اللقب عند مخاطبته . كانت أول من خاطبه السيد محب البشر ، وانتشر ذلك بسرعة فى العمل . معظم زبائنه لم يفهموا معنى الكلمة ، فاعتقدوا أنه غيّر اسمه ودون صعوبة كبيرة بدأوا ينادونه « السيد محب البشر » .

وبدأ اللقب يتدعم ببعض السلوكيات الصغيرة : أى شىء مما يوجد فى المخزن مهما بدا تافهًا كان يُمنح للمستشفى ، للمدرسة ، للمركز الاجتماعى . الخضروات غير الطازجة التى لن تجد مشتريًا بأقل ثمن تُعطى لمزرعة خنازير أنيبال ، أو يعاد تغليفها ، وتُقدم للفقراء يوم السبت فى الساعة الثانية تمامًا ، وأوراق الصحف التى اصفر لونها ، قرر تقديمها للزبائن على هيئة تقويمات نصف شهرية ، مع العطلات وتحولات القمر ، كنوع من الإفراط فى الدعاية لمشروعاته ، حيث يتردد دائمًا أن شغله الشاغل هو محبة البشر لا غير .

عاد رجال السياسة لزيارته ، هذه المرة ليس لطلب التبرعات ، بل لمنحه منصب رئيس البلدية . بعدما نصّبوه فى المرة الأولى ، أتبعوا ذلك بتجديد انتخابه حتى حدث ما كان لابد من حدوثه .

واحد من أول أفعاله كان تعيين الثانى من يناير من كل عام لاستقبال الجماهير من شرفة منزله فوق التل . بالإضافة إلى ذلك ، قام بعمل قائمة جرد لكل إنجازاته ، مضيفًا إليها بعض

www.ibtesamh.com/vb

الأفكار عن الأخلاقيات والنظام العملى بالتفاصيل . أما هى أسفل ، فتقف فى مدخل الباب المؤدى للمطبخ ، تمرر شراب الذرة فى أكواب مغلقة بالورق وبعض الفطائر المصنوعة فى المنزل . ثم يديران المذياع على المحطة التى تبث نوعًا من الموسيقى الشعبية ، وبعض الثنائيات الشابة المتناغمة تحاول توقيع خطواتها على الرصيف .

نعم ، استمر طقس الثانى من يناير فترة طويلة ، لكنه توقف ذات يوم .

كان ابنهما يكبر ، ولم يكن أسمر البشرة كوالده ، ولا بيضاوى الوجه كأمه ، لكنه بشكل ما يشبه الإثنين . بدأ بنوبات غضب لم يوقفها لا العقاب ولا المكافأة . حاولا ضربه ، بلا جدوى . منحاه المزيد من الهدايا الثمينة . لو فقط يتوقف عن الصراخ والرفس لحظة ، لكن بلا فائدة . فى النهاية أقلعا عن ذلك وتركاه يفعل ما يشاء ، فبدأ فى البصاق أثناء تناول الوجبات ، وتحطيم الأمتعة الثمينة ، والسخرية من والديه بأسوأ طريقة يستطيعها . قيداه فى حجرة مظلمة ، لكنه تمكن من الهرب ، كانا يخفيانه عند حضور زائرين لكنه يظهر فى قمة الحوار ليبول فى منتصف السجادة . لم يعرفا ماذا يفعلان . قال أن الولد مثل أمه ، أما هى حيث لم تعارضه مباشرة إطلاقًا ، كانت تجيب بأنها لا تتذكر أنها تصرفت هكذا . فى النهاية

www.ibtesamh.com/vb

قررا أن أفضل حل هو إرساله إلى إحدى إصلاحيات الأحداث ، ليريا إذا كان فى استطاعتهما صنع معجزة .

لم يرياه عدة سنوات ، ولا حتى أثناء العطلات ، أو أعياد الميلاد ، أو رأس السنة أو عيد ميلاده . ومع ذلك فى الحقيقة كان غيابه ثقيلاً عليهما ، تمامًا مثل الكابوس المسيطر عليهما بأنه قد يعود دون أن يتغير . كانا يرسلان له النقود شهريًا فى موعدها ، لكنهما لم يفتحا إطلاقًا أى خطابات تأتى من المؤسسة ، ولذلك لم يعرفا شيئًا عن تقدمه أو تأخره . حتى جاء ذلك اليوم الذى انتظره كل منهما بخوف شديد جعلهما يسهران الليالى : الديون التى طلبها منهما المدير بحضوره شخصيًا ، مرفقة بفاتورة بخمسة أصفار تتبعها سبعة ، لأن ذلك الشاب العبوس بنظرته الحادة وبدايات نمو شارب خليع ، وشعر طويل مجعد ، ذلك الشاب الطويل النحيف بكتفيه الملقيين للوراء كما لو كان يتوقع لكمة أو يوشك أن يقوم بواحدة ، قد أحرق مبنى بأكمله فى المؤسسة : لم يبتسم ولا حتى ألقى التحية بل دخل ككلب ذيله بين ساقيه ، حررا للمدير شيكًا بالمبلغ متعللين بالرحيل دون انتظار لسماع المزيد ، ودَّعاه دون أن يقدما له مقعدًا ولا حتى كوب ماء ، رغم أنه كان يومًا حارًا ، يومًا بشمس ساطعة مقتحمة تسبب الصداع النصفى وما يترتب عليه من انعكاس مؤلم على مكان الإبزيم ، وحشو الضروس وكل شىء يلمع .

www.ibtesamh.com/vb

منذ تلك اللحظة . لم يتحدثا إطلاقًا مع ابنهما . فهو يفعل ما يشاء ، يستيقظ متأخرًا بعد والديه بفترة طويلة ، يأكل بعض الفاكهة ، ثم تنتابه نزوة تتغير تبعًا لإيقاع الموسيقى ، فيرفع صوت المذياع إلى أقصى درجة ، حتى تكاد النغمات الصاخبة أن تحدث انفجارًا . عند دخول والديه ، يبدأ فى الغناء بصوت ناعم ، ويرقص بوقاحة شديدة رقصة المامبو والكامبيز والميرونجز ثم يتركهما ويخرج ليطوف فى الشوارع طوال ساعات الليل حتى بزوغ الفجر الذى يجعل أشباح الأشجار والأكواخ تعود للظهور مرة أخرى بجوار الأنهار .

كان رئيس البلدية يبارك الأيام التى تمر هادئة ، وزوجته تمنح الوعود وهى تصلى المرة تلو المرة بين مبالغ الفواتير وقائمة الطلبات ومسئولياتها نحو الزبائن .

لكن الشكاوى بدأت فى الوصول . فى البداية كانا يشعران بالخجل ، بدأ السيد انيبال - وهو يدعك يديه فى سمات ديبلوماسى - باتهام ، فتحدث عن خنزيرين ميتين ، من أفضل السلالات وقد بيعا بالفعل بثمن طيب ، ذلك أن الولد قتلهما بالسهام الليلة السابقة عند سطوع القمر كثدى مفعم بالحليب . اهتما به ومنحاه شيكاً التماسًا لصمته . استمرت القائمة ، مبتدئة بنافذة محطمة وصولاً إلى اغتصاب فى الحديقة العامة ، عند ذلك الركن من أزهار السوسن التى ساءت حالتها أكثر من الفتاة

www.ibtesamh.com/vb

المسكينة ، تلك الابنة غير الشرعية - كما قيل - لباسكال سائق الكارو ، وهو يعلم علم اليقين من أمها ، لكنها ظهرت بين ذراعىّ شيبا المشلولة ، التى صاحت : « إنها عطية من الله ! » .

ذات ليلة ، فى ظل مدخل الباب تقريبًا فى الثامنة إلا ربع تمامًا ، عاد خطوتين للوراء وصاح فيها :« انتهى الأمر . سأقتله ! » هى ، كما لو كانت تتوقع ذلك وأسوأ منه ، أجابت فى صوت عادى : « لتكن مشيئتك » لم يذهبا لفراشهما ، بدلاً من ذلك ، جلسا على مقعدين غير مريحين فى البهو ، حيث اعتادا استقبال أولئك الرجال المزعجين الذين يحضرون لهما الشكاوى بصدد المواسير والبالوعات ، وانتظرا حتى منتصف الليل . بينما كانا يتمايلان نعاسًا ، وفماهما مفتوحان ، أنهضتهما صفقة الباب . قال الشاب راكعًا أمامهما : « أمى ، أبى ، سأتغير ، أريد أن أكون رجلاً نافعًا ، جذريًا » . لم يستطعا الحركة . فى الحقيقة لم يصدقاه ! فقد كانا ذلك النوع من البشر الذى يصلى طلبًا للمعجزات دون إيمان .

لكنِ التغيير حدث ، التحق الولد بالمدرسة ، صار جادًا ، كتبه تحت إبطه ، قرأها ودرسها بالفعل ، وحصل على درجات رائعة ، وانضم إلى أفضل الشباب ، ارتاد حتى مساكن الفقراء المتواضعة حيث علمهم القراءة والكتابة والحساب . صار مثقفًا ، رزينًا ، يتحدث فيما ندر ، عند الضرورة القصوى .

www.ibtesamh.com/vb

بالطبع لم يلتزم إطلاقًا بالمبادئ المتشددة التى تقتضيها الحياة العائلية ، وذات مناسبة جديرة بالذكر قال لأحد الخدم بذلك الصوت المرتفع متعمدًا أن يسمعه الجميع : « هذان المنحوسان اثنان ضيقا الأفق ، مقهوران ، معتوهان بلا مشاعر » . آلمهما ذلك قليلاً ، لكن لم يكن فى الأمر ما يؤذيهما ولا ما يستحق التفكير لكن التغيير كان اعجازيًا .

استمر فى ريبته ، واستمرت فى وعودها وصلواتها ممتنة ، لكن فى أعماقهما لم يستطعا فهم ذلك التغيير ، وظلا لوقت طويل يتوقعان سكينًا فى الظهر .

رحل الإبن إلى العاصمة ، ليلتحق بالجامعة . تنفسا الصعداء ، فعلى الأقل سيستمتعان براحة طويلة ، وربما يسعدهما الحظ فيضل طريق العودة للمنزل لأن العاصمة أجمل ، بأضوائها الباهرة ، وكل أنواع المتعة والفتيات اللاتى يعرفن كيف يثرن الخيال ، رغم أنه ربما لا يكون هناك الكثير ليثرنه .

عندئذٍ عاد الاحتفال بالثانى من يناير أكثر روعة ، ذلك لأنهما احتاجا لاستعادة المكانة المفقودة ، وجعل الجميع ينسون السنوات العديدة التى فسد فيها المنصب وضجر الأهالى ، حتى لا يبدأ أحدهم فى الظن بأن مكنسة جديدة تقش أفضل من القديمة . قدما البيرة بدلاً من شراب الذرة ، وسندوتشات السجق بدلاً من الفطائر . ذات ثانٍ من يناير بعدما بالغ رئيس

www.ibtesamh.com/vb

البلدية فى وصف أعمال حكومته البطولية وأشاد بإنجازات الجمعيات الدولية والمنظمات التطوعية كأعمال منسوبة له شخصيًا ، تأمل بصوت مرتفع (هكذا قال) فى العقوق الإنسانى ، حتى من أبناء المرء نفسه ، وأشار إلى أن محبة البشر لا تحصد دائمًا العرفان بالجميل . لأن صوته كان مرتعشًا ، أثار عواطف البعض ، خاصة حين رأوها توزع البيرة بعينين مغرورقتين بالدمع توشك أن تنفجر فى البكاء . لم يعرفوا أن ذلك الشىء البائس يعانى من أنفلونزا شديدة أصابتهما من الوباء المنتشر فى الميناء .

عاد الابن إلى البلدة دون الفتاة التى تثير الخيال . لم يدع والديه يعرفان بوصوله ، ولا زارهما . أسس مُنشأة قانونية فى مجاورة فقيرة وأقام فى الحجرة الخلفية . منشأة قانونية طيبة ، كسب قضايا يائسة ، فى نزاعات أبدية حول حق الاستفادة من المياه ، وحدود مزرعة ، وهكذا ذاع صيته وأتى الناس يستشيرونه من كل مكان ، حتى من العاصمة . ملابسه نظيفة وبسيطة ، وأعماق عينيه ثاقبة . فتاة صغيرة جميلة تبحث عن زوج ، قالت أن نظراته كنظرات المسيح . رغم أن قليلين من فهموا كنه المصطلح ، إلا أن الكثيرين رددوه ، فهو ذى صدى لطيف .

حين آن موعد الانتخابات ، رشَّح نفسه ضد رئيس البلدية .

www.ibtesamh.com/vb

ذاك صدم الناس حقيقة . أب ضد ابن . ثم بدأت الخطب ، وأية طريقة للحديث كان يمتلك الولد ! حديثٍ صافٍ وحاسم ، محدد وصادق ، خاصة حين تكلم عن محو محبة البشر حتى تنتعش الحقيقة والعدل ، وإنهاء كل هذه الاحتكارات ، مخزن الخردوات ، المطبعة ، المكتبة ، السوبر ماركات ، كلها أسعارها باهظة . ومنتجاتها مروعة ، حتى يستطيع الناس تأسيس مشروعات حرة أمينة . سخر من العادات القهرية الصغيرة لذلك الثنائى المقهور فى منزل عالٍ على قمة التل .

كسب الانتخابات بأغلبية ساحقة ، وحصل رئيس البلدية القديم على صوته وصوت زوجته وخادمين وخمسة من موظفيه . مدمران ، أخذا إجازة إلى الشاطئ ، لم ينتظرا حتى يوم التدشين ، كانت أول إجازة يحصلان عليها منذ سبع وعشرين سنة من الزواج ، ولم يعرفا إن كان كل ما تبقى يوشك أن يضيع ، ولا ماذا بوسع المرء إن يفعل إذا لم يكن يعمل . الحقيقة أن أمنيتهما الوحيدة كانت الذهاب إلى البحر والبكاء ثم البكاء . كل منهما كان لدية فكرة أن البكاء قرب المحيط أكثر سهولة وأكثر راحة .

وصل رئيس البلدية الجديد فى أول يوم له فى العمل فى موعده تمامًا ، يحمل فى يديه مذكرته الأولى :«يُحظر تمامًا على أى شخص الحديث معى من الخلف فهذا يصيبنى دائمًا

www.ibtesamh.com/vb

بقشعريرة ، أى شخص يصافحنى يغسل يديه أولاً ، فأنا مصاب بحساسية ضد التراب والقذارة ، لا أريد من أى شخص أن يعيد ترتيب أوراقى ، وأرجو عدم التدخين فى حضورى ، فرائحة التبغ تصيبنى بالغثيان ، شخص أقل أهمية قد يراعى هذه المضايقات الصغيرة ، لأننى أنا فقط الذى يهتم بالأمور الأكثر أهمية ، تلك الأمور التى تتطلب حلاً صعبًا وذكيًا ، عند دخولى يمكن مخاطبتى ببساطة : نهار سعيد يا سيادة رئيس البلدية ، وعند خروجى : ليلة طيبة يا سيادة رئيس البلدية . بمجرد أن نتعرف على بعضنا بعضًا بشكل أفضل سأواليكم بتعليمات أخرى .

هذا كل ما حدث . أما ذلك وغيره من الأمور التى لا تلائم هذه القصة مثل الشروط التى عبر عنها بوضوح وصراحة للشابة التى رأى فيها إمكانية الزواج ، أكدت فى البلدة أنه حقًا فى النهاية الابن الشرعى للثنائى المقهور فى منزل على التل .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

حارس سنووايت

لويزا هالينزويلا

هناك فى الخلف ، خلف الزجاج ، النباتات فى شىء ما كأنه صندوق ضخم ، وهنا فى الأمام ، أيضًا فى صندوق زجاجى (مصفح) يوجد الحارس . هناك شىء مشترك بينه وبين النباتات ، سر خاص يأتيه من الأرض . وبين قفص زجاجى وآخر ، بدأ بالفعل يبدو عليه الكبر ، ومع ذلك فمساعدى المديرين الشبان شديدو النظافة فى ملابسهم الخالية من كل عيب وابتساماتهم المغتصبة يعملون باذلين أقصى جهد . صحيح أنهم أقل تبجيلا من الحارس ، لكن بما أنهم مساعدى المديرين الشبان لشركة مالية ، فهم لم يتدربوا على القتال وهذا يمنحهم قليلاً من التعويض . ليس الكثير جدًا ، مجرد القليل الضرورى الذى يجعلهم قادرين على تخيلهم ويمارسون الحب على السجادة - كما يتخيلهم دائمًا حارسنا - فى انسجام ، حقًا ، بالنسبة لإيقاع الحسابات الإلكترونية المختصر ، وتحتهم السكرتيرات كذلك بجمالهن الحزين ، يتميزن تقريبًا دائمًا بعيون فاتحة اللون ، ويتأملهن الحارس ، ليس دون درجة معينة من الرغبة ، وهو يعتقد أن مساعدات المديرين الشقراوات - كلهن

www.ibtesamh.com/vb

تقريبا - يتميزن كذلك بعيون مائية ويتمتعن بمركز أفضل مما يغوى السكرتيرات الشابات . ومع ذلك فهو لديه الحكاية الشعبية ولديه كذلك منظار - مخبأ فى المحفظة التنفيذية - وواحد من أفضل كاتمى الصوت المستورد . يحمل فى جيب داخلى من سترته رخصة مسدسه والبطاقة التى تؤكد سلطاته كحارس قانونى . فى الجيب الآخر ، الله وحده يعلم ما يخفيه ، حتى هو ذاته لا يزعج نفسه بالفحص . ذات مرة عثر على أحمر شفاه ولطخ يديه باللون الأحمر كأنها خُضبت بالدم ، مرة أخرى عثر على بذور لا يعرف كنهها ، وفى مناسبة ما ضل طريقه فى غضون هذا الجيب بين جدائل التبغ وأشياء أخرى ، والآن لا يريد حتى أن يفكر فى هذا الجيب وهو يراقب العملاء الذين يدخلون ويخرجون من المكاتب الفسيحة . يعرف أن مساعدات المديرين قد يتميزن بعيون فاتحة ، لكن سياجه الزجاجى له ثلاث عيون مستديرة (واحدة فى كل جانب مفتوح ، الجانب الرابع مواجه للحائط) وهى عيون أكثر غرابة ، ولسنا فى حاجة أن نذكر أنها أكثر عملية ، وفى النهاية أكثر إفاضة للموت . يستطيع المرء من خلالها قتل أى شخص يستحق ذلك ، ومن خلالها يستطيع المرء الشعور بالأمن والأمان : ذلك السياج هو أمه التى تحتويه .

من خلال السياج الزجاجى يرى أكثر الكائنات عبثا تمر ،

www.ibtesamh.com/vb

بعضها له وجوه أقزام ، مثلاً ، أو نساء أشكالهن تتحدى كل قواعد الجمال وفتيات صغيرات بشعر مصبوغ بلون مُح البيض . فى بعض اللحظات يفكر حارسنا أن الشركة تستخدمهن لعرض الجمال الطبيعى الخاص بموظفاتها ، لكنه سرعان ما ينبذ تلك الفكرة المجنونة . إنها شركة مالية ، صممت للحصول على الأموال وليس لإنفاقها فى المشروعات العبثية .

وهو ؟ لماذا هو هناك ؟ إنه هناك لحماية الأموال ، وقد يسقى النباتات كذلك ، لو فقط يتركونه يفعل ذلك .

سيكون شيئًا طيبًا له أن يستطيع من وقت لآخر أن يذهب إلى السياج الزجاجى الآخر ، الموجود بالخلف ، إنه أكبر قليلاً من سياجه رغم أنه ليس مصفحًا ، لكنه أكثر هدوءًا ، والمسافة بين الورود والنقود حرفان . مسافة يعبرها بسعادة ، علاوة على ذلك ، فإن المال يخص أشخاصاً آخرين ، لن يكون ماله الخاص إطلاقًا ، ولكن على النقيض ، النباتات لا تخص أحدًا ، لديها حياتها الخاصة بها . يمكنه أن يسقيها ويدللها وحتى يتحدث إليها برقة كأنها كلاب أليفة ، مثل ذلك الشخص الذى يقضى أيامه يتحدث بتودد إلى محبوبيه من الكلاب البولدوج ونبات حنك السبع . لا يحتاج للشعور بأى ارتباط بالناس الذين يعملون فى ذلك المكتب ، رغم أنه هناك ليحميهم ويفتديهم بحياته . مجرد أنه لا شىء يحدث هناك ، لم يأت شخص بنظرات مريبة أو محاولات للسرقة . أحيانا تلفت نظره لفة مثيرة

www.ibtesamh.com/vb

متروكة على مقعد ، لكن الشخص الذى تركها سرعان ما يعود ليأخذها ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه بهذه اللفة المثيرة للتساؤلات تحت إبطه . حتى ذلك الحين وبافتراض أن اللفة بها قنبلة ، فإنها ستنفجر بعيدًا عن المكاتب المقدسة . وواجبه يتضمن حماية الشركة فقط ، ليس المدينة بأسرها ، ناهيك عن حماية العالم . واجبه ببساطة أن يتصرف من موقع دفاعى وليس من موقع الهجوم ، حتى إذا كان لديه نصف عقل سيعرف أن المهاجم المتوقع يستطيع جيدًا أن يكون واحدًا منهم (رجل مثله هو شخصيًا كمثال) وليس شخصًا غريبًا كما قد يكون الصندوق الزجاجى الذى به الخزنة آمنًا . . لكن حياتى ستكلفهم كثيرًا ، هذا ما يقوله لنفسه غالبًا ، مكررًا الجملة لدرجة أنها تُسمع خلال التدريبات ، دون ملاحظة أن كل مخلوق بشرى يفكر فى نفس الشىء ، بتصريح القانون أو بدونه (الحياة ليست شيئًا تافهًا يحملها المرء على كفه هكذا ، فما بالك بحياة المرء ذاته ، لكنه يمتلك تصريحًا بأن يقتل وهو هادئ البال) . لذلك السبب ، ينام ليله هادئًا حين لا يكون فى نوبة حراسة ، ويحلم أحيانًا بالنباتات الصغيرة الموجودة فى الخلف . هذا هو الأمر ، بالطبع ، حين لا يكون محظوظًا بما فيه الكفاية لدرجة أن يحلم بالسكرتيرات الحسناوات ، عاريات ، ممددات إلى حد ما ، وأحاديات الأبعاد ، لكنهن دائمًا مثيرات . الأحلام تشبه نوبة الحراسة أكثر (اليقظة) ، أما أحلام اليقظة التى يتقلب فيها الرجال

www.ibtesamh.com/vb

الوسام والنساء الجميلات فى تلك الشركة المالية وهم عراة على السجادة التى تشل حركتهم . السجادة بمثابة كاتم للصوت . هو ، هناك فى سياجه البلورى - أبيض كالثلج ، اللعنة على ذلك - لديه مسدس أيضًا بكاتم للصوت ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يبقى صامتًا كالنباتات . تقريبًا متبلد . إنه صامت فى قفصه الزجاجى يعانق صمته بينما يتخيل أولئك خارج سياجه فى أوضاع خارجة تمامًا عن المحافظة على آداب المجتمع . وها هو هنا ، تراه مستغرقًا فى أحلام يقظته ، يحافظ بكل كيانه على مالا يخصه إطلاقًا . ليس حتى من بعيد . حياة بلهاء تمامًا . يحمى ماذا ؟ الصناديق الصلبة ، شرف السكرتيرات ، ثقة المديرين فى أنفسهم وفى مساعديهم وفى بقية الموظفين (مظاهرهم المهندمة) . يحمى العملاء ، يحمى النقود التى تخص الآخرين .

ذات يوم لطيف واتته الفكرة . فى اليوم التالى نسيها ، ثم تذكرها بعد أسبوع ، ثم بدأت الفكرة شيئًا فشيئًا تكوّن نفسها فى رأسه بشكل مستمر . مع ذلك فهى لمسة إنسانية ، ومضة فكرة . شىء ما كان ينمو داخله ، يصفر بحدة مثل شغفه بالنباتات الموجودة فى الخلف . شىء يسمى سبب النزاع .

بدأ يذهب إلى العمل وهو يجر قدميه ، الآن لا يشعر بتلك الأهمية ، لم يعد يحلم أمام المرآة أن وظيفته وظيفة أبطال .

أى وحى ذلك اليوم الذى اكتشف فيه أن منصب البطولة الوهمى كان وظيفة حمار ! (طريق داخلى فى نفسه ، فى ذلك

www.ibtesamh.com/vb

الجزء من نفسه الذى لم يشك إطلاقًا حتى فى وجوده) أى شخص بأى قذائف لا يضطر لاستخدامها لحماية الآخرين . كأن شخصًا منحه قبلة رائعة على جبينه النائم ، كأن شخصًا هزه فأيقظه ، وأنار عقله .

كل هذه الأمور كان من المستحيل أن ينقلها لرؤسائه . بالطبع كان معتادًا أن يغلق فمه ، وأن يحرس ذلك داخل ذاته ، ككنز ، تلك العواطف القليلة التى تزهر داخله عبر مشوار حياته . ليس الكثير من العواطف ، بالكاد تصور أن شيئًا ما يحدث داخله على الرغم منه ، ودون التفوه بكلمة . لقد احتمل ذلك كثيرًا ، تمامًا كالعذاب الجسمانى الذى يطلق عليه تدريبات : لم يكن هناك سؤال يجلس ليطرحه على نفسه – يجلس ، أمام من هم أرفع مقامًا منه ؟ – ليناقش شكوكه أو يطرح شكواه . هكذا بدأ شيئًا فشيئًا يرعى سخطه المنير أكثر مما ينبغى ، واستطاع قضاء أمسياته واقفًا داخل قفصه الزجاجى مركزًا أفكاره على شىء أكثر تحديدًا من أحلام يقظته الشبقية . كف عن تخيل مساعدى المديرين الشبان يتقلبون مع السكرتيرات على السجادة الناعمة ذات الوبر ، وبدأ يراهم كما هم بالضبط . يؤدون واجباتهم المحددة . يأتون ويذهبون فى احترام صامت ويديرون الأموال والأجهزة والرسوم والخصومات والعملات الأجنبية فى ذكاء . وكلهم شباب جذابون بشكل مزعج .

www.ibtesamh.com/vb

كان شيئًا طيبًا لشهور قليلة أن يجرد تلك الأجساد من كل الأوهام ، ويراهم فقط فى وظائفهم المتعلقة بالعمل . صار حارسنا واقعيًا ومنظمًا . أخذ يخرج من القفص ويطوف - بملامحه الهادئة - فى الحجرات المليئة بالمكاتب المتناثرة . بدأ يتبادل كلمات قليلة مع الموظفين الأكثر تفتحًا . ابتسم للسكرتيرات ، ثرثر فترة طويلة مع أحد سماسرة البورصة . أقام صداقة مع البواب . تحدث حتى عن تعلقه بالنباتات مع بعض الناس ، وذات مرة حينما لاحظ ذبولها طلب التصريح بريّها فى وقت فراغه . عندما يغلقون المكاتب يبدأون فى تركه يعتنى بالنباتات ويرشها وينظفها بسخام المصابيح حتى تتنفس بسهولة .

ذات ظهيرة حمل آلامه لنهايتها ، لدرجة بقائه فى الخلف ساعتين ، يشرب الماتيه [1] فى سكون بين النباتات . لم يستطع الخفير الليلى أن يقدم له أية مساعدة لكنه ذكر ذلك لرؤسائه ، وخشى الجميع أن يكون الحارس قد تحوّل إلى شاعر ، وهو شيء شديد الخطورة على من يعمل فى وظيفة مثل وظيفته . لكن لم يكن هناك داعٍ للخوف من تدهور أكثر من ذلك : أدى واجباته بوعى ، وأثبت ذاته بحذر مفرط فى ساعات حراسته ، لم يسمح لأى تفصيلة أن تفوته . تمكن حتى من إحباط هجوم

---

(١) الماتيه : شراب فى جنوب أمريكا شبيه بالشاى .

www.ibtesamh.com/vb

خطير حامدًا لرد فعله السريع ولأنف كسبت جائزة من رؤسائه . تقبل جائزته بشعور سامٍ بكرامته ، واعياً بحقيقة أنه لم يقم بأى شىء أكثر من حمايةً اهتماماته . رؤساؤه ومديرو الشركة جميعهم حضروا ذلك الاحتفال البسيط ، وتقبلوا تواضع الحارس كشعور نبيل وكسعادة مخلصة فى تأدية الواجب على أكمل وجه . وهكذا ضاعفوا قيمة الجائزة وعادوا إلى بيوتهم المحترمة هادئي البال وهم متأكدون أن الشركة المالية يحميها حارس لا يبارى .

بفضل العلاوة المضاعفة استطاع الحارس أن يكسو نفسه كما يتمنى ، وكان يحتاج فقط أن يتدرب على الصبر الذى تعلّمه من النباتات . حين اعتقد أخيرًا أن اللحظة مناسبة ، التفت إلى تلك الموهبة ، حتى أصبح من المستحيل أن يقتفى أحد أثره ويكتشف مكانه . لنقل ، أنه فى عيون الآخرين ، تمكن من إدراك حلمه القديم . أو لنقل ، أنه اختفى من على وجه الأرض (أو ابتلعته الأرض) .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

قفص رقم واحد

دورا ألونزو

لمعت عينا القردة فى ضوء الفجر ، وهى تحدق فى كل اتجاه ، ثم نهضت وتسللت نحو قضبان القفص ، تسيطر عليها الرغبة فى الهروب من الحبس . كانت بطنها ممتلئة ولا تزعجها الرغبة ، لكنها تريد لمس أوراق الأشجار التى تحيطها منذ أول مرة فتحت فيها جفونها المتغضنة فى ذلك المكان .

كل ليلة ، وهى تربض فى مهجعها الأسمنتى فى ظهر القفص ، آخر شىء تراه هو الأشجار . عندما تستيقظ تبحث عنها . إذا هبت ريح ، أو هطل المطر ، يصقلها المطر ، إذا رقصت الوريقات وإذا أرعش الرعد البراعم ، تراقب القردة ذلك ، وهى تشعر بنفسها ممتلئة بالبراعم الخضراء التى أثمرت من توقها الغامض العنيد . .

كانت تراقب بلا فهم ، بلا حركة ، تحت الأغصان المتمايلة التى تنزلق فوق القفص . أمها ، وجدتها ، وعشرون جيلاً من أهلها تلوح أطيافهم فوق أوراق الأشجار من خلال نظرتها الثابتة .

بأنفها الذى يشبه القمع المغطى ببشرة سوداء لينة ، فاترة ، أمسكت بالقضبان بسرعة . فوقها بدأ همس البذور فى حكى

www.ibtesamh.com/vb

أسرار ، وارتفع تيار النسغ [1] فى عروق النباتات فى الظل ، الكلمات المفردة من الأغصان حطمها ثقل الندى . . وقفت ساكنة ، ويدها النحيلة معلقة فى الهواء ، لا تشعر بالحاجة لتعذيب جسمها بسوط الصياد مرة أخرى . شعرت بالقلق فشحذت أسنانها ، وضغطت على صدغيها . صرخت رعبًا والتفت على نفسها بذراعيها خلف رأسها ، لتحمى نفسها من الخوف الذى يترصدها عن قرب ، فى العشب المبتل بندى الفجر .

جعلها الرعب تربض أمام الحائط الأسمنتى ، حائط أبدى . نفس الكلمات ، نفس الصوت ، نفس الأغنية ، نفس اللثغة تتحدث دائمًا إليها ، تناديها . كل عضلة فى جسمها تريد أن ترد فى الحال . قفزت ، لكن بينما كانت تقفز راحت تنشج فى تردد . أخذت تهذى وهى ترتعش من فرط القلق الذى يقتلها .

اقتربت من القضبان للمرة الثانية ، أمسكت بها بكلتا يديها وأظهرت وجهها الأسود ، طويل ومليء بالأسى كقناع للموت . شعرت بالحديد باردًا وعدوانيًا . تخللت نعومته أطراف أصابعها والتفت حول القضبان بيديها تمامًا ، تعتصرها بشدة . تموج غضبًا ، هزت القضبان . بدأ الحديد يلين وينحنى . خرجت منه القردة .

---

(١) النسغ : السائل الذى يجرى فى أوعية النبات حاملاً الماء والغذاء .

www.ibtesamh.com/vb

الآن أحست بالهدوء ، لم يزعجها غطيط الثعلب الصغير بيبا ، ولا دبيب السحلية فى العشب الجاف .

صاح قرد الجيبون من قفصه المستدير معلقًا عويله على الأشجار المترقبة ، وعلى الأغصان الطويلة النحيلة .

مرت القردة كظل فى صمت الحديقة النائمة . تنفس السجن الكبير فى الليل ، محررًا أحلامه الخاملة ، والكوابيس التى تعذب الأنهار الحرة والميتات السريعة ، وحمى المواجهات العقيمة ، وغضب القيد القاتل .

هرولت بلا هدف ، تلمس الأرض بمفاصل أصابع يديها المغلقة ، محنية الرأس . ما وُلِدَ تلك الليلة ظَلَ يهزها مع هديل الريح ، والتنفس ، والشكوى ، والسر .

توقفت لدى الشجرة : إنها أوراق باكية وتنهدات . امتلأت عينا القردة كينبوعين من السعادة . سقط الحجاب ، ساكبًا حريرًا وعذوبة من أعلى ، فانطفأ كل شىء يحرقها بالداخل . ياه ، ياه ، ياه ، ملأها لغو القرود بالسعادة ، بزهور مجهولة . عانقت الشجرة ، وحاولت امساكها وشرب ما كان يسيل تحت لحائها .

لمست غصنًا بجبينها ، ومست الأوراق الندية شفتيها المضمومتين . أنّت وأنّت ، مغمضة عينيها الواهنتين من الحمى . كانت أوانى الماء والفاكهة ، والأرجوحة والطوق بعيدة جدًا فى هذا الصباح الحر الأول .

www.ibtesamh.com/vb

كانت القردة محمومة ، تحلم بأنها تعض الحارس الطيب من حلقومه حتى تشعر بشفتيها قرب شرايينه المتدفقة ، وتخنقه برباط حذائه الذى علَّمها كيف تربطه وكيف تفكه . حلمت بأنها تهرب للغابة تتبعها كل القرود التى شوه منظرها :

إنسان الغاب من أدغال سومطرة وبورينو الكثيفة ، حمراء مثل اللهب المضطرم ، « القرود الوحشية » من الجزر البعيدة .

قرود الجينون من جزر أندونيسيا ، القرد اللطيف أونكاباتى من ماليزيا بذراعيه الطويلتين ، رشيق كالسهم .

الغوريلا الكبيرة من السهول ومن الجبال ، موهوبة فى التسلق والتعلق بالأغصان ، كالبحارة ، سادة المئة عقدة ، مئتا كيلو جرام من الجسد اليافع وعدة أمتار عندما تمد ذراعيها .

الشمبانزى بقوته التى لا تصدق ، عنيف ، على أعلى مستوى من الذكاء ، بعضها وجهه أبيض ، والآخر وجهه أسود ، وبعضها أصلع ، أقزام ، يطيرون على الأغصان عند سماعهم نقرات قائد القطيع على الجذوع المجوفة ، يأمر ببداية رقصة الحرب .

شعرت القردة بهم خلفها تمامًا ، فى أعداد لا تحصى . . .

قرود البابون بذيولها القصيرة الصلبة الملونة بألوان حمراء مبهرجة ، قرود الميمون بوجوهها المزرقة الوحشية ، مخططة بألوان كثيرة أخرى ، وسرعتها لا تكل . قرود البابيون المقدسة

www.ibtesamh.com/vb

فى الهند ، بولعها بالحرب ، والعنف ، وإلقاء الحجارة . تنافسها فى ذلك قرود البابون . قرود الأمادرياس بأكتافها المكتنزة التى تغطى رأسها ، عبدها المصريون القدماء .

قرود الرينوتيبك بشكلها المضحك وبشرتها الزرقاء اللامعة وأنوفها الكبيرة المقلوبة ، من جبال الجليد الخالدة فى التبت ، لصوص صغار مجانين بالقوارير . .

القرود الخضراء الغاضبة .

قرود المكاك المسعورة ، السباحة وجامعة الطحالب والسرطان ، موطنها اليابان والفلبين والصين وجاوا ، بذيولها الطويلة ووجوهها الوردية .

كانت هناك ألف ضجة : عويل ، أصوات مرتعشة ، سقسقة ، نباح ، صفير ، نخير .

قادمون فى أمواج من العالم القديم ، ينضمون إلى قرود أمريكا بذيول على استعداد للإلتفاف . من جبال جزر مادیرا إلى باراجواى ، أعضاء عائلة كبيرة منعزلة قدموا من القارة الصغيرة .

قرود أمريكا الجميلة بألوانها السوداء والنحاسية ، تسكن فى غابات غزيرة المطر فى حوض الأمازون .

قرود الكابوتشينى المقلنسة ، فضولية ومحبة للإستطلاع مثل البشر المسنين صغار الحجم .

القرود العنكبوتية ، مثل الدُمى الخرساء .

www.ibtesamh.com/vb

قرود المحيط الهادئ بكروشها الممتلئة .

قرود الميكو من بيرو ومن ماتو جروسو ، آكلة الجراد والعقارب . قطعان السعدان المزغبة ، متعددة الألوان : جراء السعدان الأسدية ، بشعر العنق الناعم الذهبى الصافى ، والذهبى الأصفر : السعدان الأبيض الزغبى من أراضى كاتينجا القاحلة ، السعدان السنجابى والسعدان ذو الشعر الذى يبدو وكأنه طُلى بفرشاة فنان . . .

القرود الأقزام التى تتمتع بطاقة نشاط عالية من الإكوادور ، تزن ثمانين جرامًا (تعتبرها النساء جواهر وطموحًا شديدًا) بأيديها الصغيرة التى لا تُرى إلا بعدسات مكبرة .

القرود الملونة صغيرة الحجم أتت قفزًا فوق القمم الخضراء الفسيحة . لحقت قوافلها الممتدة بالقرود المستعبدة فى السيرك ، والقرود التى يصطحبها الشحاذون الذين يطوفون الشوارع يعزفون الموسيقى .

تعثرت القرود السقيمة الكفيفة فى جريها ، تم انقاذها من مقاطعات الهاڤانا الأرستقراطية البعيدة ، عندما فر أصحابها المهملون خوفًا من العامة المسلحين ، وغادروا بلادهم هربًا من الحكم بالموت جوعًا .

أتت قرود أخرى ، شوهها الأسر ، تلك التى قضت على بعضها البعض بأسنانها فى الحرائق الهائلة ، ولم تستطع التغلب

www.ibtesamh.com/vb

على رغباتها الدفينة ، على يد مارتين بيريز السادى المتعطش للدماء ، ذلك التواق للمتعة المقعد الذى أرغمه قانون الاحتياج لإشباع ذاته بأى حى يتحرك بالقرب منه : حمامة ، إنسان ، نمر ، أو حتى ضفدع .

فى مقدمة الصفوف ، بأسنان ومخالب ، قرود التوتو الضخمة ، الشمبانزى موضع الثقة الذى يلقى بالغائط والصفصاف فى وجوه المتطفلين والأطفال وكبار السن والجنود وحتى النساء اللاتى يهاجمهن برغباته الجنسية الحبيسة.

اخترق الهاربون المهتاجون ستائر النبات الخضراء العطرة ، مسيطرين عليها من أجل كل فصائلهم التى عانت الحبس ، بأعصابها وذهنها وعينيها المغمضة والمشدودة إلى جذور الأشجار وأوراقها وأغصانها الخفية البعيدة .

أمسكت الأيدى المزغَّبة بإبهامها المقاومة بالأغصان .

حطموا واحدًا ، وعلقوه على قمة الشجرة لإقامة مأوى .

عندما كسروا الغصن قطعتين ، ولوحوا به ، طلعت الشمس .

* * *

على امتداد الطريق حيث فتحت الأشجار المتوهجة مظلاتها الحمراء ، وصل حارس . توقف أمام القفص رقم واحد ، نظر إلى الداخل وصرخ حتى يصل صوته إلى القزم : « انظر سيمون : القردة ميتة ! » .

www.ibtesamh.com/vb

أطياف جيمنا

لورا ريسكو

« يمكنك البقاء هنا قليلاً قبل أن يصبح الجو باردًا ، لكن لا تخرجي للعب فى القاذورات ولا حتى تفكرى فى فتح تلك البوابة » هذا ما قالته لها المربية العجوز ، وهى تجفف يديها المعروقتين المحتقنتين فى مريلتها ، وتعود مسرعة لأعمالها فى المطبخ . جلست چيمنا على أعلى درجة (هناك خمس درجات تؤدى إلى باب المنزل الخلفى) وهندمت ثوبها تحت ساقيها فبرغم أنها إحدى أماسى يونيو ، إلا أن الأسمنت لا يزال باردًا . على بعد عدة ياردات منها السياج المدهون باللون الأبيض ، وإلى يمينه ذلك الجزء الذى يفتح ويغلق بمزلاج حديدى عتيق الطراز . إذا وثبت على العوارض الخشبية الأفقية التى تمتد فى قاعدة السياج ، تستطيع فتح المزلاج وفجأة تصبح البوابة مفتوحة وتتأرجح چيمنا دقيقة وهى تتعلق بالمزلاج حتى تتوقف المفصلات الصدئة عن الصرير . الأشخاص المقربون الذين يأتون كثيرًا إلى المنزل ويدخلون عن طريق باب المطبخ ، يمدون يدًا داخل الألواح الخشبية الرأسية ويرفعون المزلاج للدخول . ابن السيد سيباسيتان ، ذلك الفتى الذى يحضر حطب

www.ibtesamh.com/vb

الوقود ، وهو ليس فارع الطول ، يكبرها فقط بأعوام قليلة ، يتسلق أى ناحية فى السياج دون مشكلة ويقفز إلى الناحية الأخرى بابتسامة رضا عن الذات ، فتبتسم له جيمنا متقبلة عمله البطولى كأنها تمنحه هدية ، لكن عندما يحدث هذا يثبط همتها لأنه يجعلها تدرك أكثر قليلاً أن السياج والمزلاج لا يحميان العائلة كثيرًا ممن بالخارج مثلما يعترضانها فى بقعة الأرض الجافة التى يطلقون عليها الفناء الخلفى ، لأنهم يرغبون فى تعبير أفضل ، بينما لا يمكن أن يطلقوا عليها كلمة حديقة فالتراب والارتفاع لا يسمحان بنمو الأعشاب أو الزهور فيها ، وهى ليست كذلك حظيرة ، فهم ليس لديهم حيوانات .

تتطلع چيمنا من الدرجة إلى الخارج وراء السياج بتلك العادة التى اكتسبت حماسة الطقس . تنظر إلى ماوراء الحقل الخالى ، الفسيح المجدب الذى بلا أشجار ، ولا حتى أى أعشاب خضراء ، أحياناً تستطيع رؤية القطار الذى يمر مرتين فى اليوم ويختفى فى لمح البصر ، بسرعة شديدة ، سواء إلى اليمين أو إلى اليسار . إيقاع خشخشة القطار هو عادة آخر صوت تسمعه قبل أن تروح فى النوم فى المساء . تصغى إليه ، تجعله يمضى بعض الوقت مقترنًا بأى لحن تتذكره من المذياع ، تجعل نفسها تذهب ، تذهب بعيدًا مع الأغنية والإيقاع حتى يبتعد صوته تمامًا، ويفقد اللحن سحره ، فيعيدها الصمت إلى الوسادة ،

www.ibtesamh.com/vb

وحوائط الحجرة . خلف الدروب (التى لا تراها لكنها تتخيلها) تميز أشكال المعسكر بصعوبة حيث يعيش العمال فى المسبك . لديها فكرة مشوشة عن المعسكر لأنها مرت به مرات قليلة فقط ، وفى عربة . تغمض عينيها وتركز انتباهها على المكان كما لو كان صورة فوتوغرافية غائمة ، فقدت مع الوقت وضوح مفرداتها . ترى كتلة رمادية هائلة ، تمتد فى رتابة إلى أبواب ونوافذ صغيرة لا نهائية وكلها متشابهة ، مساحات معتمة ، وفتحات فارغة ، حتى الهواء لا يتحرك ليدخل أو يخرج . ومع ذلك هناك أشخاص ، أشخاص كثيرون ، كما أخبرتها المربية العجوز فى تذمر . لذلك ستبنى الشركة معسكرًا آخر ذات يوم . كفت چيمنا عن طرح الأسئلة بشأن الخط الثابت البعيد لأن الإجابات مراوغة ، وهى تدرك أن ذلك يجعل الكبار يقلقون . خاصة والدتها التى تتنهد ويبدو عليها القليل من الحزن . عندما تراقب چيمنا ما وراء السياج لوقت طويل ، وعندما يذكرها القطار بالجانب الآخر ، وترتفع فى حلقها الأسئلة المربكة ، تلملم ذاتها مرة أخرى وتطلب منهم أن يحكوا لها قصصًا ، أو تمضى مذعنة إلى الرسوم الملونة فى موسوعة والدها ، وألبوم الصور فى حجرة والدتها .

اليوم ، مهما كان ما يدور حولها ، فقد شعرت بأفكارها مرتبكة ، وراحت تتأمل أشعة الشمس . قدر ضئيل من أشعة

www.ibtesamh.com/vb

الشمس ، قدر ضئيل على الأسطح المتموجة . عندئذٍ رأت لونًا برتقاليًا أو ورديًا ساطعًا يرتفع على بعد ، يرتفع من الأرض تمامًا إلى الأفق ويمحو اللوحة الغائمة التى تثيرها الذاكرة . تنفست بعمق ، أغمضت جفنيها بشدة ثم فتحتهما لترى إذا كانت الألوان لا تزال حقيقة هناك على البعد ، أو إذا كانت مثل تلك الألوان الأخرى التى تتخيل أنها تراها على حوائط حجرتها - رغم أنها تعلم أنها غير موجودة - حين يصيبها الأرق ولا تستطيع أن تنام . ارتعشت وهى تراقب مدينة من الأقواس والقباب والأبراج العالية والقلاع الساطعة المتألقة وأكثر من أى شىء آخر البالونات ، مئات البالونات تنتشر بأيدٍ خفية ، محلقة ، ومرحة ، ومترنمة من هذه المدينة المحتفلة ، وترفرف ، وكلها من الألوان البرتقالية . تجرى إلى باب المطبخ وتهتف بالمربية العجوز أن تأتى وتنظر .

تسحبها ، متعلقة بذيل ثوبها وهى تقول : « هيا تعالى يا دادة ! تعالى وانظرى كم هو جميل المعسكر ، لديهم حفل » .

لم تستطع المربية العجوز الخروج بسرعة كما ترغب لأن الكِبَرُ أبطأ حركتها فتجر قدميها وهى تشكو ، تأخذ يد چيمنا وتخرج معها لتنظر .

تقول بغضب : « لا شىء هناك ، ثم إن الجو بارد ، ادخلى » وتسحبها عائدة للمنزل .

من فوق كتفها ، وغالبًا من خلال دموعها ، تصر على

www.ibtesamh.com/vb

وجود ما رأته ، فقد تمكنت من رؤية الحقل البور أعلى أعمدة السياج ومن خلفه ، بدلاً من الحفل لا ترى الآن أى شىء .

* * *

منذ عدة أيام أحضروا المربية الشابة من المزرعة فى الوادى . ذات ليلة بعدما تلت والدتها معها صلوات « أبانا الذى فى السماوات » « والسلام عليك يا مريم » أخبرتها أنها ستحضر مربية جديدة .

- لكنى عندى مربية ، منذ سنين !

قالت لها والدتها وهى تغطيها بالكوفرتة « لهذا السبب ، لأنها هنا منذ وقت طويل وهى الآن عجوز جدًا وصحتها ليست على ما يرام ، بالإضافة إلى أنها لا ترى جيدًا . ألم تلاحظى ذلك ؟ »

تحدثت همسًا كما لو أن المربية العجوز التى كانت فى ذلك الوقت من الليل فى حجرتها فى الجانب الآخر من المنزل قد تسمعها . صحيح أنها لم تعد ترى جيدًا . كأن على عينيها خيوط عنكبوتية ، وعادة يكون لونهما أسود لكنه يتغير إلى الرمادى . حقيقى كذلك أن صحتها ساءت ، فهى تسير بصعوبة وألم حين تضطر للحركة السريعة ، وقد صارت عصبية عن ذى قبل .

« لكنها لن تعود إلى الوادى ، أليس كذلك ؟ »

حاولت ألا يبدو صوتها مرتعشًا . سمعت أمها ذات مرة تقترح فى حنان عودتها إلى المزرعة . لا نريدك أن ترحلى يا ماما

www.ibtesamh.com/vb

كريستينا ، لكنك هنا تقومين بأعمال كثيرة ، أما هناك ستحظين بسلام وهدوء أكثر ، هذا ما افترضته . كان عليها أن ترفع صوتها حتى تسمعها المربية العجوز لأن سمعها ضعف قليلاً . حتى فى الحديث بصوت مرتفع كان صوت الأم يحمل الحنان والاحترام الذى كانت تكنه دائمًا للمرأة العجوز .

كانت دائمًا تجيب : « إذا رحلت يا طفلتى ، ستعم الفوضى منزلك . لا يمكنك إدارته ، أنت لازلت لا تعرفين كيف تديرينه » .

لم تصر أمها . استمرتا فى الكلام ، كل منهما تحكى للأخرى أشياءًا ، وتتخذان قرارات وترتيبات . لابد أن المربية العجوز قد تعبت تمامًا لتقبل بمجئ خادمة أخرى . فى الماضى كان ذلك مستحيلاً ، فحينما أحضروا فتاة من الوادى لتساعدها ، استحال الأمر تمامًا ، حتى أنهم بعد أيام قليلة أعادوا الفتاة للمزرعة . احتج والدها ، قال ، نحن نعرف من صاحب الكلمة الأخيرة فى هذا المنزل ، لكن والدتها أقنعته أنها تحب الأعمال المنزلية ولن يضيرهما أن يوفرا بعض المال . هذه المرة على أى حال ، لم تعترض المربية العجوز على وصول مساعدتها ، استيقظت چيمنا ذات صباح ورأت بجوار والدتها شابة ترتدى جيبة سوداء وعلى صدرها شال . حاولت ألا تحملق فى قدمى الفتاة العاريتين الممتلئتين ، أو ظهرها أو أظافر أصابع قدميها

www.ibtesamh.com/vb

الصلدة . ابتسمت الفتاة بفضول وجرأة . تذكرت چيمنا بشكل غامض أنها لعبت معها فى المزرعة .

قالت والدتها : « چيمنا ، ماريا إيستر ستكون مربيتك الجديدة . »

لأن الأخرى كانت دائمًا المربية العجوز ، ثبت فى ذهنها أن ماريا إيستر أولاً وأخيرًا وفى كل الأوقات وفى حوار الآخرين كذلك هى المربية الشابة .

فى البداية ، عاملتها بصعوبة عمدًا . ادعت أنها لا تفهم لغتها الأسبانية الركيكة التى تخرج فى صوت غير واضح ، وسخرت منها بتقليدها . تعمدت خلط نظام الأعمال المنزلية الروتينية التى تعرفها الفتاة بصعوبة ، ليس لأنها بطيئة الفهم لكن لأن هناك الكثير لتتعلمه . لم تطعها ، وليصبح اعتراضها ظاهرًا ، صارت تجرى أكثر من ذى قبل تلوذ بحض المربية العجوز ، التى بعد أن تحتضنها ، تجلسها بجوارها وتوبخها فى صوت خفيض : « ينبغى أن تخجلى من نفسك ! تتصرفين هكذا الآن ، حسنًا ، ماذا فعلت لك ؟ » .

لم تتأثر المربية الشابة كثيرًا بهذا . فهى لطيفة وتضحك كثيرًا وتغنى وهى تعمل . بدأت چيمنا تتقبلها شيئًا فشيئًا لأنها فتنت بقصصها التى تحكيها عن قريتها فى الوادى . لم يمض وقت كثير على ماريا إيستر لتكتشف المكان المفضل لچيمنا وتهيمن

www.ibtesamh.com/vb

عليها ، فتكسبها إلى صفها ، وتحوطها بالتصرفات الطيبة والحكايات المثيرة التى تنسجانها معًا عن مواسم الزرع ومواسم الحصاد ، والمهرجانات وأعياد الكريسماس وسحر نباتات معينة والأيدى التى تستطيع القتل أو الشفاء ، والأرواح المعذبة التى تبحث بلا نهاية عن السلام أو الانتقام ، ومعجزات القديسين السود الذين يحملون صولجانات أو خواتم فضية عندما يرتفعون فوق الجبال المقدسة . بعض تلك الحكايات سمعتها من مربيتها العجوز ، لكن فى حكى المربية الشابة تأتى هذه الأشياء من بعيد ، ترفرف شجية ، كأنها تريد الإختفاء بسرعة كما لاحت بسرعة . المربية الشابة تحكى القصص من قلبها ، بجلبة ، ووثب ، ووجوه مرعبة . تخاف چيمنا لكنها دائمًا تبغى المزيد . تتبع المربية الشابة فى أرجاء المنزل ، ممسكة بخرقة صفراء تستخدمها فى مساعدتها لتنظيف الأثاث من التراب وهى تستحثها« . . و؟ ثم ؟ » تقول المربية الشابة وعلى رأسها غطاء مربك يجعل ضفائرها السوداء الغزيرة تسقط على جانب واحد : سأحكى لك فيما بعد » .

القصص مليئة بالمتعة والإغراء الممنوعين لأن كلا من أمها والمربية العجوز طلبا منها ألا تدعها تتحدث باللغة الكوشية حتى تتمكن من الإلمام بها جيدًا .

اعترضت متذمرة : « لكنها تتحدث الأسبانية ! »

www.ibtesamh.com/vb

« لا يا چيمنا ، أنت لا تلاحظينها . إنها تبدأ بالأسبانية وتنتهى بالكوشية . بالإضافة لذلك ، أنت تسيرين خائفة طول الوقت ، كما لو كنت ترين أشباحًا على الحوائط . تقفزين لأتفه سبب وتبدين دائمًا على وشك الوثب » .

هذا حقيقى ، إنها تسير أحيانًا وقلبها فى حلقها ، وأحيانًا تتحدث باللغة الكوشية ، وتفهم تقريبًا كل ما يقال بها . فوالدتها والمربية العجوز كذلك تخلطان اللغتين بسبب التعود أو أحيانًا عندما لا تريدان أن يعرف والدها ما تقولانه . حين تفشل چيمنا فى ترجمة كلمة من قصة تذهب جريًا إلى المربية العجوز وتسألها عن معناها . فى البداية كانت المرأة العجوز تجيبها دون كثير من الانتباه ، لكن بعد عدة أيام وبخت الفتاة التى عضت شفتيها خجلاً ، وابتسامًا وهى تغمغم : « حاضر ، لست فى حاجة للإحتجاج ، لا بأس » .

تعلمت چيمنا بعد ذلك ألا تسأل . أحيانا عندما تكون قد أمطرت الليلة السابقة ، تخرج كلتاهما إلى الفناء لصنع أطباق لعرائسها من الطمى الذى كونته الأمطار . تجلس القرفصاء مصغية إليها ، مفتونة ، ولم تعد تزعجها بالتفكير أن الأوانى الفخارية الصغيرة جدًا التى صنعتاها بمثل هذه العناية ، وتسببت فى إصابة جلد يديهما بالحساسية ، ستكون فى اليوم التالى شائهة وقبيحة وستنكسر لأقل حركة . لأن چيمنا مرتبكة فيما تقوله

www.ibtesamh.com/vb

لها ، ذات صباح لوحت بيدها ، حيث جفف الهواء البارد الطمى ، ناحية الحقل الخالى .

قالت بثقة : « ذات مساء رأيت حفلاً جميلاً جدًا ، كله برتقالى اللون به بالونات كثيرة فى كل مكان ، هناك فى المعسكر » .

التفتت المربية الشابة برأسها إلى اليمين وحدقت النظر ثم أجابتها وهى غير مقتنعة : « ياه ، حقا ؟ »

هذا الشك أزعج چيمنا فهشمت قازة الزهور الصغيرة التى تلفها المربية الشابة بين أصابعها ، وجرت إلى المنزل تاركة خلفها قطع الطمى التى جفت فى الحال تسقط فى المدخل .

* * *

تقوم والدتها ببعض الترتيبات للذهاب إلى المزرعة خلال أيام قليلة . راقبتها چيمنا وهى تنطلق وتتحرك فى أرجاء المنزل ، مصطدمة بالأشياء كما لو كانت لا تعرف مواضع الأثاث ، أو أين تبدأ الحوائط وأين تنتهى . بين حين وآخر تتنهد بعمق وتترك رأسها ينكفئ منها على أحد جانبيه بتلك الإشارة التى تبدو لچيمنا شديدة الحزن . فى منتصف الترتيبات للرحيل للوادى ، بدا عليها التعب لكنها مرحة ، ارتابت چيمنا فى وجود ما يسوء .

سألت والدتها وهى تثبت شعرها : « هل جدى مريض ؟ » .

www.ibtesamh.com/vb

« من أين لك بهذه الأفكار ؟ لا ينقصنا إلا هذا . نشكر الله أن كل شيء على ما يرام » .

تمنت چيمنا عندئذٍ أن تسأل ما الموضوع بالضبط ، لكن صوت والدتها انتزع منها الكلمات . لاحظت أن التليفون يرن أحياناً فى وقت متأخر جدًا ، متأخر للغاية ، حتى حين يكون والدها نائمًا بالفعل . تسمعه من فراشها يذهب إلى حجرة المعيشة ليرد وتريد أن تسمع وتكتشف ماذا يحدث حتى لو كانت خائفة ، لكنه يتكلم بهدوء شديد ، يتمتم من بين أسنانه ، أو حتى يتحدث فى تردد بالإنجليزية . رأت والدتها ، أيضًا قرب التليفون ، تمرر منديلاً معطرًا على عينيها وسمعتها تقول أنها منزعجة جدًا جدًا من الموقف . فى الأيام القلية الماضية لاحظت جيمنا غياب زوارهم المعتادين . صديقات والدتها ، البيرويات والأمريكيات لا يأتين معًا لتناول الشاى كما كان يحدث سابقًا . فقط السيد إيستڤيز يأتى للزيارة ، لكن ليس كثيرًا كما كان يحدث ، دائمًا عند حلول الظلام ، يتكئ على عصاه الفضية ساحبًا ساقه الخشبية وعندما يضبطها تنظر إليه يصنع لها دوائر من الدخان . يتحدثون فى حجرة المعيشة وهم يشربون القهوة ويبقون وقتًا طويلاً بعد العشاء . لا يسمحون لها بإحضار دميتها واللعب عند أرجل المائدة كما اعتادوا .

تنادى أمها قائلة : « ماريا إيستر ، خذى چيمنا لتلعب فى المطبخ » .

www.ibtesamh.com/vb

تحتج وترفس قليلاً ، وتبدأ فى البكاء ، لكن سمات الألم على وجه أمها وعينا السيد إيستفيز الصامتتان ، بدون نظرته الودودة المعتادة ، يربكانها . يغلقون الباب المؤدى للمطبخ ولا يمكنها سماع أى شىء عدا صوت والدها حين يرتفع وهو يصيح أنه لديه ما يكفيه وليذهب الجميع إلى الجحيم .

استمر التليفون يرن بشكل متواصل . شىء ما جديد ، كواقعة إغلاق حضانة الآنسة ميرفى . تفتقد قضاء الصباحات فى حجرة معيشة الأرملة المليئة باللعب والكتب الملونة . كانوا يقصون أشكالاً ليلصقوها على قطع كبيرة من الكرتون وتستنشق چيمنا فيها - حين لا يراها أحد - رائحة المعجون الأبيض الذى يستخدمونه . تحب كذلك رائحة الأقلام الشمعية العريضة والمربى التى تنثرها المدرسة على البسكويت لتقدمها لهم فى الساعة العاشرة . تلعب مع ديبى وديانا ، اللتين تحميانها من الأطفال المشاغبين ، ليس فقط لأنها أصغرهم سنًا ، لكن لأنها بدأت لتوها تتعلم فهم القليل من الإنجليزية . لا تستطيع شرحها ولا تريد أن تسأل أحدًا عن السبب ، لكن حين تحاول العثور على كلمة إنجليزية تحضر فى ذهنها بدلاً منها الكلمة الكوشية بلا مجهود . تسكن ديبى وديانا بعد عدة منازل على الطريق . وكانتا فيما سبق تأتيان لقضاء فترة بعد الظهر مع چيمنا أو تذهب هى لتلعب معهما فى منزلهما ، لكنها لم ترهما منذ أيام . كما لو أن العائلات الأمريكية اختفت فجأة جميعها فى هواء شفاف .

www.ibtesamh.com/vb

من وقت قريب جاء السيد سبستيان لإحضار حطب الوقود . ركن شاحنته قرب السياج كالمعتاد . ألقى قطع الخشب التى يستخدمونها فى المدفأة كيفما اتفق وراء السياج . خرجت چيمنا حين سمعت جلبة ألواح الخشب وهى تقع فوق بعضها بعضًا . لم يرها أحد تنسل من الباب وبينما تقترب من السياج فكرت فى النزهات التى يمنحها إياها السيد سبستيان فى عربته الكارو الصغيرة التى اعتاد أن ينقل بها الخشب ، ثم يكومه بنظام بجوار حائط المنزل أسفل الإفريز . إنها نزهات مجنونة وابن السيد سبستيان معها فى العربة كذلك ، أو يدفع العربة بنفسه ، يجعلها تعتقد أنه سيقلبها ويسقطها ثم يعدل العربة بحركة ماهرة فيضحكان ويضحكان . هذه المرة بقى الولد خلف السياج ، يداه فى جيبيه ، مثبتًا نظره على حذائه أو ينظر فقط تجاه والده . طلبت منه چيمنا أن يدخل ويلعبا . لم يتحرك الولد خطوة ، ولم يغير وضعه ، ظل واقفًا هناك كأنه لا يسمعها . أما السيد سبستيان بالكاد يرد تحيتها بإيماءة من رأسه . ذهب الإثنان بلا ابتسامة تاركين كومة الخشب بلا ترتيب أمام السياج ، فيما بعد حملتها مع المربية الشابة قطعة قطعة ورتبتاها تحت الإفريز . سألت چيمنا المربية العجوز لماذا يتصرف الإثنان على هذا النحو فأجابتها فى مزاج سىء أنهما قد يكونا ليسا على ما يرام . رفعت چيمنا الستارة البيضاء المنقطة بنقط صفراء فى نافذة حجرة

www.ibtesamh.com/vb

تخزين الأطعمة ونظرت إلى السماء الرمادية التى دائمًا تقريبًا بنفس اللون الرمادى . ينفث المسبك أدخنة رمادية تغطى البلدة طوال العام تمامًا كأنها مظلة . يُصاب الناس بالأمراض لأن الهواء يحمل أجسامًا صغيرة لا يمكنك رؤيتها لكنها تجعلك تعطس وتدمع عينيك . چيمنا أيضًا رغم أنها محظوظة ، كما قالوا لها مرات عديدة ، لذلك عليها أن تتعلم أن تكون ممتنة ، يمكنهم إرسالها بالعربة إلى الوادى عندما تُصاب بمشكلة خاصة بالتنفس .

توقفت كذلك نزهاتها المفضلة إلى ميدان البلدة ومنطقة السوق . منذ أيام والمربية الشابة تذهب لتجلب المشتروات بمفردها . صرخت چيمنا كثيرًا من داخل الحمّام حيث حبسوها ، لردودها الفظة ، وحينما فكرت فى الأمر ، وجدت أن حلقها لا يزال يؤلمها وصدرها ثقيل . أصغت لما يحدث خارج باب الحمّام حين أخذتها والدتها جانبًا ، أصرت أنه لذلك السبب أحضروا ماريا إيستر من المزرعة ، فهى صغيرة وقوية ، لكن والدها العنيد قال أن الوقاية خير من الأسف . من نافذة الردهة على أحد جانبى الباب الأمامى ، نظرت چيمنا إلى الطريق المحظور ، إلى تلك الدرجات التى لم يُسمح لها بالجلوس عليها بمفردها ، فمن خلال السياج الحديدى يمكنها عبور الطريق بسهولة ، ووراء ذلك السياج يوجد الجرف الصخرى

www.ibtesamh.com/vb

وأسفله الهضاب الجبلية . حين كانت ساقى المربية العجوز لا تؤلمانها وبإمكانها الذهاب للتسوق ، كانت تصحبها إلى الميدان على الجانب الآخر فلا ترى النهر . يمكنهم الخروج من باب الفناء المرصوف والسير فى الحقل البور والبقاء بالقرب من منازل الجيران والأصدقاء ، وجميعها تشبه منزلهم . لها سياج وبعضها به مراجيح جلبوها من خارج البلدة . مع المربية الشابة كان الأمر مختلفًا ، خرجت معها إلى ضفة النهر ورغم أوامر والدتها المشددة ، كانتا تقتربان من السياج الحديدى وتنظران إلى أسفل .

قالت المربية الشابة فى المرة الأولى : «يالها من قباحة ! » .

كانت چيمنا تعتقد أن الأمر جميل . يدفع التيار الماء سريعًا ، وحتى عند وصولهما للجسر ، لا يزال النهر يمتد لليمين واليسار إلى مسافات بعيدة لا يمكنها رؤيتها . صوت الماء ، تدفقه المتواصل ، حدوده النائية ، تجعلها تفكر فى القطار . چيمنا معتادة على رائحته ، لكن المربية الشابة تقول أنها رائحة كريهة ، فتمسك بأنفها وتشير بإصبعها إلى الشحم الأصفر الذى يكوِّن جزرًا تختفى فقط لتظهر من بعيد . تقول أن النهر فى الوادى نظيف ويمكنك الاقتراب من الأسماك الفضية متناهية الصغر التى تعرف كيف تختبىء تحت الصخور الطحلبية .

www.ibtesamh.com/vb

يشربون مياهه ويغسلون شعورهم فيه بالمادة اللزجة التى يستخرجونها من الضفادع الصغيرة الملونة ، الفتيات فى الوادى يلعبن وهن يغسلن ملابسهن هناك ، ويصبحن مبللات كأنهن فى كرنڤال . تصدم سماء الوادى الزرقاء ذاكرتها فتقاطعها لتقول لها أن هذا كذب وأنها مجرد قصة . لا تعرف چيمنا السبب ، لكنها تشعر بضرورة الدفاع عن هذا النهر الذى تسمع خريره أسفل ، فى تلك المرات النادرة التى يتركون فيها نوافذ المنزل مفتوحة .

* * *

للمرة الثانية يؤجلون الرحلة إلى الوادى . فتحت والدتها الباب المؤدى إلى المخزن حيث وضعوا التليفون ، ربما تحاشيًا لإزعاجها لهم وهم يتحدثون . وجهها شاحب للغاية . تجلس أمام مائدة فى حجرة الطعام وتنادى على المربية العجوز بصعوبة . تجرى چيمنا لإحضارها من الفناء حيث تنشر الغسيل مع المربية الشابة ، وتأتى المربية العجوز وهى تُتمتم « السلام عليك يا مريم » لاهثة . تجدان والدتها منحنية على مفرش المائدة ورأسها بين ذراعيها فاقدة التحكم فى قواها . تطلب المربية العجوز من الفتاة إحضار كوب ماء ، وتحتضن والدتها خصرها بينما تربت العجوز على شعرها بحنان ، وتواسيها باللغة الكوشية ، لكن چيمنا لا تحاول أن تفهم ، بل تركز على الأثر

www.ibtesamh.com/vb

الذى تركته ورود الغطاء الكروشية على باطن ذراع والدتها . عندما لم تستطع تحمل الموقف أكثر من ذلك ذهبت إلى الحمّام وحبست نفسها فيه حتى تتخلص من ضعف ساقيها والارتباك أو الخجل الذى يحرق وجنتيها ويصفر فى صدرها . إنها تهرب .

بعد قليل ، بينما كانت تأكل وجبة خفيفة فى المطبخ ، أثناء الصمت الذى تسمع من خلاله صوت مضغها رغم مجهودها لتجنب ذلك ، تنظر بعمق إلى المربية العجوز . لقد كبرت هذا المساء . تنظر إليها چيمنا كأنها تلاحظها للمرة الأولى ، تنظر إلى خصلات شعرها النحيل الرمادى ، وإلى سترتها الزرقاء ، وإلى عنقها الأرجوانى تقريبًا ، الملئ بالتجاعيد والطيات ، إلى أعلى عظم وجنتيها المرتفع الواهن متدليًا حتى وجنتيها ، تلك الوجنتين اللتين كانتا مشدودتين . الآن تنتفخان وتنكمشان مع أنفاسها . لا تريد رؤيتها على هذا الشكل . تريد أيضًا أن تلوذ بمريلتها ، لا تزال عالقة بضعفها رائحة الوادى المميزة ، ورائحة الغابة ، ورائحة أشجار الأوكاليبتوس . لكنها مفعمة بدموعها الغزيرة التى تراها لأول مرة على وجهها وهى تسيل كأنها تنبثق من تلك السحب التى تغطى عينيها وتتركها عمياء .

* * *

مستيقظة ، رغم ادعائها العكس من دقائق قليلة حين دخلت

www.ibtesamh.com/vb

والدتها حجرتها لتغطيها . استيقظت على صوت انفجار يمكن سماعه من الجانب الآخر من الجسر . فى الليالى القليلة الماضية صارت والدتها تأتى مرارًا لتطمئن عليها كما لو كانت مريضة ، ثم تعود إلى فراشها على أطراف أصابعها ، ولأنهم الآن يتركون أبواب الحمّام الملحق بالغرف مفتوحة لأنها تربط بين حجرتى النوم ، سمعت چيمنا بعض حواراتهما . سمعت : ليما ، تعزيز ، تهديد ، نار ، معسكر ، المزرعة ، الطريق العام ، لا أريد أن أتركك ، ينبغى أن تفعلى ، مرعوبة ، حتى مع الأطفال . لم ترغب فى سماع المزيد . غطت رأسها بالكوفرتات ، وسدت أذنيها بأصابعها . لعدة أيام لا يأتى القطار فى موعده ، نسيت تقريبًا أن تنتظره حتى تنام على صوت إيقاعه . لم تعد قادرة على صنع تلك الأشكال الصغيرة التى تظهر على الحوائط مثلما كان يحدث حين تلعب فى الظلام مع عينيها ، فذلك يتطلب منها إخراج رأسها من تحت الأغطية والتطلع خارجها .

تحاول تذكُر صور الألبوم ، واحدة وراء الأخرى حسب ترتيبها فى الصفحات السوداء .تستحضر أماكن بعينها ، وأشخاص من الوادى بعينهم ، هى والمربية العجوز فى الحجرات المختلفة فى هذا المنزل ، أصدقاءها وأصدقاء والديها الذين تعرفهم رغم تغيرهم على مر الزمن ، مناسبات العائلة

www.ibtesamh.com/vb

السعيدة أو صحبتهم معًا . معظم هذه الأشياء تواسيها بابتسامات من الماضى ، عينا أبيها فى الصور نادرًا ما تنظر إلى الكاميرا ، بل يثبت أنظاره بحب نحو والدتها . الليلة هذه الأخيلة مؤلمة ولذلك تنتبه لدفء جسدها ، وتحاول النوم والتفكيرفى الاستعراض ذى الألوان البرتقالية وراء الحقل البور .

* * *

أثناء النهار تسلك سلوكًا سيئًا مع المربية الشابة . لا تريد سماع حكاياتها . لا تريد النظر إلى الرسوم فى الموسوعة معها . لا تريد مساعدتها فى تنظيف الأثاث من التراب . لا تريد التفكير فى تفضيلها على المربية العجوز . ماريا إيستر التى تصر الآن أن ينادونها بذلك الاسم ، تتلقى هذه الإهانات دون كلمة . لم تعد تضحك على كل شىء وتغنى بهدوء ألحان توقٍ إلى الماضى بصوت خافت جدًا بالكاد يُسمع على بعد مقعدين . بينما تجفف العصير الذى انسكب على ثوبها ، تقول لها بصوت لا يحمل ضغينة : « أنت تعرفين . أنهم يسرقون أبناء المسئولين » .

تجفل چيمنا دون أن تدع أحدًا يلاحظ ذلك . تغادرها وهى تدفعها وتصرخ فيها من حضن المربية العجوز : « كاذبة ! إنها قصص فقط ، مجرد أنها قصصك » .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

كان على والدتها الخروج للقيام ببعض مهام اللحظة الأخيرة لترتيبات السفر . تبرمت چيمنا وارتبكت من الفوضى التى سببتها الصناديق والصرر والأشياء الملفوفة استعدادًا للنقل . سيرحلون إلى المزرعة ثم إلى مدينة ليما . تقف ماريا إيستر على مقعد تخرج الملابس والشماعات والقبعات والزهور البلاستيكية والخطابات المربوطة بمزقة زرقاء وبها رائحة الجاردينا . كل شىء فى دولاب والديها . المربية العجوز ليس لديها القوة لحمل الأشياء ، لكنها الشخص المنوط أن يقرر أين تذهب الأشياء . تريد چيمنا استطلاع ما يحدث بتطفل وأن تساعدهما فى الوقت نفسه رغم أنها لا تصر على ذلك ، المرأتان متذمرتان للغاية ، ولم تعيراها إلتفاتًا ، فى الواقع تعاملانها كبعوضة مزعجة . طلبا منها أن تذهب إلى المطبخ وتأكل بعض الخبز وعسل النحل . راحتا تطويان السجاجيد وترصان الألواح الخشبية التى تغطى الأرض ، فتذكّرت قضبان السكك الحديدية . ربما حان موعد مرور القطار . على أى حال هى تفضل ألا تسأل لأنها تعرف أنهما ستوبخانها مرة أخرى . فتحت الستائر ذات النقط الصفراء لترى ما بالخارج ، فنفد صبرها لأن الزاوية ليست مناسبة لرؤية ما تريد . أغلقت الباب المؤدى إلى حجرة المعيشة بحرص وفتحت باب الخدم ، ذلك الباب المواجه للحقل البور .

www.ibtesamh.com/vb

مر وقت طويل على آخر مرة سمحوا لها بالجلوس على الدرجات وهم الآن مشغولون جدًا ولن يلحظوا غيابها . هندمت ثوبها تحت ساقيها حتى لا يتخلله برد الأسمنت . الصمت تقريبا مطبق ، تسمع فقط ضجة معدنية مثل إشارات التحذير الخاصة بعبور قضبان السكك الحديدية بجوار الجسر . فى البداية ظنت أن رغبتها الخاصة هى التى تجعلها ترى ، هناك على البعد ، أبعد من قضبان السكك الحديدية المتخيلة ، الكرنڤال ، المدينة البرتقالية ، التى ترتفع أمام عينيها . التفتت برأسها لتتأكد أن أحدًا لم يرها وانطلقت نحو السياج . من هناك لم تتمكن من الرؤية كما ترى من أعلى الدرجات ، لكن أبراج القلعة والبالونات التى لا تعد ولا تحصى كانت طليقة محلقة فى الهواء . للحظة تساءلت إذا كان عليها أن تخبر مربيتيها وتثبت لهما أنها لم تكن تكذب ، لكن ذكرى التجربة الأولى وكيف اختفى الكرنڤال حين أرادت شاهدًا ، جعلتها تغير رأيها . بالإضافة إلى ذلك هناك رائحة سخونة فى الجو ، كتلك التى تنبعث من المداخن فى ليالى الشتاء ، وهذه الرائحة تنومها مغناطيسيا ، وتجعلها تنسى تمامًا احتمال ندائهما لتريا إذا كانتا تستطيعان الرؤية أيضًا . اتجهت صوب البوابة ، تسلقتها حتى وصلت للمزلاج وفتحته ، وهى تحرص على عدم إصدار أى صوت . ظلت تتأرجح ، مراعية صرير المفصلات العالى الذى قد يكشف أمرها . قبل أن

www.ibtesamh.com/vb

تهبط تمامًا ، بمقدمة حذائها الجلدى منغرسًا فى الطين ، نظرت حولها مرة أخرى لترى إذا كان أحد قادمًا . لم تستطع سماع أى شىء من المنزل ولم يكن صعبًا عليها أن توارب البوابة وتخطو خطوات قليلة للأمام فى الحقل البور . كلما خطت مبتعدة عن السياج كلما شعرت بالحرارة أكثر والألوان قوية جدًا لدرجة تؤذى عينيها مثلما حدث فى الوادى حين حاولت النظر مباشرة إلى الشمس ولم تستطع . فى البداية خشيت أن ينادونها ، ثم يسحبونها إلى داخل السياج الأبيض . عندئذٍ بلا خوف ، وهى محمومة بالبالونات والزهور ، ومصابة بدوار من الفضاء ، ومن الحدس ، ومن اللون البرتقالى الذى يتلون الآن أحيانًا بدرجات من اللون الأزرق ، جرت تجاه الكرنفال دون أن تلتفت حولها حتى مرة واحدة لتنظر للخلف .

www.ibtesamh.com/vb

طفل وكلب ، والليل

أماليا رنديك

راحت الشمس تخبو تدريجيا فى صورة أشعة ذهبية . أضاءت بالكاد مصابيح الشوارع بضوئها الخافت ، ذلك الظلام والضباب الذى عم مخيم التعدين بأكمله . كانت مجموعة كبيرة من الرجال العاملين بحفر مدقات الركائز ، والميكانيكيين ، وعمال التعدين ، وحفارى المناجم فى طريقهم إلى منازلهم ، واتسمت رحلة العودة بالبطء والصمت لصعوبة التقاطهم أنفاسهم بسبب سوء التهوية ، فقد أقيم منجم شيكويكاماتا على ارتفاع ألفى وثمانمائة متر فوق سطح البحر .

حينما وصلت المجموعة إلى مجاورة بينكروفت ، بدأت تتفرق فى مختلف شوارع معسكر العمال . كانت أضواء المنازل تُرى من خلال النوافذ والأبواب المواربة . واصل جون لابرا ، الميكانيكى القوى ، والصديق الوفى سيره فى أحد الشوارع العديدة الضيقة ، مستمرًا فى التنهد بسبب الصفير الحاد وصفارات الإنذار فى مناطق العمل . لكن سرعان ما تلاشى الامتعاض من وجهه ، الذى كان قد تغضن بالفعل تغضنات عميقة كالعروق المعدنية ، وامتلأت عيناه بفيض من البشر ،

www.ibtesamh.com/vb

وتقبل على الفور الترحيب الودود من أسرته الصغيرة كان جون الصغير يقف عند باب المنزل كما يفعل كل مساء ، وهو ولد صغير فى التاسعة من عمره ، ذو عينين جريئتين مفعمتين بالحياة ، يافع بالنسبة لعمره وله قدمان تعشقان السير . بالنسبة له ، لم يكن المنجم يحوى أية أسرار ، فهو يعرف كل شبر فيه ويدرك كل خفاياه . كان طفلاً ثرثارًا ، ولا يقطع ثرثرته المتواصلة إلا ليبتسم . راقب بفضول بوجهه الملتصق ببوابة الحديقة الحديدية رجلاً طويلاً من شمال أمريكا يسير خلف والده .

همس إلى والده فى خوف : « بابا ، جرينجو [1] يتبعك ، إنه قادم إلى منزلنا ! »كان الشارع خاليًا ، وأخذ جون الصغير بظهور كلب الراعى الضخم « بلاك » الذى كان يتبع سيده داڤيز ، وبلاك أحد الكائنات القليلة التى تمكنت من أن تجعل داڤيز يتعلق بها . رفيق وحيد فى وجوده المنعزل فى أرض غريبة .

قال عامل المنجم جون لابرا ، وهو يخلع قبعته المعدنية باحترام ويفتح بابًا صغيرًا فى البوابة : « تفضل ، ادخل ، يا سيد داڤيز ، هل يمكننا أن نقدم لك أية خدمة ؟ » لم يستطع أن يخفى دهشته لرؤية أحد أصحاب الشركة على بابه .

---

(١) جرينجو : لفظ يطلقه مواطنو أمريكا اللاتينية على أبناء أمريكا الشمالية الذين لا يتحدثون إلا اللغة الإنجليزية وهى تعنى أجنبى .

www.ibtesamh.com/vb

قال السيد داڤيز ، وهو ينظر إلى كلبه : « بإيجاز يا سيد لابرا ، إننى أحتاج مساعدة كبيرة منك . فأنا مضطر للسفر الآن إلى أنتوفاجاستا ، وأريد أن أترك صديقى العزيز بلاك فى رعايتك بضعة أيام . أعرف أنك ستكون عطوفًا معه . فقد نظمت جمعية للرفق بالحيوان فى كالاما . الجميع يعرف ذلك » .

أخذ لابرا يعدل سترته ، وبداخله شعور غريب بالرضا ، ووعده قائلاً : « هذا جميل يا سيد داڤيز ، أشكر لك ثقتك . سيكون الكلب سعيدًا هنا ، وستطمئن أنه لا يعانى . وفى غيابى سيعتنى به ابنى الصغير جون » .

« أنا أتركه وديعة بين يديك وأشكرك جدًا . أراك قريبًا ، يا سيد لابرا ، سأعود فى أقرب وقت ، بلاك . . . آه ، لقد نسيت ، خذ ، سأترك لك مؤونته من اللحم المحفوظ فهو طعامه المفضل » .

بدا الحزن على السيد وكلبه . شد بلاك سيده من بنطلونه ، فانحنى داڤيز ليربت على رأس الكلب ، بأنفه البارز ، ورحل ، بدأ الكلب فى السير خلفه ، لكن ذراعى جون الصغير أحاطته كالسلسلة . نبح الكلب فى اضطراب ، متشممًا الهواء ، بينما كان لسانه الأحمر المبتل متدليًا من فمه . لهث فى قلق ، أغلق الولد البوابة . وقف بلاك منتصبًا ، تبدو عليه الوحشة ، كان فراؤه اللامع ورشاقته واحتماله الرزين علامات على أصالة

www.ibtesamh.com/vb

سلالته . فهو كلب ثمين وقد كسب الكثير من عروض الكلاب لأصالة سلالته .

بدأ الولد يكلم الكلب كأنه أخوه الأصغر ، راقب كل منهما الآخر لمدة طويلة دون أن يدعه يغيب عن نظره ولا حتى طرفة عين . كانت نظرات الكلب هادئة ، حتى أن وجه الولد ينعكس على صفحة عينيه كنقاط بيضاء صغيرة . فراح يربت على الكلب بخجل ، ذلك الذى يتشمم الهواء ، وأخيرًا استجاب له بحركة تمنع من ذيله .

استمر جون الصغير فى حديثه الغريب للكلب من طرف واحد ، وأصبحا مغرمين ببعضهما البعض . شق الفجر ساعات الليل المظلمة الضبابية ، ثم طلع النهار كالمعتاد فى منتصف الرابيتين الضخمتين اللتين تكونتا من براكين سان بيدرو وسان بابلو . بدا كل شىء مندى أزرق اللون .

استيقظ بلاك مع أول صفارة فى الفناء المحاذى لمنازل العمال وأخذ يراقب سيرهم ، كأن شيئًا عظيمًا قد اندلع فى قلبه أيضًا ، فاستجاب لهذه الانطباعات الجديدة بنباح كالانفجار ، وكان أول ما فعله جون الصغير فى الصباح ، هو أن ذهب فى عالم حالم ليرى صديقه الجديد ، وخلال الأيام القليلة التالية ذهبا معًا إلى كل مكان .

فى صراع مع الريح ، جريا على امتداد الشريط المنعطف

www.ibtesamh.com/vb

الذى يمثل الطريق إلى كالاما ، واخترقا كل هذا الطول من سوء التهوية دون مجهود يذكر .

لعبا معًا ، غاصا فى حفر مخلفات النحاس الأحمر الشهباء ، عديمة الشكل ، ككتلة ساحرة من الأرض المعدنية ، حاولا جمع القطع الى تبرق باللون الأخضر المزرق والأصفر وتومض بألوان جذابة فى ضوء الشمس .

كانا يقضيان الساعات فى هذا اللعب حتى يحل الليل . صارت روابط الصداقة التى تجمع بين جون الصغير وبلاك أقوى وأقوى ، لكن ثمة قلقًا كان ينمو غشى سعادة الولد قصيرة العمر ، فقد كان يخشى اليوم الذى ينتهى فيه بقاؤهما معًا ، لأن عودة السيد داڤيز أمر مؤكد « ألا تستطيع يا بابا أن تطلب من السيد أن يعطينا بلاك ؟ لماذا لا تشتريه ؟ » .

أجابه العامل بابتسامة مريرة : « لا يا صغيرى جون ، لن يكون لنا مطلقًا ، فهو كلب ممتاز جدًا ويساوى وزنه ذهبًا ، إنه كلب الرجال الأثرياء ، والجرينجو يحبون أن يتريضوا بصحبة الكلاب مثل هذا الكلب ، ويقدمونها فى العروض » .

أجاب جون الصغير بشكل قاطع قائلاً : « عندما أكبر سأشتريه » .

ثم صاح فى والده : « لا أريدهم أن يبعدوه عنى . . إنه صديقى » .

www.ibtesamh.com/vb

ذات يوم ، بينما هما عائدان من تريضهما على ضفاف نهر لوا ، هبت ريح جبلية عاتية ، فابتلا من رذاذ أمطار كامانشاكا ، وعندما وصلا إلى الباب ، توقفا كأنهما شعرا بالخوف والفزع .

لقد عاد « السيد داڤيز ! » حاول الولد الصغير أن يشرح ماذا يعنى له الكلب ، لكن الكلمات تفجرت فى قلبه ووقفت فى حلقه الجاف . كانت لحظة محزنة .

تمتم باكيًا وهو يلوى يديه المتشابكتين فى عصبية : « وداعًا يا صديقى الصغير وحظًا سعيدًا » .

شكره السيد داڤيز بإخلاص ، لكن الطفل كجنتلمان صغير رفض أن يأخذ أى مقابل .

بدأ بلاك فى السير خلف سيده السابق فى تردد ، وهو يتفحص أركان الطريق بشغف مودعًا مجاورة العمال فى طريقه إلى المخيم الأمريكى . آن الأوان ليدرك جون الصغير أن صدامه الأول مع اليأس قد انتهى ، وتأمل حقيقة كونه لا يستطيع أن يحوز كلبًا ممتازًا ، وواصل بلاك سيره . تآلف كلاهما مع الوضع .

لكن مع حلول وحشة الليل ، عندما تتأمل الأرواح نفسها فى أقصى حالات انكساراتها بالحياة ويبدو كل شىء سدى ، تساقطت حصون جون الصغير وبدأ يبكى . شىء ما أثار فيضًا من الاتصال بين الولد والحيوان عبر الفضاء وفى نفس اللحظة

www.ibtesamh.com/vb

تمامًا ، فبدأ الكلب ينبح فى المخيم الأمريكى . كانت الذكريات عن بلاك تومض فى عقل الولد ، وكما لو كان يُساق بقوى غامضة ، نبح الكلب بهياج ، سائلاً الريح أن تحمل رسالته . بدأ كموسيقى حزينة ، ثم اشتد إلى درجة تصيب بالصمم .

بكى جون الصغير طيلة الليل فى أنين ضارع تحول إلى موسيقى غريبة تردد صداها فى الشوارع الساكنة فى بلدة المنجم .

تحير السيد داڤيز من سلوك بلاك . ماذا بوسع رجل أن يفعل حيال كلب يبكى ؟ استوعب عقل الجرينجو حقيقة جديدة . بلاك لم يعد يخصه بعد الآن . لقد فقد حبه .

لم يستطع لابرا أن يهدئ ابنه الصغير المحموم الدامع ، فماذا بوسع رجل أن يفعل حيال طفل يبكى ؟ أراد لابرا أن يرى ابتسامة ابنه الحاضرة الجريئة مرة أخرى ، شعر أنه ضرورى أن يستعيد ابتسامة جون الصغير . وخزه الإحساس بالفقر مرات عديدة ، لكنه لن يستطيع تحمل هذا . شىء ما غير عادى لابد أن يحدث فى مدينة التعدين فى هذه الليلة العصيبة .

كأنه قد حان الوقت للجميع أن يصيروا إخوة ، ألقى لابرا عباءته فوق كتفيه ، وحمل مصباحه الوامض ، ومضى إلى أقصى المجاورة ليرى ما إذا كانت ثمة معجزة قد تتحول إلى حقيقة . نعم ، لابد أن يكون شجاعًا وجريئًا . هو ، ذلك العامل

www.ibtesamh.com/vb

البسيط ، الخجول والصامت دائمًا ، يطلب بلاك الممتاز الجميل ، حائز الجوائز ، من أحد أصحاب الشركة !! استنشق هواء الليل البارد بعمق ، وارتعد من التفكير فى جرأته . صعد صوب المخيم الأمريكى .

فجأة توهجت عينان بنيتان فوسفوريتان فى ضوء المصباح ، فجفل لابرا . أوقفته رائحة بايب وتبغ نقى ، ونباح مألوف . .

فقد خرج السيد داڤيز لرؤيته فى نفس اللحظة تمامًا واتجه إلى منطقة مساكن العمال !

شىء ما لمس قلبى الرجلين . لم تكن الكلمات ذات أهمية .

تمتم السيد داڤيز وهو يضع مقود بلاك المعدنى الثقيل فى يدى العامل : « لم يعد يخصنى بعد الآن » .

أخذ لابرا الحيوان بين يديه المرتجفتين وسعادة شجية تدفئ ابتسامته . لم يكن من داع للإسهاب فى الشكر ، فقط نوع من الفهم المتبادل الصامت . شده بلاك دافعًا إياه ليواصل سيره نحو مجاورة جون الصغير .

فى لحظة المعجزة هذه ، لطَّف الليل فى شيكوى دفء جديد .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

الزبيبة المسحورة .

تأليف : چاكلين بالسيز .

يُحكى أنه كانت هناك أم لها ثلاثة أطفال لا يُحتملون على الإطلاق ، كانوا يفعلون كل الأشياء السيئة الغبية التى يتصورها العقل والتى لا يتصورها . مرات عديدة أحرقوا المنزل تقريبًا ، وأغرقوه مئة مرة . حطموا الأثاث وهشموا الأطباق ، تقاتلوا وصرخوا كالمجانين ، سكبوا الحبر على الملاءات البيضاء ، تأرجحوا فى الستائر كأنهم قِرَدَة فى الغابة ، ويا لها من مشاكسات تلك التى كانت تحدث عند خروجهم من المنزل ، فقد كانوا يثيرون الرعب فى المنطقة .

كان والدهم فى أغلب الأوقات غائبًا عن المنزل ، أما الأم المسكينة فلم تستطع السيطرة على هؤلاء الشياطين الثلاثة الصغار . فى نهاية اليوم تصير منهكة تمامًا من مطاردتها لهم .

قالت لهم : « أطفالى ، أرجوكم كفوا عن حماقاتكم ، ولوهذه المرة فقط انظروا إلىّ : كل صرخة من صرخاتكم ، وكل مزحة من مزحاتكم تضيف تجعيدة لوجهى . إننى أصير عجوزًا » .

www.ibtesamh.com/vb

وكان هذا حقيقيًا . هذه المرأة التى كانت طويلة وجميلة ، تجعدت وانكمشت يومًا بعد يوم.

لم يلاحظ أطفالها شيئًا ، لكن ذات يوم ، عندما ذهبت إليهم فى المدرسة ، سألهم أصدقاؤهم بدهشة : « لماذا تأتى الآن جدتكم لتأخذكم ؟ » .

استاء الأطفال للحظة ، انزعجوا لالتباس أمر أمهم على أنها جدتهم ، لكنهم لم يفكروا فى ذلك كثيرًا ، لديهم الكثير ليفعلوه !

استمرت المرأة المسكينة تضمر وتضمحل بشكل لا يصدق . جاءت اللحظة التى لم تستطع فيها السير ، فقد صارت ساقاها عصاتين صغيرتين نحيفتين جدًا ، كأغصان الكرز ، وانحنى ظهرها للغاية ، وصارت ترى أمامها بالكاد ، ومع ذلك لم يكف أطفالها الثلاثة عن ابتكار المزيد والمزيد من المزح المروعة :

« هيا ننزع الريش من الوسائد ! » .

« هيا ننزع الشعر من الكلب! » .

« هيا نقطع أذنى القطة ! »

« هيا نحفر حفرة فى الحقل ليسقط فيها البستانى ! » .

فى ذلك الوقت كان حجم أمهم قد تضاءل لدرجة أنها لا تصل لركبتى أصغر أبنائها . تنهدت : « أطفالى ، كفاية ! انظروا

www.ibtesamh.com/vb

إلى حجمى ، وتجاعيدى ، لو استمر هذا الأمر سأضمر جدًا ولن تستطيعوا رؤيتى ! » لكنها لم تكن تعتقد أن هذا سيحدث بالفعل .

وذات ليلة بعد العشاء ، جرّت نفسها إلى حجرتها وهى متعبة ، ارتدت قميص نومها ، الذى صار الآن أكبر من مقاسها مئة مرة ، وتسلقت سريرها وتكورت على نفسها ، وراحت فى نوم عميق .

حين استيقظ الأطفال فى الصباح التالى فعلوا ما يفعلونه دائمًا ، قفزوا فوق أسرّتهم كالشياطين ، وبدأو فى الصراخ : « مااااما أحضرى لنا الفطور! »

لكنهم لم يتلقوا إجابة . صرخوا بصوت أعلى ، لكن بلا جدوى ، وبدأو فى النباح ، مرة ، مرتين ، عشر مرات ، ثلاثين مرة . بعد الصرخة الحادية والخمسين وقد التهبت حناجرهم ، قرروا الذهاب إلى حجرة أمهم .

كان فراشها مرتبًا ، لكن المفترض أنها هنا ، وأنهم سيجدونها . أدرك الأطفال أن شيئًا غريبًا يحدث ، فجأة انحنى أصغرهم على الوسادة وصرخ .

سأله أخوه : « ما الأمر ؟ »

فصرخ : « انظر ، انظر هناك ! »

بين طيات ملابس أمهم كانت هناك كرة صغيرة سوداء كانت زبيبة . ارتعب الأطفال فصرخوا عاليًا عاليًا مااااما مااااما . . ! »

www.ibtesamh.com/vb

وكالمرات السابقة ، لم يتلقوا إجابة ، لكن أكبرهم لاحظ أنه مع كل صيحة تتحرك الزبيبة على الوسادة حركة خفيفة . سكنوا وراقبوها ، لم تتحرك . صاحوا : « ماما ! » فاهتزت قليلاً .

فتذكروا كلمات أمهم : « إذا استمر هذا الأمر سأضمر جدًا ، ولن تستطيعوا رؤيتى » . وأدركوا وهم مرعوبين أن هذه الزبيبة التى تتحرك عندما يصرخون « ماما » هى كل ما تبقى من أمهم ، وهى تحاول بهذه الطريقة أن تلفت نظرهم ليرونها . كم بكوا وناحوا !

« يا لنا من مساكين ! ماذا سنفعل الآن وقد أصبحت ماما زبيبة ؟ ماذا سيقول بابا حين يعود للمنزل ويراها ؟ »

كان والدهم فى رحلة عمل منذ عدة أسابيع ، ومن المفترض أن يعود للمنزل فى هذه الليلة بالذات . خاف الأطفال ولم يعرفوا ما الذى يمكن أن يفعلوه ، انتظروه فى حجرتهم طوال اليوم ، وفى لحظة ليعيدوا طمأنة أنفسهم ، اقتربوا من الزبيبة ونادوها : « ماما » تحركت الزبيبة بصعوبة .

فى ذلك المساء ، عاد والدهم للمنزل . فتح الباب وألقى بحقيبته الجلدية وخلع قبعته ومعطفه ، ونادى على زوجته من الصالة : « مساء الخير ، هل أنت هنا ؟ ألن تأتى لترحبى بعودتى للمنزل ؟. ألن تمنحينى حضنًا وتحضرى لى كأسًا من الشراب ؟ » .

www.ibtesamh.com/vb

وبدلاً من زوجته ظهر أطفاله ، يسيرون واحدًا وراء الآخر ورؤوسهم منكسة ، ويحمل أكبرهم فى يديه علبة ثقاب .

« ماذا يحدث ؟ ، لماذا لم تذهبوا إلى فراشكم ؟ وأين أمكم ؟ » .

قال أكبرهم فى نغمة حزينة : « إنها فى هذه العلبة ، لقد تحولت إلى زبيبة » .

غضب أبوه وقال : « تعرف أنى أكره المزاح ! اذهب إلى فراشك فورًا » وظل يبحث عن زوجته فى المنزل . من غير المجدى أن يقول له احد أنه لن يعثر عليها . ثم قال لنفسه : « لابد أنها خرجت تتريض ! » لكن مضت ساعة ، ولم تظهر . بدأ يقلق .

ارتدى قبعته وخرج . سار فى المنطقة المحيطة ، ذهب إلى بيوت جيرانه وأصدقائه وأقاربه . سأل الجميع : « هل رأيتم زوجتى ؟ » وذهب إلى قسم الشرطة ، لكنهم أيضًا لم يستطيعوا إخباره بشىء .

مرت ليلة ، ونهار بليلة أخرى . ولما مر الوقت واستمرت زوجته مفقودة ، بدأ يتساءل بألم شديد عما إذا كانت قد ماتت .

« لابد أنها سارت حتى البحيرة وغرقت ! وأسوأ ما فى الأمر أننى لن أعرف الحقيقة أبدًا » وبكاها فى تفجع .

مرت الشهور بلا أخبار . شعر الرجل بالوحدة الشديدة ، فقرر فى النهاية أن يتزوج .

www.ibtesamh.com/vb

«زوجة جديدة قد تساعدنى فى رعاية هذه الحيوانات المتوحشة . .»

اختار زوجة لم تكن جميلة كزوجته الأولى - هذا إن لم نقل أنها مرعبة - لكنها تظاهرت بالرقة والتضحية بالذات . فى حقيقة الأمر كان وجهها قبيحًا مثل قلبها القاسى ، لكنها جعلته يعتقد أنها تعشق الأطفال ، بينما الحقيقة أنها تكرههم .

لم يلاحظ الأب شيئًا ، لكن الأطفال الثلاثة سرعان ما أدركوا أن زوجة أبيهم شريرة ، ولم يثقوا بها ، وكانوا يعرفون كذلك أن أمهم الحقيقية لازالت على قيد الحياة فى علبة الثقاب ، وراحوا يحرسونها بعناية ، كانوا متأكدين أنها لن تستمر زبيبة ، وستعود لحالتها الطبيعية .

من وقت لآخر فى الليل ، يحيط الأطفال بالعلبة ويرفعون غطاءها ، وينادون برقة : «ماما ، ماما» .

وفى كل مرة كانت الزبيبة تجيبهم بهزة لطيفة .

ذات يوم كان أبوهم فى حالة طيبة ، فسألوه مرة أخرى أن يذهب معهم إلى حجرتهم ليرى ماذا حدث للزبيبة ، ربما يفهم ! لكن والدهم لم يرد أن يعرف أى شىء ، بل على العكس قال فى غضب : «كم من الوقت ستستمر هذه المزحة الغبية ؟ أيها الشياطين الصغار . .إذا استمر بكم الحال فى هذه القصص ، ستتحول إلى حقيقة . لا أريد سماعكم تذكرون تلك الزبيبة مرة أخرى !»

www.ibtesamh.com/vb

خاف الأطفال وظلوا يراقبون العلبة .

لكن ياللرعب ! فزوجة أبيهم استمعت إلى الحوار من خلف الباب وصدقتهم ! فمنذ زمن ولديها شكوك حول العلبة ومراقبة الأطفال لها بهذا الاهتمام .

فى البداية لم تقل شيئًا ، لكن بعد عدة أيام ، ذات مساء حين كان والدهم خارج المنزل ، نادتهم وقالت لهم : « يا أطفالى الأعزاء ، سأصنع لكم فطيرة الزبيب ، وينقصنى زبيبة . أعتقد أن لديكم واحدة ، هاتوها حالاً ! » واعترى وجهها تعبير شيطانى ، لم يجرؤ الأطفال على الاعتراض ، فذهبوا إلى حجرتهم وتساءلوا بين بعضهم البعض : « ماذا سنفعل ؟ لا نستطيع اعطاءها أمنا لتلقى بها فى الفرن ! » . قرر أكبرهم : « لنذهب إلى العلّية ، ونخفى العلبة ونقول لها أننا فقدناها » .

لسوء الحظ تبعتهم المرأة الشريرة ، ومرة أخرى استمعت إلى حوارهم من خلف الباب . دخلت الحجرة كالزوبعة وصرخت : « لا تحاولوا خداعى ! أعطونى الزبيبة الآن ، لقد أشعلت الفرن بالفعل ! »

كان لدى أكبرهم ما يكفى من الوقت ليمسك بالعلبة ، وصاح فى شقيقيه أن يتبعاه ، وجرى على السلالم بأسرع ما يستطيع ، وفى طريقه دفع زوجة أبية فسقطت على الأرض ، وصدر عن عظامها طقطقة عالية لأنها كانت نحيلة جدًا .

www.ibtesamh.com/vb

جرى الأطفال إلى العلّية ، وأغلقوا الباب ، وأحكموا سد المدخل بشوفينيرة كبيرة . فى الوقت نفسه نهضت زوجة أبيهم متألمة ، ودفعت نفسها ، واتجهت بسرعة نحو العلّية .

« افتحوا الباب أيها الأشقياء ! افتحوا أيها الوحوش الصغار! سترون ما يحدث حين يعود والدكم إلى المنزل ! »

لكن الأطفال الذين أخرسهم الخوف لم يتزحزحوا .

عندئذٍ اعتراها غضب شديد وشر جامح .

« لا تريدون أن تفتحوا الباب ، عظيم جدًا ، ستبقون محبوسين هنا مهما طال الوقت ، وحين تموتون جوعًا . . ستأكلون الزبيبة ! » وأخرجت مفتاحًا من جيبها وأدارته فى القفل ، ثم ضحكت ثلاث ضحكات : « ها ، ها ، ها » بفرقعة شيطانية لا تشبه الضحكات الموسيقية التى تُسمعها لزوجها .

حل الليل . عاد زوجها إلى المنزل وسألها : « أين الأطفال ؟ » . أجابت مدعية الدهشة : « هل نسيت ؟ لقد ذهبوا فى زيارة جدتهم فى الريف لبضعة أيام » . كذبت بمهارة شديدة لدرجة أنه قال حائرًا : « هذا صحيح ، لقد نسيت » .

فى نفس الوقت ، فوق فى العلّية ، احتفل الأطفال الثلاثة بانتصارهم فى الهروب من المرأة القاسية . لكن بمرور الساعات تعبوا من بقائهم محبوسين ، بدأوا يفكرون كيف يتمكنون من الهروب . كانت الفتحة الوحيدة عدا الباب المغلق كوة صغيرة

www.ibtesamh.com/vb

فى السقف من الصعب الوصول إليها لأنها مرتفعة عن الأرض فوق عوارض السقف الخشبية المائلة ، وترتفع عن أرض الحديقة بما لا يقل عن عشرة أمتار .

قالوا : « لن نستطيع القفز إطلاقًا ، سنحتاج إلى باراشوت أو حبل » .

لكنهم لم يجدوا شيئًا فى العلّية . فجأة فى منتصف تأملاتهم ، أدرك الأطفال الثلاثة أنهم لم يتقاتلوا ولم يصرخوا أو يمارسوا مزاحهم منذ وقت طويل . إذن من الممكن أن يتصرفوا هكذا ! سعدوا جدًا بهذا الاكتشاف فعانقوا بعضهم البعض ، ووعدوا أن يستمروا على سلوكهم الطيب أطول وقت ممكن .

لكن الآن من الضرورى العثور على طريقة للهروب . بدأ الليل يحل ، ومع حلوله شعروا بأول علامات البرد والجوع ، تنهد أكبرهم وقال : « لو لدىّ فقط سريرى وغطاء دافئ » وأضاف الأوسط : « وكوب كبير من اللبن الدافئ » وتمتم الأصغر : « وأمنا الجميلة » ولأنهم لا يعرفون شيئًا آخر يفعلونه ، تكور الأطفال فى ركن على الأرض ، ضامين بعضهم بعضًا التماسًا للدفء وبينهم علبة الثقاب . ظلوا هكذا حتى راحوا فى النوم .

فى الصباح ، استيقظوا على تذمر معداتهم ، لم يشعروا

www.ibtesamh.com/vb

بمثل هذا الجوع من قبل ، قالوا : « نريد شيئًا نأكله » ثم نظروا إلى علبة الثقاب وقال أكبرهم : « لا ، لا ، لن نأكل الزبيبة أبدًا » . فكر لمدة ثانية ثم واصل كلامه فى نغمة جادة : « إخوتى ، أتذكرون قصص المكتشفين الضالين أو ركاب السفن الغارقة الذين يجدون أنفسهم بلا طعام ؟ ينتهى بهم الأمر أن يأكلوا أى شىء أو أى واحد . . لا ينبغى أن يحدث لنا هذا ! » .

قال أصغرهم : « دعونا نفترق عن أمنا لنتأكد أننا لن نأكلها »

قال الأوسط : « نعم ، إذا ألقينا بها من الكوة الموجودة فى السقف ، ستهبط على الأعشاب فى الحديقة ، والأعشاب الناعمة لن تؤذيها » .

نظر الأطفال إلى الزبيبة الصغيرة لآخر مرة ، وامتلأت عيونهم بالدموع ، كان من الصعب عليهم أن يفترقوا عن أمهم ! .

لكن كيف يصلون إلى الكوة ليلقوا بها فى الحديقة ؟ بمقدورهم أن يسحبوا الشوفينيرة الموضوعة خلف الباب ويتسلقوا سطحها ، لكنهم خشوا خطر اختيار زوجة أبيهم لتلك اللحظة بالذات للبحث عنهم . لا ! أفضل شىء هو محاولة تسلق بعضهم البعض ليصلوا إلى الكوة . سيقف أكبرهم على مقعد ويحمل الأوسط الذى يحمل بدوره الأصغر ليفتح الكوة .

وهذا ما فعلوه ، أو هذا تقريبًا ما حاولوا أن يفعلوه ، لأن الكرسى كان متهالكًا فلم يساعدهم فى إتمام العملية .

www.ibtesamh.com/vb

سأل أكبرهم أخاه الصغير الذى كان فوق الاثنين :« هل تستطيع الوصول إليها ؟ هل تستطيع لمس الكوة ؟ » .

- نعم . . وجدتها . .أعطنى العلبة !

- ماذا ؟ أليست معك ؟

- لا ! تركتها على الأرض . .

كان عليهم البدء من جديد !

حدثت مناقشة صغيرة ، كل منهم يتهم الآخر بأنه نسى العلبة ، لكنهم تصالحوا بسرعة .

قال أكبرهم :« فقط نبدأ مرة أخرى » .

وصعدوا فوق بعضهم البعض مرة أخرى : الأكبر على الكرسى ، الأوسط فوقه ، الأصغر فوق الأوسط ، مثل لاعبى الأكروبات ، وصل الأصغر إلى النافذة ، وأوشك أن يفتحها ، فجأة سمعوا صوت طقطقة ! لقد تحطم الكرسى إلى قطعتين ، وسقط الأطفال على الأرض محدثين جلبة عالية .

فى تلك اللحظة تمامًا كان والدهم يدخل المنزل ، سمع الضجة وقال لزوجته : « اذهبى وانظرى ماذا يحدث ! » .

اختفت لحظة وعادت تقول : « ليس هناك أى شىء ، مجرد بعض الفئران تجرى فى العلّية » .

فى نفس الوقت ، فى العلّية ، كان الأطفال الثلاثة يبكون ، دموع غزيرة من الألم سالت على وجناتهم ، دموع الألم لأنهم

www.ibtesamh.com/vb

أصيبوا حين سقطوا ، ودموع الإحباط لأنهم لا يعرفون كيف يصلون الآن إلى الكوة وقد تحطم الكرسى ؟ فتحوا علبة الثقاب ليعزوا أنفسهم ، ونظروا إلى الزبيبة ، لكن مجرد رؤية الزبيبة زاد حزنهم ، وبدأوا فى البكاء عليها بأقصى ما يستطيعون .

سالت دموع الأطفال سيلاً على علبة الثقاب ، حتى غرقت الزبيبة وطافت فى بريكة دافئة صغيرة .

فجأة ، صاح أكبرهم : « انظروا إنها تنمو ! » .

هذا صحيح . تشبعت الزبيبة بدموع الأطفال وبدأت تنمو . كلما بكوا أكثر نمت الزبيبة أكثر ، وعندما رآها الأطفال تنمو بكوا أكثر ، لكنهم يبكون الآن من السعادة .

استمرت الزبيبة تتفتح وتتمدد وتستطيل وتنمو أكثر وأكثر . . . قبل أن يكذّب الأطفال عيونهم تغير شكلها و . . .

صاحوا : « مااااما! » .

إنها أمهم ، طويلة . وجميلة كما كانت فيما مضى قبل أن تذوى ، أخذتهم بين ذراعيها يضحكون ويبكون ، احتضنتهم فى صدرها وقتًا طويلاً .

فى الوقت نفسه ، فى الطابق الأول ، كان الأب يتعجب من الضجة الغريبة الصادرة من العلّية . فى النهاية لم يطق صبرًا أكثر من ذلك ، وقال لزوجته : « تلك الفئران فى العلّية لديها طريقة غريبة فى الزقزقة ، كأنها تبكى . أعطنى المفاتيح . . . سأذهب لأرى ما يحدث » .

www.ibtesamh.com/vb

حاولت زوجته منعه بكل طريقة ، لكن جهودها راحت سدى . صعد السلم ، حاول فتح الباب بالمفتاح ، وعندما لم ينفتح دفعه بكل قوته . تصوروا دهشته حين وجد أطفاله الثلاثة بين ذراعى زوجته الأولى الجميلة ! الرابعة فى هذا العناق الحار، تنظر له دون أن تقول شيئًا .

عندئذٍ شعر هذا الرجل - الذى لم يكن سيئًا كما بدا - أنه سيموت من الندم والفرحة . غطى أطفاله بالقبلات ، ثم ركع أمام قدمى زوجته ، وتوسل إليها طالبًا المغفرة لأنه شك فيها .

سامحته فى الحال ، وسار الأب والأم والأطفال هابطين السلم يدًا فى يد ليتناولوا العشاء بقلوب مفعمة بالسعادة .

لم تنتظرهم زوجة الأب ، فقد خمنت ما حدث ، وجرت بأقصى سرعة بحقائبها .

احترقت كعكة الزبيب فى الفرن .

ألقت بها الأم فى القمامة ، وصنعت بسرعة كعكة أخرى ، كعكة لذيذة مليئة بالفاكهة الحلوة .

أكلت العائلة كلها بسعادة وجوع هذه الكعكة الجديدة التى لم تحتوِ على زبيبة واحدة .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

عبيد الخادمة

سيلفينا أوكامبو

كانت هيرمينيا بيرنى لطيفة حقًا . لست مقتنعة أن جمالها جمال داخلى كما يقول البعض ، بالرغم من أنك لو نظرت إليها عن قرب ستجد قليلاً من العيوب : بها حول طفيف ، لها شفاه غليظة جدًا ، وجنتاها غائرتان ، شعرها ناحل تمامًا . لكن دون شك يمكنها الحصول على لقب ميس أرجنتينا . الجمال شىء غريب . هيرمينا لطيفة وسيدتها تعشقها .

قالت لى عندما ذهبت إلى المنزل فى زيارة : « السيدة عزيزة جدًا » .

نظرت إليها فى دهشة . لم تكن فقط لطيفة ، بل طيبة أيضًا ، لم أتخيل إطلاقًا أنها قد تكون منافقة . هناك عاطفة متبادلة بين ربة المنزل والخادمة ، كما اكتشفت فيما بعد .

فى ذلك اليوم ، حين ذهبت للمنزل للمرة الأولى ، تعثرت فى نمر محشو ، فكسرت طبقًا من الصينى الفاخر ، جمعت هيرمينيا جميع أجزاء الطبق المحطم بورع ، ووضعتها بحرص فى صندوق مبطن بمناديل من الورق . لم تكن تتحمل أى

www.ibtesamh.com/vb

شخص يحطم «مفاخر» سيدتها . كانت سيدتها مريضة ، مريضة بحق ، منذ ثلاثة شهور ، والمنزل ملىء بالبطاقات والتلغرافات والزهور والنباتات التى أرسلها لها الأصدقاء .

«الجثة فقط تتلقى كل هذه الزهور» هكذا علقت إحدى الزائرات ، التى كانت غيوراً حتى من المرض ، لدرجة أنها لم تعد لمنزلها لتنام خشية أن تفوتها أية هدية مرسلة إلى المرأة المريضة . أرادت الاستمتاع بكل المزايا بتفاصيلها حتى معاناة صديقتها .

قالت امرأة أخرى : «ليس صحيا أن تتنفس عبير كل هذه الزهور» وحملت معها أفضل الورود .

قالت امرأة أخرى دون أن ترفع عينيها عن شغل الإبرة فى يدها : «أعتقد أن كل هذه الأشياء تنقصها اللباقة . لماذا لا يرسلون لها قميص نوم ، أو بيجامة ، أو بعض الحلوى ، مثل الكراميل المخفوق باللبن فهى تحبه كثيرًا ؟»

«الزهور تزعج أعصابى . ما تحتاجه هو الزهور الصناعية ، ذلك النوع الذى يبدو حقيقيًا رغم ذلك ، وليس النوع الملون» . قالت ذلك امرأة أخرى ، كانت لطيفة جدًا مع هيرمينيا .

فى الحقيقة ، جميعهن كن لطافًا مع هيرمينيا ، وهناك سبب وجيه لذلك . حين رأينها هزيلة جدًا ، وخابية ، ومنزعجة جدًا لمرض سيدتها ، اعتادت الزائرات أن يحضرن لها علب

www.ibtesamh.com/vb

الشيكولاته المرسوم عليها قطط ، أو قطع الكيك الطازجة فى سلال بلاستيكية صغيرة ، أو تورت محشوة بمربى السفرجل فى علب صغيرة مكتوب عليها بالفرنسية « رحلة سعيدة » أو جيلى البرتقال فى إناء زجاجى مزخرف زخارف غريبة . لم يتحملن رؤيتها وصحتها تسوء هكذا .

اعتدن أن يقلن لها : « ينبغى أن تعتنى بنفسك » .

وكانت ترد عليهن دون رياء قائلة : « أفضل أن أموت » .

كان إخلاصها نموذجيًا ، لكن العاطفة التى تكنها لها سنيورة دى بيرزى بإسراف كانت نموذجية كذلك . كان فى حجرتها التى تكتظ باللوحات ، فى مكان بارز لوحة لهيرمينيا فى ثوب فاخر .

كانت تسمح لها باستخدام التليفون متى شاءت ، وبالخروج ليلاً ، وبالتصفير أو الغناء أثناء تنظيفها الحجرات ، وبالجلوس ومشاهدة التليفزيون فى حجرة الجلوس والسيجارة فى فمها ، لكن هيرمينيا لم تفعل شيئًا كهذا إطلاقًا .

قالت إحدى الزائرات لأخرى : « إنها ليست فتاة عصرية » .

بدأت ألاحظ تدريجيا أن كل تلك النسوة يأتين بالفعل لزيارة هيرمينيا ، وليس لزيارة سنيورة دى بيرزى . لم يحاولن إخفاء ذلك ، وكل مرة كنت أندهش لقولهن :

« نحن عبيد لخدمنا ، دعونا نعترف بذلك » .

« خادمتى تركتنى » .

www.ibtesamh.com/vb

أو :

« الفتاة التى أحضرتها مرعبة » .

أو حتى :

« أحاول العثور على خادمة ، لكن لابد من الحصول عليها من قبل أشخاص موثوق بهم » .

« هيرمينيا جوهرة » .

كن يذهبن لزيارة هيرمينيا أملاً فى الانفراد بها ، ليقلن لها أكثر أو أقل من هذه الكلمات التى أعددنها بعناية :

« هيرمينيا ، حين تموت سنيورة دى بيرزى ، لا قدر الله ، لكنها أمور تحدث كما تعلمين ، أسأل نفسى أحيانًا عما إذا كنت توافقين على المجىء والعمل فى منزلى . سيكون لك حجرة خاصة بك ، وستأخذين إجازة فى أيام الآحاد والعطلات بالطبع . سأعاملك مثل ابنتى ، وصدقينى لن يكون هناك الكثير من العمل تقومين به ، بل أقل كثيرًا مما تقومين به هنا . هذه الحجرات الفسيحة ، والسلالم الكثيرة ، والعناية بكل هذه الحيوانات المحشوة ، لابد أنه عمل شاق . أنت قوية ، لكنك لم تفكرى إطلاقًا فيما إذا كان من الحكمة أن تضعى نفسك تحت طائلة هذا المجهود المضنى . بوضوح ، فى منزلى ، من المتوقع أن تقومى بقليل من الحياكة ، بعض الغسيل ، الطهى ، تنظيف الفناء ، بعض المكوى ، الخروج بالكلب ثلاث مرات

www.ibtesamh.com/vb

يوميًا وحمومه مرة أسبوعيًا ، وتجفيفه والعناية به ، لكن كل هذه الأمور أعمال تافهة تستغرق دقائق قليلة لانجازها . فى الواقع ، لن يكون لديك ما تفعلينه حقيقة بالمرة » .

كانت هيرمينيا تستمتع بالعمل فى منزل سنيورة دى بيرزى . النمر المحشو كان له فرشاة تلميعه الخاصة به ، وهناك فرشاة خاصة بمفاتيح البيانو . كذلك هناك إسفنجة خاصة بتمثال كيوبيد المرمرى ، وفرشاة صغيرة لتنظيف اليمام الفضى . كانت تبتئس حين تتحدث الزائرات بهذه الطريقة العدائية « يومًا ما سأرسلهن جميعًا للشيطان ، إنهن يثرن ضجيجا كما لو كنت أنا المريضة » .

تيوكو ، الابن الأكبر لسنيورة دى بيرزى ، المتزوج وعاشق الموسيقى ، بدأ يتسكع حول البيانو . رأته هيرمينيا ذات مرة يقيس البيانو بشريط . ذلك التصرف الغريب لا يبشر بخير . هل يريد أن يأخذ البيانو لنفسه ؟ فى المرة التالية راقبته هيرمينيا . وقفت قريبة من البيانو ، وهى ترفو رتقًا ما أو تدون قائمة المشتروات . لكنه ذات يوم أخذها من يدها وقال لها : « لماذا لا تأتين معى يا حلوة ؟ » .

مواجهة مع هذا الاقتراح المروع ، ادعت هيرمينيا الصمم ولم تجب . لكن الاهتمام الذى أبداه سنيور تيوكو بالبيانو لم يطمئنها ، وعادت هيرمينيا لتجده يسجل مقاسات البيانو بشريط

www.ibtesamh.com/vb

قياس فى دفتر أخضر صغير جدًا أخرجه من جيبه . لم تنم هيرمينيا ، لكن مراقبتها راحت هباءً . كان عليها الخروج لشراء بعض الأشياء ، أو دفع الفواتير ، وفى إحدى هذه المناسبات تحققت أسوأ مخاوفها : أيد آثمة نقلت البيانو . حزنت هيرمينيا حزناً عميقًا لفقد البيانو ، بشمعداناته ودواساته البرونزية ، لكن حدث عندئذٍ شيء غير متوقع . تيوكو الذى كان يشرف بنفسه على نقل البيانو خلسة ، يساعده فى ذلك رجلان غريبان ، دفع ثمن خيانته غاليًا ، فبالإضافة لكونه رجلاً تافهًا ، كان ضعيف البنية ، ومن الواضح أن المجهود كان فوق طاقته . تعثر وهو يهبط آخر درجة فى سلم المنزل ومات تحت ثقل البيانو . كان على هيرمينيا إخبار سيدتها بما حدث . لم تذرف سنيورة دى بيرزى دمعة واحدة لدى سماعها بموت تيوكو . كانت هيرمينيا لبقة جدًا حتى وهى تنقل أخبارًا سيئة . كانت جوهرة حقيقية .

لم تضيع سنيورة آلما مونتيزون أى وقت فى عرض مكانة خطيرة لهيرمينيا كمدبرة منزل أو وصيفة سيدة فى منزلها . قالت أنهما ستسافران إلى أوروبا وأنها ستقوم بكل الترتيبات وتضع كل شيء فى الحقائب بدقة وتدفع نفقات كل الأماكن المهمة التى ستزورانها فى أوروبا ، باختصار ، ستكون حياة مبهجة جدًا دون أى عمل مما اعتادت القيام به ، مثل تلك الأعمال البائسة كالغسيل والمكوى وتنظيف الحجرات . لم تشعر هيرمينيا بأقل

www.ibtesamh.com/vb

إغراء لهذا العرض ، وأجابت بغضب : «لن أترك سنيورة دى بيرزى لأى سبب على وجه الأرض» .

«لكنك مؤكد ترين أن سنيورة دى بيرزى مريضة جدًا وما تحتاجه حقًا هو ممرضة وليس خادمة مثلك ، فقط تضيع عمرها محبوسة هنا» .

أولتها هيرمينيا ظهرها ولم تضف كلمة أخرى .

فى اليوم التالى ، حملت الصحف خبر وفاة سنيورة آلما مونتيزون فجأة بأزمة قلبية .

ليليان جيفارا ، إحدى قريبات سنيورة دى بيرزى من بعيد ، تزوجت من فترة قريبة ، زارتها عدة مرات لتطمئن عليها ، وذات يوم عرضت وظيفة على هيرمينيا . كانت خجولة وأخذ منها الأمر كثيرًا من التردد وهى تتنحنح وتسعل قبل أن تقول : «هيرمينيا ، أحتاج فتاة مثلك ، وحيث أن سنيورة دى بيرزى مريضة جدًا ، فأنا متأكدة أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تموت ، وأعتقد أنك ستكونين على ما يرام فى منزلى . فأنا أقضى كل مواسم الصيف على البحر ، ولدىّ بيت لطيف ، لابد أنك شاهدت الصور الفوتوغرافية فى مجلة «البيت المثالى» أو الرسوم الموجودة فى مجلة «الأمة» . سآخذك معى ، وبإمكانك النزول إلى الشاطئ كل صباح للسباحة . وفى الشتاء حين أذهب فى إحدى رحلاتى لباريلوتش سآخذك معى لأننى

www.ibtesamh.com/vb

لا أحب الابتعاد عن خادماتى حين يكن مخلصات مثلك . حكت لى سنيورة دى بيرزى كثيرًا عن روعتك وأحب حقًا أن يكون لى خادمة مثلك فى بيتى .

تركتها هيرمينيا وهى مصعوقة . لم تصدق أن هذه الشابة تحدثت إليها بتلك الصفاقة . ولتوقف نفسها عن البكاء ، انفجرت فى ضحك عنيف . كانت لحظة مروعة ، لأن ضحكها لم يهدئ أى شىء . بدا ضحك هيرمينيا فى ذلك المنزل الحزين الصامت أكثر مأساوية من كل دموع النفاق التى يسفحنها من يسألن عن صحة سنيورة دى بيرزى . فيما بعد جلست فى ركن من أركان المنزل تفكر بهدوء كأنها تصلى .

جاءت الأخبار عبر الراديو فى نفس ذلك المساء . ماتت ليليان جيفارا فى حادث سيارة فى منطقة الماجدالينا .

لم تزد حالة سنيورة دى بيرزى سوءًا ولا تحسنًا . ملأت حالتها الصحية المنزل بالشك والثقل ، لكن لم يبد عليها أنها تعانى كثيرًا ، واعتادت عجزها كما يعتاد بعض الناس فى مرضهم . الزائرات اللاتى يزداد عددهن كل يوم ، قررن طلب فريق من الأطباء لمناقشة العلاج الذى تحتاجه المرأة المريضة . لذلك دعون أخصائى مشهور وجعلنه يحضر من لابلاتا ، وطلبن أخصائى قلب ، وطبيب أطفال يسكن بالقرب من منزل سنيورة دى بيرزى وانتظرن حضورهن جميعًا فى حجرة الانتظار ، وهن

www.ibtesamh.com/vb

مجتمعات فى قلق يثرثرن كما يفعلن كل مساء فى ذلك المنزل . قررت أكثرهن شجاعة - لأنه يوجد دائمًا امرأة شجاعة - قررت أن تذهب وتتحدث إلى الأطباء قبل أن يلتقوا معًا . ومن النافذة راقبن وصول هؤلاء الرجال العظام ، ومن النافذة أيضًا رأينهم يهبطون من سياراتهم ، يخطون صوب الباب بحذر ، ينتظرون وصول المصعد ليستقلونه ، وفى تلك اللحظة كأنه بمحض الصدفة تحدثن إلى الأطباء فى نهاية الصالة ، بينما كانوا يخلعون معاطفهم وأغطية أيديهم المصنوعة من الفراء .

قالت امرأة :

« دكتور ، ألا تعتقد أنه . . . شىء لا إنسانى . . . أن تطيل حياة سيدة تعانى مر المعاناة ؟ » .

قالت أخرى لأحد الأطباء :

« أخبرنى يا دكتور ، أليس بإمكانك منحها شيئًا يقصر طريقها إلى كالڤارى [1] قليلاً ؟ » .

وقالت أخرى :

« لو كنت مكانها ، لفضَّلت بأمانة أن آخذ شيئًا ينهى حياتى مرة واحدة ، وإلى الأبد » .

كانت هيرمينيا تجلس بجوار النافذة ترقب كل هذا . لم يرق

---

(١) كالڤارى : منطقة مقابر .

www.ibtesamh.com/vb

لها ، لم يرق لها البتة أنهن يردن إنهاء حياة سيدتها ، لم يرق لها أولئك النسوة التافهات وهن يتسكعن فى طرقات المنزل ، أو يجلسن فى ردهة الانتظار ، أو يلمسن الكنب والفازات والحيوانات البرية ، ويعبثن بفراء حيوانات السنيورة المفضلة . وكان لا يزال هناك موضوع يحزنها وهو استيلاء الابن على البيانو . ألم يضغطوا على قفل إحدى الخزائن الزجاجية ، حيث تعرض المراوح والشطرنج العاج ؟ ما الذى سيحدث بعد ذلك ؟ يا لها من حياة محزنة ، هكذا فكرت هيرمينيا . لم تتصور أن هؤلاء الناس يمكنهم أن يكونوا بهذا السوء الشديد ، وأن تكون الصداقة بهذا الزيف ، وأن يكون الثراء عديم الجدوى . تساقطت الدموع من عينيها ، وفسرتها بقولها : « بعض التراب دخل عينىّ » . وتساقطت التنهدات من شفتيها ، وفسرتها : « أُصبت بالبرد فى صدرى » . كانت متحفظة حتى فى حزنها . الذين رأوها حزينة جدًا قلقوا عليها أكثر من قلقهم على سنيورة دى بيرزى . بائع اللبن الذى يحضر اللبن ، وبائع الخبز بسلة الخبز الكبيرة ، والبقال ، الجميع سألوا :

« كيف حال سنيوريتا هيرمينيا ؟ ما الأمر مع سنيوريتا هيرمينيا ؟ هل سنيوريتا هيرمينيا مريضة ؟ » .

لينا جروندیك ، مدرسة البيانو التى كانت فيما مضى تعلّم سنيورة دى بيرزى العزف على البيانو ، التى كانت تبدو شخصية

www.ibtesamh.com/vb

جادة ، أكثر تحفظًا ، وأفضل من كل السيدات الأخريات . ذات يوم نادت هيرمينيا وقالت لها : « هيرمينيا ، سوستة الجيليه انفتحت . لا أريد إزعاجك ، لكن الثوب سينحسر عن صدرى ، هل يمكننى أن أثقل عليك وأطلب منك إبرة وفتلة لأثبتها ؟ » .

ذهبتا معًا إلى الحمام . جلست هيرمينيا على حافة البانيو وخاطت سوستة ثوب مدرسة البيانو ، التى أخذت تمشط شعرها أمام المرآة ، وترطبه ليهفهف فى الهواء ، وتضع أحمر الشفاه على شفتيها ، والبودرة على وجهها . لم تنطق إحداهما كلمة . كانتا تصغيان السمع للموسيقى فى صمت المساء ، موسيقى مرحة قادمة من الشقة المقابلة .

قالت مدرسة البيانو برقة : « لابد أنه أمر محبط لك يا هيرمينيا البقاء فى هذا المنزل ، وأنت أيضًا شابة صغيرة . منذ كم عام وأنت تعملين لدى سنيورة دى بيرزى ؟ » .

أجابت هيرمينيا : « ثمانية » .

« لابد أنك كنت صغيرة جدًا عندما حضرت لأول مرة هنا ، مجرد طفلة » .

« لا أعتقد أننى كنت صغيرة جدًا . فتيات أخريات من عمرى ، صديقاتى ، كن يعملن فى منازل أخرى منذ خمس سنوات حينما حضرت إلى هذا المنزل » .

« أنت جوهرة حقيقية ، وككل الجواهر تحتاجين إلى

www.ibtesamh.com/vb

تهوية . هل تعرفين ماذا يحدث للجواهر الحقيقية عندما تبقى محبوسة طويلاً ؟ إنها تفقد بريقها ولا شيء يمكنه إعادته لها مرة أخرى ، لا شيء على الإطلاق » .

« توجد كل أنواع المخترعات الحديثة التى يمكنها أن تعيد لها بريقها » .

« لا ، لا توجد ، المخترعات الحديثة ليست كافية ، ولا ثمانية حجرات . لكن على أى حال ، كل هذا يبدو لى محبطًا ألا تريدين الذهاب إلى أماكن جديدة ، وأن تسافرين وتعرفين العالم ؟ لست أدرى ، لكننى أتصور أن شخصًا مثلك فى ريعان الشباب ينبغى أن يهتم بالحياة » .

أجابت هيرمينيا : « لم أفكر فى ذلك مطلقًا » .

« أتمنى أن أحظى بواحدة مثلك فى منزلى . تلقيت دعوة لزيارة الولايات المتحدة ، من كونسيرڤاتوار شيكاغو ، لأقدم بعض الكونشرتات . أحيانًا أتلقى دعوات لفرنسا أو إيطاليا . أحب أن تكونى معى . والآن لماذا يحمّر وجهك يا حبيبتى ؟ » .

تسارعت دقات قلب هيرمينيا . حتى هذه المرأة تخون سنيورة دى بيرزى . قطعت الفتلة بأسنانها وأعادت إلى مدرسة البيانو الجيليه الأسود ، المزين بريش صناعى ، ثم خرجت من الحمام دون أن تتفوه بكلمة واحدة ، وأغلقت الباب .

بعد أسبوع ، عثر على مدرسة البيانو ، لينا جروندیك ميتة

www.ibtesamh.com/vb

فى مصعد منزلها . ظل غموض موتها لغزًا بلا حل . لم يعرف أحد إذا كان انتحارًا أم جريمة قتل .

هيرمينيا التى تسمى نفسها أحيانًا آرميندا ، بدت أكثر هدوءًا . لم تعد الزائرات تأتى إلى المنزل كثيرًا . فى الحقيقة ، كن خائفات أن ينتهى بهن الأمر مثل البائسات آلما مونتيزون ، أو تيوكو بيرزى ، أو لينا جروندیك أو ليليان چيفارا . صارت الأيام أكثر سعادة ، وتحسنت سنيورة دى بيرزى ، أصبحت أكثر مرحًا وبدأت تثرثر كما لم تفعل منذ وقت طويل . فى الواقع ، بدا أن حياتها ستستمر وتستمر ، كما ظهرت ذات يوم فى الصحف ضمن أولئك السيدات اللاتى يصلن لعيد ميلادهن المائة وعشرة والمائة وعشرين واللاتى يُصورن مع قصة قصيرة من الحياة مع تفاصيل سر بقائهن بصحة جيدة حتى هذا العمر الطويل ، أى نوع من النظام الغذائى كن يتبعن ، أى نوع من الماء كن يشربن ، كم عدد ساعات نومهن ، وكم ساعة فى الأسبوع يلعبن الورق . ومعجزة العمر المديد هذه تعود كلها لهيرمينيا ! كما صرحت هى بنفسها للصحفيين : « ربما يمنح الله هيرمينيا كل ما تطلبه . إنها جوهرة حقيقية . إنها أطالت لى عمرى » .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

متحف المساعى العبثية

كريستينا بيرى روسى

كنت كل مساء أزور متحف المساعى العبثية . أطلب الكتالوج وأجلس إلى الطاولة الخشبية الكبيرة . صفحات الكتالوج باهتة إلى حد ما ، لكننى أحب أن أتصفحها ببطء ، كما لو كنت أتصفح الزمن . لا أرى أحدًا يقرأ إطلاقًا ، وربما يكون هذا سر الاهتمام الشديد الذى توليه المرأة التى تعمل هناك ، فأنا أحد الزوار القلائل ، ولذلك تدللنى . ربما تخشى فقد وظيفتها بسبب قلة الرواد . قبل ولوجى للداخل ، أتطلع بحرص للافتة المطبوعة المعلقة على الباب الزجاجى ، « أوقات العمل : صباحًا من ٩ : ٢ ، ومساءًا من ٥ : ٨ ، الاثنين مغلق » . ورغم أننى دائما أعرف أى مساعى عبثية أود تصفحها ، إلا أننى أطلب الكتالوج على أى حال ، فتجد الفتاة شيئًا تفعله .

تسألنى باهتمام : « أى سنة تريد ؟ » .

أجيبها مثلاً : « كتالوج سنة ١٩٢٢» .

تظهر بعد فترة وجيزة ومعها كتاب ضخم مغلف بغلاف من الجلد القرطبى ، وتضعه على الطاولة أمام مقعدى . إنها لطيفة

www.ibtesamh.com/vb

جدًا ، وإذا ظنت أن الضوء القادم من النافذة غير كافٍ ، تقوم من تلقاء نفسها بإضاءة المصباح البرونزى المحاط بظلال التيوليب الخضراء وتعدل وضعه بحيث يسقط ضوءُه على صفحات كتابى . أحيانًا عندما أعيد الكتالوج ، أوجه لها ملحوظة قصيرة ، أقول لها ، مثلاً :

« سنة ١٩٢٢ سنة مكثفة ، كثير من الناس قاموا بجهود عبثية ، كم مجلد هنا ؟ » .

تجيب بمهنية شديدة : « أربعة عشر » .

دونت ملاحظاتى حول بعض المساعى العبثية لتلك السنة ، الأطفال الذين حاولوا الطيران ، الرجال الذين قرروا أن يصبحوا أغنياء ، الآلات المعقدة التى لا تعمل أبدًا ، كثير من العشاق .

أخبرتنى بصوت يشوبه بعض الحزن : « سنة ١٩٧٥ أكثر ثراءً ، حتى الآن لم ننته من تسجيلها كلها » .

قلت بصوت مرتفع : « لابد أن معدى الكتالوجات مشغولون جدًا » .

أجابت : « مؤكد ، بالطبع ، لقد وصلوا إلى حرف التاء ، وهناك بالفعل العديد من المجلدات تم نشرها ، وهى لا تضم الموضوعات المكررة » .

من الغريب جدًا أن تتكرر المساعى العبثية ، لكن

www.ibtesamh.com/vb

الكتالوجات لا تتضمن الموضوعات المكررة ، فهذا يتطلب حيزًا كبيرًا . رجل حاول الطيران سبع مرات مستخدما وسائل مختلفة ، بعض البغايا حاولن تغيير مهنتهن ، امرأة حاولت رسم لوحة ، شخص حاول التغلب على الخوف ، تقريبًا الجميع حاولوا بلوغ الخلود أو العيش كأنهم خالدين .

أكدت لى الموظفة أن المتحف يحتفظ بجزء صغير جدًا من المساعى العبثية ، فى المقام الأول ، الإدارة اعتماداتها المالية قليلة جدًا وتواجه صعوبات فى الزيادة أو التغيير ، أو نشر أعمال المتحف داخل المقاطعات وخارجها ، ثانيًا ، الكم الهائل للمساعى العبثية التى من الملاحظ استمرارها تعنى أن كثيرًا من الناس عليهم أن يعملوا دون أمل فى التعويض أو التقدير الجماهيرى . أحيانًا ليأسهم من الدعم الجماهيرى يلجأون للمبادرة الشخصية ، لكن النتائج ضئيلة وغير مشجعة . ڤيرجينيا ، موظفة المتحف الساحرة التى عادة تتحدث معى ، أخبرتنى أن المصادر الشخصية التى يلجأون إليها تتحول دائمًا لتصبح كثيرة الطلبات وغير مفهومة ، وتقدم فكرة خاطئة عن أهداف المعرض .

يقع المبنى فى ضواحى المدينة ، فى أرض قاحلة مليئة بالقطط والقمامة ، حيث لا يزال المرء يمكنه العثور - على عمق قليل من سطح الأرض مباشرة - على قنابل من حرب قديمة

www.ibtesamh.com/vb

ومدافع رشاشة وسيوف صدئة وهياكل عظمية لرؤوس أكلها الزمن .

سألتنى ڤرجينيا بإيماءة لا تخفى لهفتها : «هل معك سيجارة ؟»

بحثت فى جيوبى . وجدت مفتاحًا قديمًا ، به كسر صغير ، حافة مفك مكسور ، تذكرة أتوبيس عودة ، زرار قميص ، بعض الفكة ، وأخيرًا سيجارتين مسحوقتين . راحت تدخن خلسة ، وهى تختفى وراء المجلدات الضخمة الغفل من اسم المؤلف والناشر ، وساعة الحائط الدائمة الخطأ (دائمًا بطيئة) ، والقوالب القديمة المتربة . من الشائع أنه فى موقع المتحف كانت هناك حصون وقت الحرب ، وتم انقاذ الأحجار الثقيلة الخاصة بالأساسات ودعامات المبنى ، ودُعمت الحوائط . افتتح المتحف فى سنة ١٩٤٦م . لا زالت هناك بعض صور الحفل ، بها رجال فى ملابس براقة وسيدات فى ثياب طويلة سوداء ومجوهرات ماسية وقبعات مزينة بالطيور والزهور . يتخيل المرء أوركسترا تعزف على مبعدة فى قاعة الرقص ، يبدو الضيوف نصف نبلاء ، نصف بلهاء ، تتطلع إليهم كأن شخصًا ما اقتطع كعكة مزينة بخرقة رسمية .

نسيت أن أقول أن ڤوجينيا حولاء العينين . هذا العيب البسيط يمنح وجهها لمسة كوميدية تخفف من براءتها ، كأن نظرتها المنحرفة تعليق ساخر يطفو منفصلاً عن السياق .

www.ibtesamh.com/vb

كانت المساعى العبثية مرتبة أبجديًا ، عندما تستنفد الحروف تُضاف الأرقام ، النظام طويل ومعقد . كلٌ مصنف فى عين من عيون الخزانة ، وصفحته الخاصة به ، ووصفه . تبدو ڤرجينيا وهى تعبر بينها برشاقة غير عادية ، كأنها كاهنة ، عذراء ، من عبادة قديمة منفصلة عن الزمن .

كثير من المساعى العبثية جميل ، الأخرى ، كئيبة . لسنا دائمًا على اتفاق مع تصنيفهما .

أثناء تصفحى لإحدى المجلدات ، وجدت رجلاً حاول لمدة عشر سنوات أن يعلّم كلبه الكلام ، ورجلاً آخر قضى أكثر من عشرين سنة يحاول كسب قلب امرأة ، كان يقدم لها الزهور والنباتات ، وكتالوجات الفراشات ، قام معها برحلات ، ونظم لها القصائد ، وكتب الأغانى ، وبنى منزلاً ، وغفر لها جميع أخطائها ، واحتمل عشاقها ثم قتل نفسه .

قلت لڤرجينيا : « إنه عمل غير محتمل ، لكنه مثير » .

أجابت : « إنها قصة كئيبة ، لدى المتحف وصف كامل لهذه المرأة ، كانت تافهة ، متقلبة ، غير مخلصة ، كسول ، ومخلوقة سريعة الغضب ، يتوقف فهمها عند كونها مرغوبة ، وكانت أيضًا أنانية » .

هناك رجال قاموا برحلات طويلة للبحث عن أماكن لم توجد ، وذكريات غير قابلة للشفاء ، ونساء متن ، وأصدقاء

www.ibtesamh.com/vb

اختفوا . هناك أطفال قاموا بأعمال مستحيلة بحماسة شديدة ، مثل أولئك الذين يحفرون حفرة تمتلئ بالماء باستمرار .

فى المتحف ، غير مسموح بالتدخين ، ولا الغناء، القيد الأخير شديد التأثير على ڤرجينيا كالأول .

صرَّحت باكتئاب : « أود أن أغنى مرة لحنًا قصيرًا ولو لوهلة »

بعض الأشخاص ينحصر مسعاهم العبثى فى محاولة تتبع شجرة العائلة ، التنقيب عن الذهب ، تأليف كتاب . آخرون كانوا يأملون أن يكسبوا اليانصيب .

قالت لى فرجينيا : « أُفضل الرحّالة »

أقسام كاملة من المتحف خصصت لتلك الرحلات . نحن نعيد تنظيمها فى صفحات الكتب ، بعد التجول لبعض الوقت عبر بحار مختلفة ، واجتياز غابات معتمة ، وزيارة مدن وأسواق ، وعبور جسور ، ونوم فى القاطرات أو على المقاعد فى المحطات ، ينسون غرضهم من الرحلة ، ومع ذلك يواصلون سفرهم ، وذات يوم يختفون دون ترك علامة أو ذكرى إذ قد ينجرفون فى الطوفان ، أو يقعون فى شرك نفق ، أو ينامون للأبد فى مدخل ولا يوقظهم أحد .

أخبرتنى ڤرجينيا من قبل ، أن هناك قليلاً من البحوث الخاصة ، من الهواة الذين أهدوا مادة للمتحف ، يمكننى حتى أن أتذكر وقتًا كان فيه جمعنا للمساعى العبثية متماشيًا مع العصر ، مثل جمع الطوابع ، أو مزارع النحل .

www.ibtesamh.com/vb

ثم أوضحت ڤرجينيا : « أعتقد أن وفرة المادة أفسدت الهواية ، فالمثير فى الأمر هو البحث عما هو نادر لتجد ما هو أكثر ندرة » .

كانوا فى تلك الأيام يأتون إلى المتحف من بقاع بعيدة طلبًا للمعلومات ، ويهتمون ببعض الحالات ، يتركون بعض الكتيبات ، ويعودون محملين بالقصص ، التى سينشرونها ، مؤكدة بالصور . المساعى العبثية التى يحضرونها للمتحف مثل الفراشات أو الحشرات الغريبة ، مثلاً ، قصة الرجل الذى قضى خمس سنوات مصممًا على منع الحرب ، حتى جاء يوم انطلقت أول رصاصة من المدفع فى رأسه ، أو لويس كارول ، الذى قضى حياته يتجنب التيار الهوائى ومات مصابًا بالبرد فى المرة الوحيدة التى نسى فيها معطفه الواقى من المطر .

لا أعرف إذا كنت قد ذكرت أن ڤرجينيا حولاء العينين أم لا ، أحيانًا أسلى نفسى بمحاولة تتبع اتجاه تلك النظرة التى لا أدرى إلى أين تتجه ، وحين أراها تمر فى الصالة ، محملة بالكتيبات والمجلدات وكل أنواع الوثائق ، لا أستطيع منع نفسى من النهوض والذهاب لمساعدتها .

أحيانًا فى منتصف العمل ، تشكو قليلاً .

تقول : « أتعب من الرواح والمجئ ، لن ننتهى أبدًا من تصنيف كل شىء . والجرائد أيضًا ، مليئة بالمساعى العبثية » .

مثل قصة الملاكم الذى حاول استعادة لقبه خمس مرات ،

www.ibtesamh.com/vb

حتى أصبح غير مؤهل بالمرة بسبب لكمة فى عينه ، لابد أنه يطوف الآن من مقهى لآخر ، فى بقعة حقيرة من المدينة ، يتذكر حين كان يرى جيدًا ، ويمتلك قبضة مميتة ، أو قصة البهلوان الذى عانى من الدوار ، ولم يستطع أن ينظر إلى أسفل ، أو القزم الذى أراد أن يصبح طويلاً وذهب إلى كل مكان يبحث عن طبيب يعالجه .

حين تتعب من نقل المجلدات تجلس على كومة من الصحف المتربة القديمة ، وتدخن سيجارة خلسة ، لأنه غير مسموح بالتدخين ، وتتأمل .

تقول بإذعان : « ربما علينا الاستعانة بموظفة أخرى . . . لا أعلم متى سيدفعون لى راتب هذا الشهر » .

طلبتُ منها الخروج معى فى نزهة فى المدينة ، نشرب قهوة ، أو نذهب إلى السينما لكنها رفضت . فقط ستتحدث معى داخل جدران المتحف الرمادية المتربة .

إذا مر الوقت ، لا أدرى به ، فأنا مشغول كما أفعل كل مساء ، لكن أيام الإثنين مقلقة وخالية من المتعة ، حيث أننى لا أعرف ماذا أفعل ، أو كيف أعيش .

يغلق المتحف أبوابه فى الثامنة مساءًا . ڤرجينيا بنفسها تضع المفتاح المعدنى البسيط فى القفل ، دون أخذ أية تدبيرات وقائية أخرى ، لأنه لا يوجد شخص يحاول اقتحام المتحف . مرة واحدة فقط حاول أحدهم اقتحام المتحف - هكذا اخبرتنى

www.ibtesamh.com/vb

ڤرجينيا - رجل أراد محو اسمه من الكتالوج ، قام بمساع عبثية حين كان فى سن المراهقة وهو الآن يخجل من نفسه ، ولا يريد بقاء أى علامة لذلك .

قالت ڤرجينيا : « اكتشفنا ذلك فى الوقت المناسب ، كان من الصعب جدًا ثنيه عن غرضه ، أصر على خصوصية طبيعة مسعاه ، وأراد منا أن نعيده له . فى تلك المناسبة ، كنت حازمة وحاسمة جدًا ، فقد كان نموذجًا نادرًا ، تقريبًا مادة هاوى ، وكان سَيُفقِد المتحف مادة خطيرة لو أن هذا الرجل تمكن منها » .

حين يغلق المتحف أبوابه ، أغادره بشعور من الكآبة ، أولاً يبدو لى أن الوقت الذى سيمر حتى اليوم التالى غير محتمل ، لكننى تعلمت الانتظار ، أصبحت كذلك معتادًا على وجود ڤرجينيا ، وبدونها ، سيبدو وجود المتحف مستحيلاً . أعرف أن المخرج أيضاً يعتقد ذلك (ذلك الشخص ، الرجل الموجود فى الصورة على صدره وشاحين ملونين) ، لأنه قرر أن يشجعها ، وحيث لا توجد درجات تراتبية قانونًا أو عرفًا ، اخترع لها وضعًا جديدًا ، هو فى الواقع نفس الوضع ، لكنه الآن تحت عنوان آخر . أطلق عليها عذراء المعبد ، ليس دون أن يذكرها بالطبيعة المقدسة لمهمتها ، وهى أن تحمى ذكرى الحياة المتلاشية فى مدخل المتحف .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

السيدات المضلِلات

إلفيرا أورفى

حدث فى قديم الزمان ، حين لم تكن البلدة كبيرة كما هى الآن ، ولا كما قرأنا عنها ، فقد كان الرجال فقط يقرأون الصحف ويحكون للنساء اللاتى لا يفهمن كل ذلك عنها ، وكن يقلقن حين يجدن أنفسهن مطاردات فى المنزل بذلك النوع من الثرثرة بينما يحاولن العمل .

فى بنسيون دونا إيلوجيا ، بقى شابان فقط ، حين ماتت دون ورثة . كانا يعملان فى مكتب البريد ، ولأنهما نزحا من الجانب الآخر من الجبال منذ فترة سابقة ، ولكل الأسباب العملية لم يكن لهما عائلة .

كان منزل دونا إيلوجيا لطيفًا ، لطيفًا جدًا لدرجة أنه لايستطيع أحد التفكير فى مغادرته للخروج ولو لليلة واحدة يقضيها فى البلدة . كانت تواصل تحديثه عبر السنين ، وتوسعه ، حيث كانت تضم إليه المزيد والمزيد من المساحات ، مع كل إضافة جديدة استجابة لخيالها فى تلك اللحظة . غالبا اكتسب المنزل - ككل - مظهرًا مختلفًا عن أجزائه القديمة .

www.ibtesamh.com/vb

لكن دونا إيلوجيا نفسها كانت مثله - ترتدى ملابس سوداء تمامًا أو تتغطى بالعباءة والقلائد حين يكون لديها زوار - لكنها لا تزال دائمًا دونا إيلوجيا تحت الأشرطة المخزفة والحلى المبهرجة ، ونفس الشيء بالنسبة للمنزل ، رغم أن واجهته مزخرفة بمختلف الأشكال غير التقليدية ، بقى دائمًا محافظًا على طابعه الخاص فى النهاية . ببساطة تغير كثيرًا من وقت لوقت حتى أثبت قدرته على التحول والسحر مما جعل من الصعب مغادرته .

التقط الشابان من المرأة المتوفاة طريقتها فى تنظيم الأشياء ، وغرابة أطوارها ، وذلك المفهوم بكونك مختلفًا من يوم لليوم الذى يليه . حدث أن غرسا بعض النباتات بطريقة لم يفكر فيها أحد من قبل . غطيا ركنًا بأكمله من الحديقة بنبات الوستارية المعرش وبقلة الخطاطيف ، ووضعا بقلة الخطاطيف فى سلال منسوجة بالشباك صنعاها بنفسيهما ، كان منظرًا رائعًا يسحر العين ، ثم علقاها . بقلة الخطاطيف تلك بلونها البيج ، ناعمة كالمخمل ، تسللت من خلال الوستارية كنجوم صغيرة منتشرة فى السماء . عندئذٍ رغبا فى زهرة ، زهرة أخرى ناعمة ولونها بيج ، لون أوراق التغليف ، وحصلا عليها ، بمعالجة كيماوية معقدة لتطعيم النبات . خلطاها بين الوستارية فى الركن ، وزرعاها كذلك فى الأرض ، بين ياسمين باراجوى ، بزهوره التى تبدو كشقيقات سقطن ، بعضها أبيض وبعضها بنفسجى .

www.ibtesamh.com/vb

إن لم يكن الشابان لطيفين جدًا مثلما كانت دونا إيلوجيا ، فلربما نظر إليهما الناس على أنهما غريبا الأطوار . لأن دونا إيلوجيا فى أى مناسبة كانت شخصية رائعة ، تقدم الفطائر والمسكرات الحلوة وتضعها فى باحة المنزل الأمامية . كان جميلاً منها حتى أن تخيف شخصًا ما وتجعله يغنى . حتى لو كانت حقًا مريضة جدًا ولا تستطيع النهوض ، فذلك لا يمنعها من الاحتفال بأعياد ميلاد بعض القطيطات فتقدم الحلوى والفطائر وعصير الليمون . كانت تنادى على الجيران وتعرض بعض قطيطاتها على أفضلهم وتطلب منهم أن يرعوها جيدًا حين تذهب لتنام القيلولة فى الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبًا ، ذلك الوقت الذى تصبح فيه عيناها ثقيلتين بالفعل من شرب الخمر .

لم يكن الشابان سكيرين ، لكنهما كانا مغرمين جدًا بدونا إيلوجيا ولكى يسعداها ينضمان إليها فى الشراب بين حين وآخر . عثرت على صديقة لكل منهما ، وإن لم يسفر الأمر عن شىء ، فذلك لأنهما كانا شخصين حسنين فى المكان الذى هما فيه ، وهما يعلمان بالتأكيد أنه لا يوجد مكان آخر يمكنهما أن يحظيا فيه بوقت طيب مثل ذلك المنزل ، حيث تعرضت الخادمة نفسها للنقد بسبب غرابتها ولأنها قامت بصناعة حلوى مخلوطة ، غريبة حتى الصيدلى المحلى (روسى وأستاذ فى صنع الحلوى) كان يحسدها عليها .

www.ibtesamh.com/vb

مع موت دونا إيلوجيا ، والزهور المزروعة على الباحة ومنسوجة معًا كتطريز الكانڤاه ، حوّل الشابان اهتمامهما إلى الأثاث . كان جميلاً لكنه غير موحٍ ، وطرازه رزين . أحضرا بعض النجارين عبثوا به وخططوه بخطوط لامعة وسحبوا الخشب ، وذات يوم ظهرت الإعلانات فى الصحف تقول : تعال إلى منزل رقم ١٦ شارع رونكو وستجد المائدة والبوفيه اللذين طالما رغبتهما ، تلك المائدة التى رأيتها فى أحلامك .

فى اليوم التالى كان الشابان بلا أدنى اهتمام يبيعان الطوابع التى كان من الممكن أن يلقيا بها إن لم يضع الناس النقود فى أيديهما . كانا يتبادلان الافتراضات فى صوت منخفض : هل هذا الأثاث حالم حقًا ؟ لأنهما حينما حلما ، لم يكن هناك بطاطس صغيرة ! لم يكن بقاؤهما فى منزل دونا إيلوجيا دونما سبب ، فهو فى حد ذاته كان مثل حلم مخبأ فى منتصف البلدة ، منزل قد يتبدد لو فشل سكانه فى احترام قوانينه وعاداته .

غادرا مكتب البريد ، لم يهربا كما يفعل من يتفادى شخصًا ثرثارًا ، ولكن بسرعة جعلت ربطات عنقهما ترفرف كالأعلام .

بينما كانا يجريان من المدينة وتقريبًا قد بدأ نور النهار يخبو ، ندما لأنهما لم يستقلا أوتوبيسًا . مع ولعهما بالأحلام ، كانا يؤمنان إيمانًا عميقًا بساقيهما أكثر من إيمانهما بالعربات . أخذا يسيران فى شوارع بلا أرصفة ، ويكاد شجر الاوكالبتوس أن

www.ibtesamh.com/vb

يغلق الطريق ، لكنهما على حين غرة شاهدا رصيفًا وواجهة مبنى بشرفتين ، ليس ببعيد عن محطة قطار . كانت شرفة مدخل المبنى نظيفة للغاية ، للباب نوافذ من الزجاج مشطوف الزوايا شديد الصفاء يمكنهما من مطاردة ذبابة . فتحت الباب امرأة عجوز ، تربع يديها وتخفيها فى أكمامها ، ونظرتها مسبلة قليلاً ، بالداخل بدا المنزل كغيره من المنازل ، شعر الشابان بأكثر من خيبة الأمل بعض الشىء حين دلفا إلى حجرة أصابتهما بالذهول . كان هناك ذلك البوفية الذى يحلمان به ، تمامًا كما وعدت الإعلانات ، بخشبه الأصفر وشكله الدائرى وحوافه المزينة بزهور صغيرة رائعة الألوان من البورسلين . وبشكل لا يُصدق ، معلق فى الحائط . كانا مسحورين لدرجة أنهما لم يلاحظا السيدتين الأخريين اللتين تشبهان فى مظهرهما السيدة التى فتحت لهما الباب . إحداهما ترتدى قبعة على رأسها . لكن الشابين ينظران الآن إلى مائدة مستديرة رائعة ، بيضاء لكنها ليست بيضاء تمامًا لأنها مصنوعة من المربعات الصغيرة بعضها رمادية اللون ، والأخرى صفراء ، جميعها تبرق كالمرمر . كان هناك الكثير من الأعاجيب فى الحجرة ، أربعة نمور من البورسلين ، مدلاة من السقف ، تسند لوحًا زجاجيًا مليئاً بالفاكهة المصنوعة من أغصان الأشجار والنحاس والأوبال والعقيق . كان من الصعب أن ترى جيدًا أى شىء . ساد الليل الحجرة ، وقالت إحدى السيدات أنهن لا يعرضن كنوزهن إلا

www.ibtesamh.com/vb

فى وضح النهار لأنه بدون الشمس يموت كل شىء . أما الشابان فتقريبًا بكيا . المرأة العجوز ، كما لو كانت قد امتلأت شفقة عليهما ، اقترحت أن يقضيا الليل فى الأسرّة التى تفوق الخيال ، حتى يتجنبا القيام بالرحلة مرة أخرة غدًا . وافق الشابان وهما فى توق لرؤية الأسرّة . قادتهما السيدات العجائز فى موكب عبر هذا المنزل كثير الحجرات ، وأرينهما فى إحداها عموداً لولبياً من المرمر ، طويلاً لدرجة أنه يمكّن المرء من رؤية ما تحت السرير أو بسطة الدرج دون انحناء . تلك البسطة شفافة . وسرعان ما تدرك مما هى مصنوعة . دون أن يلاحظ الشابان كيف تصعد السيدة الأكثر رشاقة فيهن ذلك الفراش وترقد فيه (بالتأكيد بواسطة الدرج ، الذى هو ذاته شفاف من قمته) . أضاءت السيدتان الأخريان الأنوار من أسفل واستطاع الجميع الرؤية من خلال الأوبال . . . الشفاف ! وتلك المياه التى يصدها زجاج ناعم ، صورة الجسد الوردى الطلية ، مثلما يحدث حين يضع المرء يده أمام الضوء ويرى لون الدم . كان شيئًا رائعًا ، حتى – إن جاز القول – إذا بدا الأمر مخيفًا قليلاً للشابين ، لكنهما كانا مسحورين . كانا كذلك مسرورين أن السيدات العجائز ، عند ذاك الحد بدا عليهن بعض البطء والحزن ، وقليل من الإحباط ، فأخرجن بعض المسكرات حلوة المذاق المعطرة مثلما فعلت دونا إيلوجيا .

فى اليوم التالى ، استيقظا فى وقت متأخر جدًا ، لدرجة

www.ibtesamh.com/vb

الذهول ، وشعرا أنهما لن يستطيعا الذهاب إلى العمل . علاوة على ذلك ، كان تأرجح الفراش بنعومة كأنه أرجوحة شبكية لم يشجعهما كثيرًا على مواجهة النهار . لم تكن الأسرّة مقامة على أعمدة من المرمر ، كما اعتقدا فى الليلة السابقة ، بل مشدودة بخيوط ناعمة جدًا منسوجة بشكل معقد يصعب فكه كرباط الحذاء ومعلقة فى السقف . المراتب نفسها مصنوعة من المطاط الشفاف مليئة بالماء الدافئ .

عندما نهضا فى النهاية ، فى منتصف النهار ، راحا يفكران فى نباتاتهما ، وتلك الفوضى المحببة لمنزل دونا إيلوجيا ، هناك قبعة وحيدة على البيانو كأن شخصًا ما قد غادر توًا ، تاركًا رسالة أخيرة معلقة فى الهواء ، وخزائنها الخاصة بالمراوح ذات الكشكشات الحريرية فى أبهى منظر ، خرمتها دونا إيلوجيا بنفسها وكانت تعرضها كأثر من شاعر ملتاع (ربما يكون هذا صحيحًا) . فكرا فى كل ذلك وأيضًا فى صفقة أثاث منزل السيدة العجوز ، بعيدًا عن الأثاث فى حد ذاته ، الذى لم يكن فى الواقع شيئًا غير عادى . وإذا كان صحيحًا أن ذلك الأثاث يراودك فى أحلامك ، فإنه فى نفس الوقت يراودك فى كوابيسك ، كتلك الأسرة المعلقة التى كانت شديدة الفتنة الليلة السابقة فهى الآن تثير نفورك بأنابيب المياه الحمراء ، كحيل سركية رخيصة . عندئذٍ حددا مناقشاتهما فى حدود احتمال شراء الخزانة الخشبية الصفراء ، والمائدة المصنوعة على هيئة نمر ،

www.ibtesamh.com/vb

وقطعة أخرى - فى الحقيقة - خارج نطاق الأحلام ، مرصعة بالذهب والبرونز ولمسات حمراء ، أشارت إليها النسوة على أنها صندوق الخريف . عندما بدأ الشابان يستعدان للخروج اكتشفا أن الوقت ليل . قالت النسوة لا ، لا ، لا يمكنكما الرحيل الآن ، هذه الشوارع حالكة الظلمة ، ومن يعلم أى مجانين طلقاء فى هذه الأماكن ، ولم العجلة ؟ وافترضت إحداهن أنه ربما تكون الأسرّة المعلقة لا تروقهما لذا اقترحت أن يناما فى أسرّة غيرها ، أسرة جميلة تجعلك تحلم الأحلام التى ترغبها . سيطرت فكرة رؤية تلك الأسرة على كل من الشابين وحين حملقا فيها ، صعقا ، كان شكلها شكل أسرة ، لكنها مصنوعة من أشياء لا علاقة لها بالأسرة إطلاقًا ، شىء لم يحدث لأحد من قبل ، قشر سلاحف مطلى ، وقرون مصقولة وأشياء شبيهة بالكراميل لم يتبينا ماهيتها ولم ترد السيدات العجائز أن تمنحها اسمًا . فقد الشابان رغبتهما فى الرحيل تمامًا ! رغم أنهما لم يصرا على عدم رحيلهما الليلة ، فهما فى الواقع لابد من ذهابهما للعمل اليوم التالى . قبلت السيدات ذلك الشرط .

فى الصباح التالى ، حين كانا يودعانهن ، خفضن عيونهن ، ولم يصطحبن الشابين إلى العتبة . حين فتح الباب ، كان يقف كلب أسود ضخم بشعر كصوف الخراف ، جمدهما عند عتبة الباب . كان الكلب يترصد كل حركة منهما صوب المغادرة .

يئِسَ الشابان . حتى الآن سيصلان عملهما متأخرين . كان

www.ibtesamh.com/vb

من الصعب أن يطلبا من السيدات العجائز الغاضبات أن يفعلن شيئًا مع هذا الكلب . ولم يكن من طريق آخر للخروج . قالت السيدات أن الكلب ليس كلبهن ولا يطيعهن ، لدرجة أنه حتى لا يتركهن يخرجن إذا تواجد فى المنطقة إلا إذا أراد ذلك بنفسه . فى النهاية وهما يغالبان رغبتهما فى الرحيل ، فكر الشابان فى الخروج عن طريق تسلق السياج الخلفى . تملكهما الرعب الشديد حين وصلا إلى الباحة الخلفية . فخلف بوابة صغيرة هزيلة وسلك رقيق كانت هناك مجموعة حيوانات غريبة كأنها هاربة من إغواء القديس أنتونى . ذلك الخنزير . . . خنزير له جذع فيل ، أم كان فيلاً قزمًا ؟ ، وذلك الآخر ؟ كلب مقطقط أم قط مكلبن ؟ مهما كانوا ، فإنهم صامتون تمامًا ، جميعهم خرس .

غاص قلبا الشابين من الخوف ، وارتعشا وانقبضا وصارا يرتجفان كقطعة لحم مرعوبة . فقدا كل سيطرة . حاولا تسلق الحوائط العالية المحيطة بالمنزل ، أملاً فى الوصول إلى الشرفة التى اكتشفا أنها مغلقة بباب من خشب الكبراش الصلب والباب أيضًا محكم الغلق بقفل . كل ما استطاعا فعله هو النوم ليالٍ عديدة فى ذلك المنزل كما تمنت السيدات العجائز .

فى بعض الأحيان ، عند لمس الأثاث المكسو بالحرير ، ينسيان أنهما سجينان ، وأحيانًا أخرى ، يتذكران منزل دونا

www.ibtesamh.com/vb

إيلوجيا المدهش كأنه فردوس . ذات يوم لطيف ، أدركا بحزن أن فردوس ذكرياتهما المفقود يفتقر إلى جمال الحيوانات الجميلة ، فالنمور المسالمة ، تعوقها اللغة ، وتعيش مع الأيائل ، حتى الضحايا ، الحملان الوديعة التى تساق للذبح ، وطيور مالك الحزين المفتتنه بطائر البشروش البحرى ، وتلك السلالات المتناغمة من تهجين أنواع مختلفة من السلاحف والديوك ، إلى درجة إنتاج حيوان لا ينتمى إلى أى نوع من أسلافه ، فهو يومض ببريق قشر السلاحف وريش الطيور . لم تصل السيدات العجائز إلى ذلك الحد فى عملية التهجين ، لنقص الخبرة ولطبيعة الحيوانات كلها غير المقصودة . استطعن شيئًا مشابها فقط فى ذلك الأثاث الجميل .

واصلت السيدات العجائز كرم ضيافتهن ، دون ذكر أى شىء للشابين عما يخبئنه لهما فى أذهانهن . ولكنهن شاركن الشابين عواطفهما نحو إعادة توحيد الجمال غير المتوقعة ، أدرك الشابان أنهما سجينان لصنع الجمال واستخراجه من الكائنات الحية . فيما عدا ذلك ، هل كانا على معرفة بذلك النوع من التركيب أكثر من السيدات العجائز ؟ طوتهما عباءة من الحيرة الغريبة - حواء المبجلة فى الفردوس - ألم تهدف إلى تبسيط الأمور أكثر من تقديم إنتاج أشياء مركبة جميلة ؟

بتلك المسكرات المحلاة المعطرة والتى تختلف كثيرًا عن

www.ibtesamh.com/vb

تلك المشروبات البريئة التى كانت تقدمها دونا إيلوجيا ، كانت السيدات العجائز تفرغ عقلى الشابين . وفى الوقت نفسه ، كان منزل دونا إيلوجيا يزداد حزنًا على حزن بين يدى الخادمة ، فحتى الخادمة نفسها ازدادت حزنًا بسبب الوحدة . أتذكر ذلك الاعلان عن الأثاث ، وأتذكر كذلك كم كان الولدان متلهفين للذهاب ولرؤيته ، حدث هذا فى ذلك الوقت الذى اختفيا فيه . لكننى لا أتذكر العنوان ، ولم أقل شيئًا لأولئك الأشخاص الذين قاموا بتحريات عنهما حتى لا أزج بنفسى فى الموقف ولا أشوش على حياتى .

حتى لو كان الولدان على درجة من الغباء ، لم يفتهما أن السيدات العجائز يعملن بجد فى التخلص من الأعشاب وتسوية الأحجار . إن لم يقوما بذلك فلن يستطيعا القيام بأقل إنتاج من تلك الحيوانات الغريبة . وحين منحتهما السيدات جرعات الدواء والمساحيق وشاركتهما اكتشافاتهما ، وجد الشابان نفسيهما يشعران بسرور غامض لفكرة ابتكارهما حيوانات عجيبة . فيما بعد واتتهما ليالٍ يجتمعان فيها بالسيدات العجائز اللاتى تركنهما مرهقين ينامان يومين أو ثلاثة أيام متواصلة . فى تلك الأثناء ، كانا ينتظران الخادمات وهن تقريباً أطفال ، على درجة من الجمال لكن يعتورهن حمق غريب . بعضهن شقراوات بشعور قصيرة خشنة كشعور الزنوج ، وشفاه غليظة

www.ibtesamh.com/vb

ممتلئة وأنوف كمناقير نسور الإنديز ، وعيون بنفسجية وبشرة بيضاء كالدقيق ، أخريات بشعور سوداء مسترسلة طويلة وعيون خضراء ثاقبة ، كانت عمليات التهجين كثيرة التنوع لا يحصرها العقل ، ومر وقت طويل جعلنى أنسى الكثير منهن . أولئك الفتيات الصغيرات كن يسرّن فى أقدام الشابين طوال اليوم . لكن تلك المخلوقات البائسة لم يكن لديها فرصة حقيقية . ربما لو جعلن أنفسهن اجتماعيات أكثر قليلاً ، أو لو أن الشابين نفسيهما كان لديهما ميل قوى فى هذا الاتجاه . لكننى أشك أنهما مولودان محددان فى هذا الشأن ، معدان لدور الولد المدلل أكثر من دور سيد الجماعة . علاوة على ذلك ، بدت الفتيات الصغيرات أكثر شبهًا بالعرائس المتحركة ، مختلفات عن دونا إيلوجيا ، كثيرات الحركة دائمًا . كذلك وجد الشابان نفسيهما يتساءلان ذات يوم (ربما حين نهضا برغباتهما مستيقظة قليلاً) ماذا إذا كانت تلك المساحيق والجرعات التى تمنحها لهما السيدات العجائز ليبتكرا حيوانات جديدة قد تسللت أيضًا فى الشراب المسكر المعطر . وعندئذٍ اتضح الأمر برمته ، الحيوانات مجرد تجربة للإعداد لتجارب على الإنسان . وقد قامت السيدات العجائز بذلك بالفعل . لكن مع من ؟ من المحتمل معهما شخصيًا حين كانا صغيرين ، أو مع شخص مهتم بصناعة الأثاث . رغم ذلك ،

www.ibtesamh.com/vb

من يستطيع التأكد ، مع تلك الجرعات ، مما إذا كانت السيدات العجائز لديهن بعض الطموح إذا اهتم الشابان بذلك ؟ ، كان من نتيجة هذا كله أن ذلك الإدراك انطلق فى مخاوف الشابين الرخوة ، وناداهما منزل دونا إيلوجيا بقوة شديدة ربما تكون دونا إيلوجيا ذاتها تستحثهما هى وأكوامها البريئة ، وخيالاتها الغريبة لكنها بريئة ، وسعادتها وكرمها . أدرك أحدهما فجأة أن ذلك الكلب الواقف بالباب مخلط بالأغنام ، وذلك سبب غرابة رأسه . وصلا إلى هذه الفكرة دون حقد لكن بفضول . وبقرار حاسم أخذ الشاب رفيقه الآخر من يده وقاده إلى الشارع ، دون حتى التفكير فى ما إذا كان ذلك سيضايق السيدات العجائز أم لا . تشممهما الكلب قبل أن يبدأ فى الثغاء . اكتشفا أن السيقان التى أحضرتهما كانت تستطيع الجرى ووصلا إلى منزل دونا إيلوجيا منهكين ودون سنت واحد .

لم يحكيا الحقيقة كاملة لأولئك الذين سألوهما (من الطبيعى أن يتصور الجميع أنهما لصان ومتسللان) . لكن بالنسبة لى قالا كل شىء وصدقتهما فى كل ما قالاه ، وصدقتهما أكثر حينما بدأت الحيوانات تظهر فى كل أرجاء البلدة قادمة من المدينة ، ترعب الناس لحد معاناتنا خوفًا من الأوبئة . تحرك الولدان بسعادة وهما يفكران كيف ستشعر

www.ibtesamh.com/vb

السيدات العجائز بالخوف من افتضاح أمرهن . فقد الشابان وظيفتهما فى مكتب البريد ، لكنهما عثرا على نجار عملا لديه تحت التمرين ، وسترى بحق الأثاث الذى قاما بصناعته فى وقت وجيز . لكن لزبائن منتقاه جدًا .

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

الكاتبات

ماريا لويزا بومبال (١٩١٠ - ١٩٨٠)

روائية وكاتبة قصة قصيرة من شيلى . انتقلت فى ١٩٢٢ إلى باريس ، حيث درست الأدب والفلسفة فى جامعة السوربون ، واكتسبت معرفة واسعة بالحركات الطليعية . فى ١٩٣١ عادت إلى سانتياجو ، حيث تعاونت مع مارتا برونت وڤيرا زوروف فى المسرح التجريبى فى بيزارو إيسبوز . دُعيت إلى بوينس آيريس من ١٩٣٣ - ١٩٤٠ من قبل بابلو نيرودا ، ثم دُعيت إلى الجنوب من قبل مخرج وأحد القناصل . هناك نشرت أشهر أعمالها الأدبية (منزل الضباب) ١٩٣٥ ، وعادت فى ١٩٤٧ إلى كتابتها وترجمتها إلى لغات أخرى مع زوجها .

كتبت أيضًا رواية « المرأة المحجبة » فى ١٩٣٨ وترجمتها فى ١٩٤٨ وتعتبر الأخيرة خطابًا سرديًا بصيغة المتكلم تحكيها جثة امرأة فى شكل ارتجاعى (فلاش باك) ، قال عنها بورخيس أنها رواية فى السحر الحزين . . . فى تنظيم سحرى مؤثر . أما منزل الضباب فهى تحليل نفسى لشخصيات تلاحظها امرأة غير موفقة فى زواجها ، ويرمز الضباب لمشاعرها فى الماضى ، تلك المشاعر المرتبطة بالحب والعائلة والتى لا قيمة لها الآن . فى

www.ibtesamh.com/vb

كتابات ماريا لويزا بومبال يمتزج الانسانى مع ما فوق الإنسانى فى صراع شعرى يسمح للقارئ برؤية الحقيقة من وجهة نظرها الشخصية . كتبت بومبال أيضًا سيناريوهات وحوارات سينمائية فى الثلاثينيات . منذ بدأت تكتب الرواية القصيرة حين كانت فى الحادية والعشرين من عمرها لأن عملها يلاقى نجاحًا مميزًا ، وقد حصلت قريبا على جائزة الأكاديمية الشيلية عن روايتها « قصة ماريا جريسيلدا » التى كتبتها فى ١٩٧٦ ، فى عام ١٩٤٠ عادت بومبال إلى شيلى ثم أخيرًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

كلاريس ليسبكتور (١٩٢٥ - ١٩٧٧)

كاتبة قصة قصيرة من البرازيل ، وهى تكتب أيضًا الرواية والتاريخ . واحدة من أشهر الكاتبات البرازيليات ، ورائدات ما بعد الحداثة . غادر أبواها أوكرانيا عندما كان لها من العمر شهران فقط . وفى سن المراهقة انتقلت إلى ريو ، حيث درست القانون (١٩٤٤) وعملت بالصحافة . تزوجت من ديبلوماسى ، وعاشت فى أوربا ، لكنها عادت إلى ريو فى ١٩٥٩ ، فى التاسعة عشر من عمرها نشرت أولى رواياتها (١٩٤٤) (بالقرب من قلب قاسٍ) وهى نظرة نفسية فى الحياة الداخلية لإمرأة . يتميز أسلوب كلاريس بمنظور نسوى خاص فى كل التفاصيل ، ليصبح عالمًا حقيقيًا ، فى ضوء فلسفة هيدجر وسارتر . فى ١٩٦٠ كتبت رواية « روابط عائلية » . فى ١٩٦٤ كتبت رواية « الحشد الغريب » ، وهى تعالج الصراع الإنسانى لربة بيت وخادمتها المستهدفة لضغوط غير محتملة ، فتعرضها من وجهات نظر متحضرة وغير متحضرة ، خاضعة ومتمردة ، وعالمية ومتوحشة . تكتب أعمالها بصيغة المتكلم مع استخدام اللحظات من الظاهراتية المصاحبة . وتيار الوعى ، ومن خلال نظرة فلسفية تُعيد اكتشاف الموضوعات وتشجب بسمو خضوع

www.ibtesamh.com/vb

المرأة للمجتمع الأبوى ، فى نهاية السبعينيات تحدت قواعد الجنس الأدبى بمقطوعات نثرية متفرقة . آخر رواياتها (١٩٧٧) « ساعة النجم » التى تحولت إلى فيلم سينمائى ناجح ، تعرض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية لفتاة بسيطة من الطبقة العاملة .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

سيلفينا اوكامبو (١٩٠٣)

كاتبة أرجنتينية تكتب الشعر والقصة القصيرة ، هى شقيقة ڤيكتوريا أوكامبو ، تزوجت فى ١٩٣٤ من أدولفو بيوى كاساريس ، وهما صديقان لبورخيس . لم تحظ بشهرة واسعة خارج نطاق بلادها . درست الرسم والفن التشكيلى كما درست الفرنسية والإنجليزية والأسبانية .

أول اصدار أدبى لها هو كتاب نثرى « الرحلة المنسية » فى ١٩٣٧ وضعها فى مقدمة الأدباء . قدمت مع بورخيس وكاساريس فى ١٩٤٠ مجموعة مختارات أدبية من الأدب الفنتازى . أول ديوان شعرى لها « تعداد الوطن وقصائد أخرى » عالجت فيه الأفكار المقاومة للمطلق مقارنة مع الأفكار المحددة ، صارت أكثر نظرًا للأمور الباطنية فى أعمالها الشعرية التالية . فى ١٩٤٩ قدمت « قصائد حب يائس » ، فى ١٩٦٢ قدمت « المرارة فى العسل » ويعتبر سيرة ذاتية لها تعبر فيه عن أشكال الصراع التى مرت بها فى حياتها الخاصة ، وحصلت به على الجائزة القومية للشعر .

عند نشر مجموعتها القصصية « الغاضبة » فى ١٩٥٩ ، حازت شهرة واسعة ككاتبة قصة قصيرة .

www.ibtesamh.com/vb

تنطلق وراء رقة أشعارها وتكشف أشكالاً من الحياة اليومية من البساطة والجمال يوضحان وعيها بالزمن واستخدامها للغة خاصة ممزوجة بالواقعية السحرية .

فى السبعينيات ركزت بشكل أساسى على الكتابة للناشئين . .

من أعمالها : « أغانى الحديقة » ١٩٤٨ .

« الأسماء » ١٩٥٣ .

« مختارات صغيرة »١٩٥٤ .

« الخطيئة المميتة » ١٩٦٦ .

« أصفر سماوى » ١٩٧٢ .

« كورنيليا أمام المرآة » ١٩٨٨ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

لويزا فاليذزويلا (١٩٣٨)

كاتبة أرجنتينية تكتب الرواية والقصة القصيرة ، وهى ابنة لويزا ميرشيدس ليڤنسون ، وهى كاتبة أيضًا ، مما مكنها من التعرف على أدباء متميزين أمثال بورخيس . فى السابعة عشر من عمرها عملت لويزا بالصحافة فى بوينس آيريس ، وعملت كمحررة سياسية . نشرت أعمالها الأدبية على نطاق واسع فى أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الأمريكية وتُرجمت إلى الإنجليزية . سافرت إلى العديد من الأقطار .

حصلت على منحة مؤسسة فولبرايت (١٩٦٩- ١٩٧٠) كما حصلت كذلك على منحة من جوجينهايم فى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٨٣) ، وسافرت كذلك إلى جامعة أيوا كأديبة زائرة أثناء كتابتها روايتها الثانية « قطة مؤثرة » فى ١٩٧٢ . نُفيت من الأرجنتين نفيًا اختياريًا من ١٩٧٩ ، وعملت مديرة لمركز نيويورك للإنسانيات وكاتبة مقيمة فى جامعة نيويورك وجامعة كولومبيا ، حيث درّست الكتابة الإبداعية . ساندت قضايا العفو العام والتعبير الحر فى نوادى القلم وغيرها .

كتبت أول قصة قصيرة « مدينة بعيدة » فى ١٩٦٧ وهى جزء من المجموعة القصصية « المهرطقون » حين كان عمرها ثمانى

www.ibtesamh.com/vb

عشرة سنة وتُرجمت ونُشرت بعد ذلك فى ١٩٧٦ فى كتاب « ثلاث عشرة قصة قصيرة ورواية » ، وهى تهاجم فيها الجمود الدينى والتراتب الكنسى بكل خرافاته .

أول رواية لها « عليك أن تبتسم » فى ١٩٦٦ ، بها لمسة من وجهة شخصية وأسلوب طبيعة ، بطلتها عاهرة تُجرى لها عملية استئصال للحلقوم كرمز لإحباطات المرأة ، وهى رواية مليئة بالتعبيرات الأدبية وتحطيم الأفكار التقليدية بصدد النوع والمجتمع الأبوى والنسوية . على النقيض ، فى « أشياء غريبة تحدث هنا » ١٩٧٥ ، عمل يطغى عليه الفكر السياسى ، أما فى رواية « ذيل السحلية » الأكثر إبداعًا . فهى تتعامل مع التيمات السياسية بشكل أكثر شاعرية وخيالاً فى أسلوب شبيه بالحلم .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

إيلينا بونياتوسكا (١٩٣٣)

كاتبة مكسيكية ، ولدت فى فرنسا ، والدها بولندى الأصل ، أما والدتها فمكسيكية تربت فى فرنسا ، فى عام ١٩٤٢ انتقلت إيلينا مع عائلتها إلى مدينة مكسيكو ، حيث درست فى مدرسة إنجليزية ، وفيما بعد أكملت دراستها فى مدرسة راهبات داخلية فى فيلادلفيا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت تتحدث الفرنسية مع أسرتها الثرية وتعلمت الأسبانية من خادماتها ، لكنها كانت تشعر بالغربة فى مدينة مكسيكو وتعوزها الخبرة عن خلفية البلاد الثقافية ، إلا أنها استفادت من صداقتها مع خادماتها ومن عملها بالصحافة ، مما منحها قدرة عالية فى استخدامات اللغة والمعرفة الضرورية لتصبح فيما بعد كاتبة اجتماعية تعالج مشاكل الطبقات الأقل تميزًا فى مدينة مكسيكو .

كان عملها الأول فى ١٩٥٤ يحتوى على اثنتى عشرة قصة قصيرة تدور حول تجارب فتاة صغيرة تحاول التكيف مع مجتمعها «ليلوس كيكوس» ، توسعت فيما بعد إلى عشرين قصة (قصص ليلوس كيكوس) فى ١٩٦٧ ، مع نشر إحدى رواياتها الكبيرة (حتى نلتقى مرة أخرى) فى ١٩٨٧ ، التى تدور حول الصوت الهندو - مكسيكى أسست إيلينا ذاتها كواحدة من

www.ibtesamh.com/vb

أهم كاتبات أمريكا اللاتينية فى هذا القرن . كتبت هذه الرواية بصيغة المفرد المتكلم فى الزمن المضارع البسيط على لسان جيسوسا بالانكاريس ، وهى امرأة فقيرة أمية ولدت فى بدايات القرن تتذكر حياتها فى الستينيات . وحققت هذه الرواية انتشاراً كبيرًا ، وصارت بطلتها تمثل صورة الطبقة الدنيا والضحية الاجتماعية . من أعمالها : «كلمات متقاطعة» ١٩٦١ ، «كل شىء يبدأ فى يوم الأحد» ١٩٦٣ ، «شهود على التاريخ» ١٩٧١، «مذبحة فى مكسيكو» ١٩٧٥ «عزيزى دياجو» ١٩٨٦، «صمت عالى الصوت» ١٩٨٠ ، «الأحد السابع» ١٩٨٢ «زنابق إليزا» ١٩٨٨، «لا شىء لا أحد» ١٩٨٨ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

مارتا برونت (١٨٩٧ - ١٩٦٧)

روائية وكاتبة قصة قصيرة من شيلى . كانت واسعة الثراء فتلقت تعليمها فى المنزل ، وعملت فى السلك السياسى . كانت أولى رواياتها وأشهرها « جبل داخلى » كتبتها فى عام ١٩٢٣ ولاقت نجاحًا سريعًا . تتميز كتاباتها بالأسلوب المحلى الملىء بالشعر الغنائى والمشاعر المأساوية وعلى صعيد آخر يمثل الأسلوب الواقعى الطبيعى مستوٍ آخر من مستويات الإبداع لديها ، لكنها هجرته فيما بعد واتجهت للأسلوب النفسى . المرأة هى البطلة فى رواياتها ، وتعتبر محرضة فى أدب المرأة فى شيلى . فى المجموعة القصصية « المياه تحت » ١٩٣٠ ، تبنت أسلوبًا عالميًا بتقنية شكلية متقنة لعرض صراع المرأة وإحباطاتها . وفى روايتها « دخان إلى الجنوب » ١٩٤٦ ، تأثرت بأدب أمريكا الشمالية ، مستنبطة الصراع بين التقدمية والسلفية ، حيث عرَّت مثالب الأخيرة . فى ١٩٥٧ فى رواية « ماريا لا أحد » حاولت الصلح بين المحلية وتيمة الفلاحين من جهة والعالمية والأسلوب النفسى من جهة أخرى ، كما فى شخصيات ڤرجينيا وولف . فى رواية « امتزاج » ١٩٦٢ ، طرحت حياة العزلة التى يحياها الشاذ جوليان الذى ينتحر ، وتعتبر هذه الرواية

www.ibtesamh.com/vb

تحليلا نفسيا - فى ضوء العالمية - لأم متصلبة قاسية ، بشكل خاص ، حصلت مارتا برونت على الجائزة القومية فى الآداب ١٩٦١ .

ومن أهم أعمالها :

مجموعة قصص قصيرة « فلوريسوندو » ١٩٢١ .

رواية « وحوش مستعبدة » ١٩٢٦ .

رواية « ماريا روزا زهرة لولبية » ١٩٢٩ .

* * *

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

كريستينا بيرى روسى (١٩٤١)

كاتبة من أوروجواى . ولدت فى مُنتِڤِديو ، وهى ابنة لمهاجرين إيطاليين ، وتعمل والدتها مدرسة ، وقد علمها خالها الشيوعى تذوق الأدب . تخرجت فى كلية الآداب فى جامعة مُنتِڤِديو ، وعملت بالصحافة وتدريس الأدب . أُضطهدت من قبل السلطة لموقفها المناهض للظلم ، فانتقلت إلى برشلونة فى أسبانيا فى ١٩٧٢ .

فى عام ١٩٦٣ صدر لها أول كتاب وهو مجموعة قصص قصيرة « الحياة » عن الجو المعتم المحيط بالمرأة ومعاناتها كضحية للمجتمع الأبوى .

فى ١٩٦٩ صدرت لها مجموعة القصص القصيرة « المتاحف المهجورة » . وحازت بها على جائزة أركا للكتاب الشباب فى أوراجوى فى ١٩٦٨م وتصف فيها انحطاط الثقافة فى أوراجوى وتظهر فقدان التواصل بين الرجل والمرأة ، كما فى قصة « الأشياء الغريبة التى تطير » . فى ١٩٦٩ حصلت قصتها « كتاب أولاد عمتى » على جائزة مجلة مارشا ، وهى قصة على لسان طفل ، بها تحولات سردية عميقة . وبيرى روسى تستخدم حيلاً مرئية وتمزج النثر بالشعر ، وتهدف إلى السخرية من

www.ibtesamh.com/vb

البرجوازية ، خاصة الفتيات اللاتى ينشأن محاطات برعاية مبالغ فيها .

نشرت فى ١٩٧٠ « علامات ذعر » وهو مجموعة من ستة وأربعين قطعة أدبية وقصص قصيرة وقصائد ومقالات وأمثال تعبر عن سمات عصر القمع فى أوراجوى ، وفى ١٩٧١ نشرت أول ديوان شعرى لمجموعة قصائد حسية تحتفل بجسد المرأة ، فى ١٩٧٥ نشرت ديوان « وصف حطام سفينة » تركز قصائده على النفى السياسى والحب . على النقيض من ذلك فى ١٩٨٣ نشرت « متحف المساعى العبثية » وهو مجموعة من القطع الأدبية لمحاور معاصرة مثل العزلة والتحليل النفسى والحرب والقمع السياسى . فى ١٩٨٤ نشرت « سفينة الحمقى » وفى ١٩٨٦ « آلام ممنوعة » .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

دورا الونزو (١٩١٠)

كاتبة كوبية تكتب الرواية والقصة القصيرة والشعر وتعمل أيضًا بالكتابة الصحفية ، كتبت تحت أسماء مستعارة مثل نورالين ودى . بوليميتا . كانت عضواً فعالاً فى الحزب الشيوعى ، وكسبت كثيرا من الجوائز الأدبية .

سافرت إلى بلدان كثيرة خارج كوبا منها المكسيك وأسبانيا وسويسرا وفرنسا وروسيا . نشرت قصصها القصيرة فى مطبوعات كثيرة فى وسط وجنوب أمريكا ، وقد كتبت دورا كتباً كثيرة للأطفال . تُرجمت أعمالها إلى اللغات الأجنبية وظهرت فى مختارات أدبية عديدة داخل وخارج كوبا .

من أعمالها :

« أرض بلا دفاع » ١٩٦١ .

« ومؤامرة أخرى » ١٩٦٦ .

« إحدى عشرة فرسًا » ١٩٧٠ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

يولندا بيدريخال (١٩١٦)

شاعرة من بوليڤيا وتكتب المقال . عملت أستاذة فى النقد وعلم الجمال ، وعملت كصحفية فى العديد من الصحف ، حصلت على لقب يولندا بوليڤيا . يتأرجح عملها بين الشعر والمقال ، فى كتاباتها تتأثر بالثقافة وبالتراث الشعبى ، تهدف كتاباتها إلى مغزًى سامٍ وجمالٍ راقٍ . وظفت مساحات من السيرة الذاتية فى أشعارَها الغنائية الذاتية ، مستخدمة موسيقى صافية فى اختيارها للألفاظ .

من أهم أعمالها :

« حطام سفينة غارقة » ١٩٣٦ .

« الحضيض » ١٩٥٠ .

وهى تستلهم نفس الأحاسيس المتصوفة التى تستخدمها جابرييللا ميسترال ، وتتميز قصائدها ببعد خالد ، لها أعمال أخرى مثل « قصائد » ١٩٣٧ ، « أصداء » ١٩٤٠ ، « طوف » ١٩٤٢ ، « من البحر والرماد » ١٩٥٧ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

كارمن نارانخو (١٩٣١)

كاتبة من كوستاريكا تكتب الشعر والرواية والقصة القصيرة والمقال . تدور روايات نارانخو فى جو الحياة الريفية ، مثل معظم الكتاب فى كوستاريكا ، لكنهم يصفون كذلك حياة الطبقة المتوسطة فى (المدينة) مثل الموظفين ورؤسائهم ، ويوجهون النقد إلى المجتمع الصناعى حيث تسيطر روح الاستهلاكية والبيروقراطية على الأشخاص فتجردهم من صفاتهم الإنسانية وتعزلهم . جربت كارمن نارانخو الكتابة من منظورات مختلفة ، وحولت صوت طبقات الجماهير العريضة المجهولة إلى أعمال درامية . سواء بشكل فانتازى أو واقعى ، تعبر قصصها القصيرة عن روح السخرية والتهكم والنقد .

ترتكز رواية نارانخو الأخيرة « ما بعد القصد » ١٩٨٥ على شخصيات نسائية ، حيث تصف الصعوبات التى تواجهها المرأة فى المجتمع ، وتعرض كيف تعامل كموضوع فقط . قدر البطلة فى تلك الرواية التحطيم ثم الانتحار ، كنتيجة لتضحياتها فى مجتمع أبوى . كذلك فى رواية « قداس الظلام » ١٩٦٧ ، تقدم نارانخو نظرة واقعية للمجتمع دون تفسيرات دينية أو روحانية خاصة بشروط الحياة المعاشة فى أمريكا اللاتينية .

www.ibtesamh.com/vb

من أعمالها :

« أمريكا » ١٩٦١ .

« أغانى عاطفية » ١٩٦٤ .

« صوب جزيرتك » ١٩٦٦ .

« الكلب لم ينبح » ١٩٦٦ .

« طريق الظهيرة » ١٩٦٨ .

« ذكريات رجل رمزى » ١٩٦٨ .

« يوميات جماهير » ١٩٧٤ .

« اليوم يوم طويل » ١٩٧٤ .

« خمس أفكار بحثًا عن شخص يفكر » ١٩٧٧ .

« لم يكن هناك زمن آخر » ١٩٨٤ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

هيلدا هيلست (١٩٣٠)

شاعرة برازيلية إلى جانب الشعر تكتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية . أسلوبها مركب . وهى توظف اللغة البسيطة فى خدمة موضوعات وجودية مثل معاناة المرأة تنتمى هيلدا هيلست لجيل الأربعينيات وبخاصة ١٩٤٥ . لشعرها أبعاد ميتافيزيقية وفلسفية مصحوبة بكل أنواع الغموض . حددت سمات آخر ديوانى شعر أنتجتهما بأن قصائدهما إباحية . قُدمت مسرحياتها على خشبة المسرح لكنها لم تنشر فى كتب .

من أعمالها : « شعر » ١٩٥٥ .

« مختارات » ١٩٥٩- ١٩٦٧ .

« قصائد » ١٩٦٧ .

« قصص قصيرة » ١٩٧٣ .

« الداعرة السيدة دى » « رواية » ١٩٨٢ .

« أشعار » ١٩٨٣ .

« بعينى كلبى وقصص أخرى » قصص قصيرة ١٩٨٦

* * *

www.ibtesamh.com/vb

باتريشيا بينز (١٩٣٠)

كاتبة رواية وقصة قصيرة ومترجمة من البرازيل . عملت فى مجالى التدريس والفنون التشكيلية فى جنوب البرازيل ، وعملت أيضًا فى مجال الكتابة الصحفية . أشهر رواياتها رواية « اللعبة المحبوكة » ١٩٨٣ ، وهى رواية عن ذكريات امرأة ، كتبتها باتريشيا من منظور نسوى ، ومن أهم رواياتها أيضًا رواية « قبل أن ينتهى الحب » وهى رواية عن امرأة برجوازية تعيش أزمة نفسية شديدة بعد تقاعدها مع زوجها على شاطئ البحر .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

نيليدا بينون (١٩٣٦)

روائية وكاتبة قصة قصيرة من البرازيل ، هاجرت عائلتها من جاليسيا فى أسبانيا إلى البرازيل فى بدايات القرن العشرين ، تلك حقيقة ذكرتها فى روايتها الأخيرة « جمهورية الأحلام » ١٩٨٤ . بدأ انطلاقها نحو عالم الأدب مع روايتها الأكثر شهرة ونجاحًا بين كل ما كتبته « خريطة إرشاد الملاك جبرائيل » فى ١٩٦١ ، كتبتها بأسلوب تجريبى قلق . فى عام ١٩٧٢ كتبت رواية « منزل الآلام » وهى واحدة من أبسط أعمالها وأكثرها براعة ، أما رواية « قلبى الذكى » التى كتبتها فى ١٩٧٤ ، فتسير على غرار نمط الكتابة الأسبانو - أمريكية مثل كتابة جابريل جارثيا ماركيز وبها لمسات من الواقعية السحرية . سافرت نيليدا إلى بلدان كثيرة وكسبت جوائز أدبية عديدة . وهى عضو فى أكاديمية الآداب البرازيلية . تُرجمت أعمالها إلى لغات أخرى وكثير من قصصها القصيرة تأخذ مكانها بين المختارات الأدبية سواء فى البرازيل أو خارجها .

من أعمالها : « صليب خشبى » ١٩٦٣ .

« وقت الفاكهة » ١٩٦٦ .

« الغارقة » ١٩٦٩ .

« مستودع الأسلحة » ١٩٧٣ .

« قوة القدر » ١٩٧٨ .

« حرارة الأشياء » ١٩٨٠ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

إلفيرا اورق (١٩٣٠)

كاتبة أرجنتينية تكتب الرواية والقصة القصيرة ، درست الأدب فى بوينس آيريس وباريس . ظهرت أعمالها النقدية ومقالاتها وإبداعاتها فى الصحف ، وحصلت كتبها على جوائز أدبية عديدة . أول رواية لها « صيفان » فى ١٩٥٦ كتبتها متأثرة بالأديب الأمريكى وليم فوكنر لكن مع رواية « شخص واحد » ١٩٦٢ ، ورواية « ذلك الهواء اللطيف » فى ١٩٦٧ اكتسبت أسلوبها الشخصى أكثر . تصف إلفيرا فى رواياتها سكان شمال الأرجنتين ، كما تراهم يخبئون لب الصراع والألم والقسوة خلف قناع من المظاهر التى يسيطرون عليها .

من أعمالها :

« فى القلب » ١٩٦٩ .

« شيطانه المفضل » ١٩٧٣ .

« آخر فتح للملاك » ١٩٧٧ .

« العجوز الحالمة » ١٩٨١ .

www.ibtesamh.com/vb

ليجيا فاجونديز تيليز (١٩٢٣)

كاتبة برازيلية تكتب القصة القصيرة والرواية . عملت محامية لفترة من الوقت ، وعملت كذلك نائبة عامة فى سان باولو . تركز أعمالها الأدبية على شخصية المرأة ، من زاوية نفسية . بقصصها القصيرة لمسة من السريالية والواقعية السحرية وهى كذلك تمتلك تكنيكًا رفيعًا راقيًا فى السرد .

روايتها الأكثر شهرة هى « الفتاة التى فى الصورة » عن ثلاث مراهقات يعشن فى بيت كبير فى عصر الديكتاتورية البرازيلية (١٩٤٦- ١٩٤٨) إحداهن أنّا كلارا تمثل البروليتاريا ، ليا تمثل الطبقة المتوسطة الثورية ، لوريتا تمثل الأرستقراطية البرازيلية الزائفة . فى عام ١٩٦٣ كتبت « المريمات الثلاث » اللاتى كن غير قادرات على التواصل . تنتمى ليجيا إلى ما بعد الحداثة وهو جيل الحداثة فى مرحلته الثالثة فى البرازيل .

فى آخر مختاراتها من القصص القصيرة « مؤتمر الجُرْذان » ١٩٧٧ « و الأسرار » ١٩٨١ ، تستخدم الواقعية السحرية كطريقة للتعامل مع الموقف السياسى فى البرازيل أثناء عهد الديكتاتورية ، مع أشكال أخرى غامضة من نفسيات شخصياتها . ليجيا عضو فى أكاديمية الآداب البرازيلية . تحولت إحدى قصصها وإحدى رواياتها إلى أفلام سينمائية ،

www.ibtesamh.com/vb

ويقع الاختيار على أعمالها الإبداعية فى عديد من المختارات الأدبية داخل وخارج بلادها . وقد حصلت على العديد من الجوائز الأدبية .

من أعمالها : « قباء وبيوت » ١٩٣٨ .

« شاطئ الحياة » ١٩٤٤ .

« الصبار الأحمر » ١٩٤٩ .

« الرقصة المرمرية » ١٩٥٦ .

« الخطايا الأصلية السبع » ١٩٦٤ .

« الحديقة البرية » ١٩٦٥ .

« قبل الرقصة الخضراء » ١٩٧٠ .

« أولاد مسرفون » ، « تدريب على الحب » ١٩٨٠ .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

اماليا رنديك (١٩٢٨ - ١٩٨٨)

كاتبة من شيلى ، تكتب الرواية والقصة القصيرة ، ولها باع طويل فى الكتابة للأطفال ، حيث تعتبر واحدة من أهم كاتبات الأطفال فى شيلى .

* * *

لورا ريسكو (١٩٤٠)

كاتبة من بيرو ، تعمل أستاذة جامعية تدرس الأدب وتكتب الرواية والقصة القصيرة .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

إليثيا شتا بميرج (١٩٣٣)

كاتبة أرجنتينية ، كتبت أربع روايات ومجموعة قصص قصيرة ، من أهم الكاتبات المعاصرات فى الأرجنتين .

* * *

جاكلين بالسيز (١٩٤٥)

كاتبة من شيلى ، تكتب الرواية والقصة القصيرة ، وتعتبر من أهم كاتبات أدب الطفل فى شيلى .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

صدر من آفاق عالمية

١ - تنبؤات

شعر : بيفر / زجراجن

ترجمة : د. يسرى خميس

يوليو ٢٠٠١

٢ - اعتراف منتصف الليل

رواية : چورچ ديهامل

تعريب : د. شكرى عياد

أغسطس ٢٠٠١

٣ - الزيتونة والسنديانة

نصوص شعرية مترجمة ودراسة عن الشاعر :

عادل قرشولى

د. عبد الغفار مكاوى

سبتمبر ٢٠٠١

www.ibtesamh.com/vb

٤ - بلبل واحد لا يصنع ربيعا

مختارات من القصة العالمية

ترجمة د. حمادة إبراهيم

أكتوبر ٢٠٠١

٥ - شراك القدر

مسرحية : أنطونيو بوريو بييخو

ترجمة : د. طلعت شاهين

نوفمبر ٢٠٠١

٦ - الأرض الخراب وقصائد أخرى

شعر : ت . س . إليوت

ترجمة : د. لويس عوض

تقديم : د. ماهر شفيق فريد

ديسمبر ٢٠٠١

٧ - فى البحث عن ڤاليرى (رواية)

تأليف : ليج مايكلز

ترجمة : مى رفعت سلطان

يناير ٢٠٠٢

www.ibtesamh.com/vb

٨ - زديج أو القضاء (قصة شرقية)

تأليف : ڤولتير

ترجمة : د. طه حسين

تقديم : نبيل فرج

فبراير ٢٠٠٢

٩ - قصائد امرأة سوداء بدينة

شعر : جريس نيكولز

ترجمة : نانسى سمير

مارس ٢٠٠٢

١٠ - عاشق من مونت كارلو (مختارات قصصية)

تعريب وتقديم : عبد القادر حميدة

أبريل ٢٠٠٢

١١ - الحب والأسى (مسرحية صينية)

تأليف : (باى فنجكس)

ترجمة وتقديم : سمير عبد ربه

مايو ٢٠٠٢

www.ibtesamh.com/vb

١٢ - ذلك العالم المدهش

(حوارات مع كتاب عالميين)

ترجمة وتقديم : حسين عيد

يونيو ٢٠٠٢

١٣ - شعر السبعينيات فى إسبانيا (دراسة ومختارات مترجمة)

د. حامد أبو أحمد

يوليو ٢٠٠٢

١٤ - المسرح الهندى (التراث والتواصل والتغير)

تأليف : د. نيميتشاندا جين

ترجمة : د. مصطفى يوسف منصور

مراجعة : أ.د. منى أبو سنة

أغسطس ٢٠٠٢

١٥ - مختارات من روائع المسرح العالمى

ترجمة وتقديم د. نعيم عطية

سبتمبر ٢٠٠٢

www.ibtesamh.com/vb

١٦ - الأغنية الأخيرة

مختارات من الشعر الصينى

تأليف : تشانج شيانج - هو

ترجمة : زكريا محمد

أكتوبر ٢٠٠٢

١٧ - أفضل صديقاتى (مختارات من القصة العالمية)

ترجمة : مفـرح كريم

نوفمبر ٢٠٠٢

١٨ - الطاغية (ومسرحيات أخرى)

ترجمة د. جمال عبد الناصر

ديسمبر ٢٠٠٢م

١٩ - يقظة امرأة (رواية)

تأليف : كيت شوبان

ترجمة : د. أحمد الشيمى

يناير ٢٠٠٣

www.ibtesamh.com/vb

٢٠ - مختارات من حكايات الشعوب

ترجمة وتقديم : رأفت الدويرى

فبراير ٢٠٠٣

٢١ - خمس مسرحيات نو حديثة

تأليف : يوكيو ميشيما

ترجمة : عبد الغنى داود

: أحمد عبد الفتاح

مارس ٢٠٠٣

٢٢ - سر بين اثنين

(مختارات من القصة القصيرة العالمية)

ترجمة : محمد رجب

أبريل ٢٠٠٣

٢٣ - ملحمة جلجاميش

ترجمها عن الألمانية : د. عبد الغفار مكاوى

راجعها على الأكدية : د. عونى عبد الرءوف

مايو ٢٠٠٣

www.ibtesamh.com/vb

٢٤ - شعراء وقصائد

باقة من بستان الشعر اليونانى الحديث

ترجمة عن اليونانية ودراسات : د. نعيم عطية

يونيو ٢٠٠٣

٢٥ - فى الحب والحرية والمقاومة

مختارات من الشعر العالمى

ترجمة وتقديم : د. حسن فتح الباب

يوليو ٢٠٠٣

٢٦ - الحجر ليس بريشة

مختارات من شعر بيثنته ألكساندر

ترجمة وتقديم : عبد الهادى سعدون

أغسطس ٢٠٠٣

٢٧ - تدابير ضد السلطة

مختارات من القصة الألمانية فى القرن العشرين

ترجمة وتقديم : د . محسن الدمرداش

سبتمبر ٢٠٠٣

www.ibtesamh.com/vb

٢٨ - تحولات الجحش الذهبى

تأليف : لوكيوس أبوليوس المداورى

ترجمة : د. على فهمى خشيم

أكتوبر ٢٠٠٣

٢٩ - مسرحية « حسن البغدادى »

تأليف : چيمس الروى فليكر James Elroy Flecker

ترجمة وتقديم : محمود محمد مكى

نوفمبر ٢٠٠٣

٣٠ - صورة للبقاء

شعر وترجمة : روديكا فيرانيسكو

ديسمبر ٢٠٠٣

٣١ - ممنوع اللمس وقصص أخرى

مختارات من إسبانيا وأمريكا اللاتينية

ترجمة : أحمد عبد اللطيف

يناير ٢٠٠٤

www.ibtesamh.com/vb

٣٢ - دميان

تأليف : هرمان هيسه

ترجمة : عبده الريس

فبراير ٢٠٠٤

٣٣ - مَشْجُوجٌ بفأسٍ

ترجمة : فاطمة ناعوت

تقديم : حلمى سالم

مارس ٢٠٠٤

٣٤ - الحضيض

تقديم : أحمد عبد الرازق أبو العلا

ترجمة : فؤاد محمود دواره

راجع الترجمة : د. محمود السعران

ابريل ٢٠٠٤

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesamh.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر فبراير 2016 **

WWW.IBTESAMH.COM

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **

في كل قصة من قصص هذه المجموعة صورة خاصة جدا وعامة جدا ، في كل قصة منها أجد المسافات بيني وبين أولئك الكاتبات اللائي يبعدن عني سنينا كثيرة وأميالا طويلة قد ضاقت . لقد صنع هذا الأدب الجيد والصادق قربا مدهشا بيننا حتى لكأني أقرأ كتابة عربية لكاتبات عربيات ، فهل إلى هذه الدرجة تتشابه مشكلات البشر ، وإلى هذه الدرجة تعيش المرأة في أمريكا اللاتينية حالات كحالاتنا مصطدمة بالمجتمع الأبوي وبالرجل كما نحيا نحن هنا ؟

(من تقديم المترجمة)

الشركة الوطنية للطباعة

www.ibtesamh.com/vb

Exclusive
For
www.ibtesama.com